**مُخْتَصَرُ الشَّرْحِ القَوِيـمِ**

**فِى حَلِّ أَلْفَاظِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى ءَالِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحَابَتِهِ الطَّيِّبِينَ.

بِسْمِ اللَّهِ أَىْ أَبْتَدِئُ بِاسْمِ اللَّهِ وَلَفْظُ الْجَلالَةِ اللَّهُ عَلَمٌ لِلذَّاتِ الْمُقَدَّسِ الْمُسْتَحِقِّ لِنِهَايَةِ التَّعْظِيمِ وَغَايَةِ الْخُضُوعِ وَمَعْنَاهُ مَنْ لَهُ الإِلَهِيَّةُ وَهِىَ القُدْرَةُ عَلَى الِاخْتِرَاعِ أَىْ إِخْرَاجِ الْمَعْدُومِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَالرَّحْمٰنُ مَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى الدُّنْيَا وَبِالْمُؤْمِنِينَ فِى الآخِرَةِ أَمَّا الرَّحِيمُ فَمَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الرَّحْمَةِ بالْمُؤْمِنِينَ.

## الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ

أَىْ هَذَا بَيَانٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَىْ للطَّرِيقِ الْحَقِّ.

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) الْحَمْدُ مَعْنَاهُ الثَّنَاءُ بِاللِّسَانِ عَلَى الْجَمِيلِ الِاخْتِيَارِىِّ عَلَى جِهَةِ التَّبْجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ وَمَعْنَى الْجَمِيلِ الِاخْتِيَارِىِّ الشَّىْءُ الَّذِى أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ عَلَيْهِ (**وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ**) الصَّلاةُ هُنَا مَعْنَاهَا التَّعْظِيمُ أَىْ نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا تَعْظِيمًا وَأَمَّا السَّلامُ فَمَعْنَاهُ الأَمَانُ أَىْ نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ الأَمَانَ مِمَّا يَخَافُهُ عَلَى أُمَّتِهِ (**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾**) أَىْ أَدُّوا الْوَاجِبَاتِ وَاجْتَنِبُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَمِنْ جُمْلَةِ الْوَاجِبَاتِ تَعَلُّمُ الْعِلْمِ الشَّرْعِىِّ فَلا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الْمُتَّقِينَ مَا لَمْ يَتَعَلَّمْ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مَعْرِفَتَهُ مِنْ عِلْمِ دِينِهِ (**﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾**) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مُحَاسَبَةِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ أَىْ لِيَنْظُرِ الْمَرْءُ مَا يُعِدُّ وَيُقَدِّمُ لِآخِرَتِهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ (**وَقَالَ عَلِىٌّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ وَجْهَهُ**) »**ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا وَهِىَ مُدْبِرَةٌ** أَىِ الدُّنْيَا سَائِرَةٌ إِلَى الاِنْقِطَاعِ **وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ وَهِىَ مُقْبِلَةٌ** أَىِ الآخِرَةُ سَارَتْ مُقْبِلَةً **فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا** (**الْيَوْمَ الْعَمَلُ**) **وَلا حِسَابَ** أَىِ الدُّنْيَا دَارُ الْعَمَلِ (**وَغَدًا الْحِسَابُ**) **وَلا عَمَل**« أَىِ الآخِرَةُ دَارُ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ دَارُ الْحِسَابِ وَلَيْسَتْ دَارَ الْعَمَلِ، وَقَوْلُ عَلِىٍّ هَذَا (**رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى كِتَابِ الرِّقَاقِ**) وَهُوَ كِتَابٌ مَخْصُوصٌ فِى أَوَاخِرِ الْجَامِعِ الْمُسْنَدِ لِلْبُخَارِىِّ.

## أَعْظَمُ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ

(**اعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ هُوَ تَوْحِيدُهُ تَعَالَى**) أَىْ مَعْرِفَتُهُ مَعَ إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ أَىْ نِهَايَةِ التَّذَلُّلِ (**وَأَنْ لا يُشْرَكَ بِهِ شَىْءٌ لِأَنَّ**) الْكُفْرَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مِنَ (**الإِشْرَاكِ بِاللَّهِ**) وَغَيْرِهِ (**هُوَ أَكْبَرُ ذَنْبٍ يَقْتَرِفُهُ الْعَبْدُ**) قَالَ تَعَالَى ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ وَمَعْنَاهُ أَكْبَرُ الظُّلْمِ هُوَ الْكُفْرُ (**وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِى لا يَغْفِرُهُ اللَّهُ**) أىْ لِمَنْ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى حَالَةِ الْيَأْسِ مِنَ الْحَيَاةِ بِرُؤْيَةِ مَلَكِ الْمَوْتِ وَمَلائِكَةِ الْعَذَابِ أَوْ إِدْرَاكِ الْغَرَقِ بِحَيْثُ أَيْقَنَ بِالْهَلاكِ وَنَحْوِهِ (**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) فَاللَّهُ تَعَالَى يَغْفِرُ كُلَّ الذُّنُوبِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَجَنِّبِينَ لِلْكُفْرِ بِنَوْعَيْهِ الإِشْرَاكِ بِاللَّهِ تَعَالَى الَّذِى هُوَ عِبَادَةُ غَيْرِهِ وَالْكُفْرِ الَّذِى لَيْسَ فِيهِ إِشْرَاكٌ كَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِاللَّهِ (**قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**) وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »***إِنَّ اللَّهَ لَيَغْفِرُ لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يَقَعِ الْحِجَابُ***« قَالُوا وَمَا وُقُوعُ الْحِجَابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ »***أَنْ تَمُوتَ النَّفْسُ وَهِىَ مُشْرِكَةٌ***« رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَصَحَّحَهُ (**وَكَذَلِكَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ لا يَغْفِرُهَا اللَّهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾**) فَهَذِهِ الآيَةُ فِيهَا النَّصُّ عَلَى أَنَّ مَنْ مَاتَ كَافِرًا لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ وَهَذَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾ لِأَنَّ هَذَا قَيْدٌ لِعَدَمِ الْمَغْفِرَةِ لَهُمْ، وَمَعْنَى ﴿**وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أَىْ وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِى الإِسْلامِ وَلَيْسَ هَذَا شَرْطًا لِلْحِرْمَانِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ بَلِ الْكَافِرُ مَحْرُومٌ مِنَ الْمَغْفِرَةِ إِنْ مَنَعَ النَّاسَ مِنَ الإِسْلامِ أَوْ لَمْ يَمْنَعْ (**وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**) أَىْ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَجَنَّبَ عِبَادَةَ غَيْرِهِ (**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَ**)يَشْهَدُ (**أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ**) أَىْ أَنَّ الْمَسِيحَ بِشَارَةُ اللَّهِ لِمَرْيَمَ الَّتِى بَشَّرَتْهَا بِهَا الْمَلائِكَةُ بِأَمْرِهِ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَ بِهِ (**وَرُوحٌ مِنْهُ**) أَىْ أَنَّ رُوحَ الْمَسِيحِ رُوحٌ صَادِرَةٌ مِنَ اللَّهِ خَلْقًا وَتَكْوِينًا أَىْ رُوحُهُ رُوحٌ مُشَرَّفٌ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ (**وَ**)يَشْهَدُ أَنَّ (**الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ**) مَعْنَاهُ أَنَّهُمَا مَوْجُودَتَانِ وَبَاقِيَتَانِ وَأَنَّهُمَا دَارَا جَزَاءٍ فَالْجَنَّةُ دَارُ جَزَاءٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالنَّارُ دَارُ جَزَاءٍ لِلْكَافِرِينَ (**أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**«) أَىْ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ (**رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ، وَفِى حَدِيثٍ ءَاخَرَ »فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ**) أَىِ الدَّوَامَ فِيهَا إِلَى الأَبَدِ (**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ**) أَىْ يَبْتَغِى الْقُرْبَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَعْنَاهُ إِنْ قَالَ ذَلِكَ مُعْتَقِدًا فِى قَلْبِهِ لا مُنَافِقًا لِيُرْضِىَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ فِى قَلْبِهِ غَيْرُ رَاضٍ بِالإِسْلامِ. وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْوَجْهَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ فِى الْقُرْءَانِ أَوْ فِى الْحَدِيثِ مَعْنَاهُ الْجَسَدُ الَّذِى هُوَ مُرَّكَبٌ عَلَى الْبَدَنِ فَهُوَ لَمْ يَعْرِفْ رَبَّهُ لِأَنَّ هَذِهِ هَيْئَةُ الإِنْسَانِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْبَهَائِمِ فَكَيْفَ يَكُونُ خَالِقُ الْعَالَمِ مِثْلَهُمْ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِى لَمْ يُذْكَرْ فِيهَا شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مَا يَشْمَلُ الشَّهَادَةَ الأُخْرَى لِأَنَّ ذِكْرَ الشَّهَادَةِ الأُولَى صَارَ فِى عُرْفِ الشَّرْعِ مَلْحُوظًا فِيهِ الشَّهَادَةُ الثَّانِيَةُ (**وَ**)لَيْسَ الْمَعْنِىُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَشِبْهِهِ أَنَّ الاِقْتِصَارَ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِدُونِ الشَّهَادَةِ الأُخْرَى يَكْفِى لِلنَّجَاةِ مِنَ الْخُلُودِ الأَبَدِىِّ فِى النَّارِ بَلْ (**يَجِبُ قَرْنُ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ بِشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) فَاعْتِقَادُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا يَكْفِى مَا لَمْ يُقْرَنْ بِاعْتِقَادِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ (**وَذَلِكَ أَقَلُّ شَىْءٍ يَحْصُلُ بِهِ النَّجَاةُ مِنَ الْخُلُودِ الأَبَدِىِّ فِى النَّارِ**) بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا**﴾ فَتُحْمَلُ هَذِهِ الأَحَادِيثُ عَلَى مَا يُوَافِقُ هَذِهِ الآيَةَ فَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَأْتِى مُنَاقِضًا لِلْقُرْءَانِ وَمَنْ تَوَهَّمَ خِلافَ ذَلِكَ فَهُوَ لِقُصُورِ فَهْمِهِ وَشِدَّةِ جَهْلِهِ.

بَيَانُ (مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ)

(**فَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِجْمَالًا**) أَىْ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ (**أَعْتَرِفُ بِلِسَانِى وَأَعْتَقِدُ وَأُذْعِنُ بِقَلْبِى أَنَّ الْمَعْبُودَ بِحَقٍّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَطْ**) فَلا يَسْتَحِقُّ الأُلُوهِيَّةَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ أَىْ لا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ غَايَةَ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ إِلَّا هُوَ، وَالإِلَهُ فِى أَصْلِ اللُّغَةِ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ الْمُشْرِكُونَ لِمَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ (**وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَعْتَرِفُ بِلِسَانِى وَأُذْعِنُ**) أَىْ أَعْتَقِدُ (**بِقَلْبِى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى كَافَّةِ الْعَالَمِينَ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ**) بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَى كَافَّةِ الإِنْسِ مِنْ عُرْبٍ وَعَجَمٍ وَإِلَى كَافَّةِ الْجِنِّ فَالْمَعْرِفَةُ إِذَا اقْتَرَنَ بِهَا الإِذْعَانُ أَىْ رِضَا النَّفْسِ بِالشَّىْءِ الَّذِى عَرَفَتْهُ هِىَ الإِيمَانُ الَّذِى هُوَ مَقْبُولٌ عِنْدَ اللَّهِ. وَأَمَّا الْمَعْرِفَةُ وَحْدَهَا فَلا تَكْفِى لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا أَنَّهُ نَبِىٌّ فَقَالَ تَعَالَى ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ لَكِنْ لَمْ تُذْعِنْ نُفُوسُهُمْ فَلِذَلِكَ كَانُوا يُكَذِّبُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ نَبِىٌّ. وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا (**صَادِقٌ فِى كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى**) سَوَاءٌ كَانَ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الأُمُورِ الَّتِى سَتَحْدُثُ فِى الْمُسْتَقْبَلِ كَأُمُورِ الآخِرَةِ أَوْ أُمُورِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ أَوْ تَحْلِيلِ شَىْءٍ أَوْ تَحْريِمِهِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ (**لِيُؤْمِنُوا بِشَرِيعَتِهِ وَيَتَّبِعُوهُ. وَالْمُرَادُ بِالشَّهَادَتَيْنِ نَفْىُ الأُلُوهِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ**) أَىْ نَفْىُ أَنْ يَكُونَ شَىْءٌ سِوَى اللَّهِ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ (**وَإِثْبَاتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى**) وَحْدَهُ (**مَعَ الإِقْرَارِ**) أَىْ مَعَ الاِعْتِرَافِ وَالإِيمَانِ (**بِرِسَالَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) لِأَنَّ الإِيمَانَ بِمُحِمَّدٍ لا بُدَّ مِنْهُ لِصِحَّةِ الإِيمَانِ أَىْ لِكَوْنِ الْعَبْدِ مُؤْمِنًا عِنْدَ اللَّهِ بِحَيْثُ إِنَّ مَنْ شَكَّ فِى ذَلِكَ أَوْ أَنْكَرَ فَهُوَ كَافِرٌ لِأَنَّهُ عَانَدَ الْقُرْءَانَ (**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾**) أَىْ هَيَّأْنَا لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ لِكُفْرِهِمْ فَدَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ كَافِرٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْمُنْتَسِبِينَ لِلتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ لِأَنَّ الْقُرْءَانَ سَمَّاهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ وَسَمَّاهُمْ كَافِرِينَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ. وَهَذِهِ الآيَةُ أَيْضًا تُعْطِى أَنَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الْفَرَائِضِ لَيْسَ بِكَافِرٍ وَأَنَّهُ لَيْسَ خَالِدًا فِى النَّارِ (**فَهَذِهِ الآيَةُ صَرِيحَةٌ فِى تَكْفِيرِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ نَازَعَ**) وَخَالَفَ (**فِى هَذَا الْمَوْضُوعِ**) فَأَنْكَرَ الإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ (**يَكُونُ قَدْ عَانَدَ الْقُرْءَانَ وَمَنْ عَانَدَ الْقُرْءَانَ كَفَرَ**) وَلَوِ اعْتَرَفَ بِوُجُودِ اللَّهِ وَلَمْ يَعْبُدْ غَيْرَهُ لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ لِيُصَدَّقَ وَيُتَّبَعَ فَتَكْذِيبُهُ تَكْذِيبٌ لِلَّهِ. (**وَأَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ الإِسْلامِيُّونَ عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ الإِسْلامِ**) مِنْ يَهُودِيَّةٍ أَوْ مَجُوسِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَمَنِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ دِينًا غَيْرَ دِينِ الإِسْلامِ فَهُوَ كَافِرٌ ذَكَرَ ذَلِكَ القَاضِى عِيَاضٌ فِى كِتَابِ الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى (**وَ**)أَجْمَعُوا (**عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُ أَوْ شَكَّ**) فِى كُفْرِهِ كَأَنْ يَقُولَ لَعَلَّهُ كَافِرٌ وَلَعَلَّهُ غَيْرُ كَافِرٍ (**أَوْ تَوَقَّفَ كَأَنْ يَقُولَ أَنَا لا أَقُولُ إِنَّهُ كَافِرٌ أَوْ غَيْرُ كَافِرٍ. وَاعْلَمْ بِاسْتِيقَانٍ**) أَىْ جَازِمًا بِلا شَكٍّ (**أَنَّهُ لا يَصِحُّ الإِيمَانُ وَالإِسْلامُ وَلا تُقْبَلُ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ**) مِنَ الْكَافِرِ (**بِدُونِ**) النُّطْقِ بـِ(**الشَّهَادَتَيْنِ بِلَفْظِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَوْ مَا فِى مَعْنَاهُمَا**) فَلا يُشْتَرَطُ خُصُوصُ هَذَا اللَّفْظِ بَلْ يَكْفِى مَا يُعْطِى مَعْنَاهُمَا كَقَوْلِ لا رَبَّ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ نَبِىُّ اللَّهِ (**وَ**)كَذَلِكَ (**لَوْ**) نَطَقَ بِمَا يُعْطِى مَعْنَاهُمَا (**بِغَيْرِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَيَكْفِى لِصِحَّةِ الإِسْلامِ النُّطْقُ**) بِالشَّهَادَتَيْنِ (**مَرَّةً فِى الْعُمُرِ وَيَبْقَى وُجُوبُهَا**) بَعْدَ تِلْكَ الْمَرَّةِ (**فِى كُلِّ صَلاةٍ لِصِحَّةِ الصَّلاةِ هَذَا فِيمَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الإِسْلامِ ثُمَّ أَرَادَ الدُّخُولَ فِى الإِسْلامِ وَأَمَّا مَنْ نَشَأَ عَلَى الإِسْلامِ**) بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ (**وَكَانَ يَعْتَقِدُ**) مَعْنَى (**الشَّهَادَتَيْنِ فَلا يُشْتَرَطُ فِى حَقِّهِ النُّطْقُ بِهِمَا بَلْ هُوَ مُسْلِمٌ**) مُؤْمِنٌ (**لَوْ لَمْ يَنْطِقْ**) بِهِمَا بِلِسَانِهِ حَتَّى مَاتَ لَكِنَّهُ يَكُونُ عَاصِيًا مُرْتَكِبًا لِلْكَبِيرَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْطِقْ بِهِمَا بَعْدَ الْبُلُوغِ (**وَ**)قَدْ (**قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ« حَدِيثٌ قُدْسِىٌّ رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ**) وَ**الْحَدِيثُ الْقُدْسِىُّ هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِى صَدَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ يَقُولُ اللَّهُ أَوْ بِمَا فِى مَعْنَى ذَلِكَ.** وَفِى هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ أَعْظَمَ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ هُوَ أَدَاءُ فَرَائِضِ اللَّهِ (**وَأَفْضَلُ وَأَوَّلُ فَرْضٍ هُوَ الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**) لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**« رَوَاهُ البُخَارِىُّ (**وَاعْتِقَادُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَطْ لا يَكْفِى مَا لَمْ يُقْرَنْ بِاعْتِقَادِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ أَىْ لا يُحِبُّ اللَّهُ مَنْ تَوَلَّى**) أَىْ أَعْرَضَ (**عَنِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ لِكُفْرِهِمْ**) وَلَوْ أَحَبَّهُمْ لَرَزَقَهُمُ الإِيمَانَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ (**وَالْمُرَادُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ فِى هَذِهِ الآيَةِ الإِيمَانُ بِهِمَا فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يُحِبُّهُ لِكُفْرِهِ فَمَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْجَمِيعَ فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْءَانَ فَيُقَالُ لَهُ اللَّهُ خَلَقَ الْجَمِيعَ**) الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ (**لَكِنْ لا يُحِبُّ الْكُلَّ**) أَىْ لا يُحِبُّ سِوَى الْمُسْلِمِينَ.

## الْفَرْضُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ

(**وَاعْلَمْ أَنَّ النُّطْقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ بَعْدَ الْبُلُوغِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مَرَّةً وَاحِدَةً فِى عُمُرِهِ بِنِيَّةِ الْفَرْضِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ لِأَنَّهُمْ لا يُوجِبُونَ التَّحِيَّاتِ فِى الصَّلاةِ إِنَّمَا هُمْ يَعْتَبِرُونَهَا سُنَّةً**) فَهِىَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ فِى الْمَذْهَبِ الْمَالِكِىِّ وَالسُّنَّةُ الْمُؤَكَّدَةُ هِىَ مَا كَانَ يُوَاظِبُ عَلَيْهِ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَكْفِى عِنْدَهُمْ أَنْ يَجْلِسَ وَيَقُولَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَهُوَ جَالِسٌ (**وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ كَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ تَجِبُ فِى كُلِّ صَلاةٍ لِصِحَّةِ الصَّلاةِ**).

## لا دِينَ صَحِيحٌ إِلَّا الإِسْلامُ

(**الدِّينُ الْحَقُّ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**) وَالَّذِى يَطْلُبُ دِينًا غَيْرَ الإِسْلامِ يَدِينُ بِهِ فَلَنْ يَقْبَلَهُ اللَّهُ مِنْهُ (**قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**) وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لا يُسَمَّى مَا سِوَى الإِسْلامِ دِينًا بَلْ يُقَالُ دِينُ الْيَهُودِ وَدِينُ الْمَجُوسِ لَكِنَّهُ دِينٌ بَاطِلٌ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّسُولَ أَنْ يَقُولَ ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ**﴾ أَىْ أَنَا مَا أَزَالُ عَلَى دِينِى الَّذِى هُوَ حَقٌّ وَأَنْتُمْ لَكُمْ دِينُكُمُ الْبَاطِلُ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوهُ (**وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾**) أَىْ أَنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ الَّذِى ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْجِنِّ وَالْمَلائِكَةِ الإِسْلامُ لا غَيْرُ وَمَا سِوَاهُ مِنَ الأَدْيَانِ فَهُوَ بَاطِلٌ (**فَكُلُّ الأَنْبِيَاءِ**) مِنْ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**مُسْلِمُونَ**) يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا (**فَمَنْ كَانَ**) فِى زَمَنِ مُوسَى مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَ(**مُتَّبِعًا لِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مُسْلِمٌ مُوسَوِىٌّ وَ**)كَذَلِكَ الأَمْرُ فِى (**مَنْ كَانَ**) فِى أَيَّامِ عِيسَى مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَ(**مُتَّبِعًا لِعِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مُسْلِمٌ عِيسَوِىٌّ وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِمَنِ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَصْدِيقِ الأَنْبِيَاءِ وَالإِيمَانِ بِوُجُودِ الْمَلائِكَةِ الْمُكْرَمِينَ وَالإِيمَانِ بِالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَالإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ (**مُسْلِمٌ مُحَمَّدِىٌّ**) فَكُلُّ الأَنْبِيَاءِ جَاءُوا بِهَذَا لا يَخْتَلِفُونَ فِى هَذَا إِنَّمَا تَخْتَلِفُ الأَحْكَامُ الَّتِى أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ (**وَالإِسْلامُ هُوَ الدِّينُ الَّذِى رَضِيَهُ اللَّهُ**) أَىْ أَحَبَّهُ (**لِعِبَادِهِ وَأَمَرَنَا بِاتِّبَاعِهِ وَلا**) يَجُوزُ أَنْ (**يُسَمَّى اللَّهُ مُسْلِمًا كَمَا تَلَفَّظَ بِهِ بَعْضُ الْجُهَّالِ**) لِأَنَّ الْمُسْلِمَ مَعْنَاهُ الْمُنْقَادُ وَاللَّهُ لا يَنْقَادُ بَلْ يُنْقَادُ لَهُ فَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى مُسْلِمٌ بَلِ اسْمُهُ السَّلامُ أَىِ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ. وَلا يَجُوزُ تَسْمِيَةُ اللَّهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ فِى الْقُرْءَانِ أَوْ فِى حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ الثَّابِتِ أَوْ أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ (**فَقَدِيمًا كَانَ الْبَشَرُ جَمِيعُهُمْ**) فِى زَمَنِ ءَادَمَ (**عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ هُوَ الإِسْلامُ**) لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ كَافِرٌ (**وَإِنَّمَا حَدَثَ الشِّرْكُ وَالْكُفْرُ بِاللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ**) وَفَاةِ (**النَّبِىِّ إِدْرِيسَ**) أَىْ بَعْدَ ءَادَمَ بِأَلْفِ سَنَةٍ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى هَذَا زَمَانًا إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلامُ (**فَكَانَ نُوحٌ أَوَّلَ نَبِىٍّ أُرْسِلَ إِلَى الْكُفَّارِ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الَّذِى لا شَرِيكَ لَهُ**) وَلا مَعْنَى لإِنْكَارِ الْوَهَّابِيَّةِ رِسَالَةَ ءَادَمَ وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ يُنْكِرُ نُبُوَّتَهُ وَلا حُجَّةَ لَهُمْ فِى حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الَّذِى فِيهِ أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ ءَادَمَ لِيَشْفَعَ لَهُمْ ثُمَّ نُوحًا فَيَقُولُونَ لِنُوحٍ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى قَوْمِهِ الْمُنْتَشِرِينَ فِى الأَرْضِ لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ بَعْدَهُ كَانَ النَّبِىُّ يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ (**وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُل ِمِنْ بَعْدِهِ مِنَ الشِّرْكِ**) وَتَحْذِيرُ الرُّسُلِ مِنَ الشِّرْكِ الْمَقْصُودُ بِهِ تَحْذِيرُ أُمَمِهِمْ لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الشِّرْكِ (**فَقَامَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَجْدِيدِ الدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلامِ بَعْدَ أَنِ انْقَطَعَ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ فِى الأَرْضِ**) لِأَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْوَحْىُ عَلَى النَّبِىِّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْبَشَرِ عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرُهُ فَسَائِرُ أَهْلِ الأَرْضِ كَانَتْ لَهُمْ أَصْنَامٌ أَوْ أَشْيَاءُ أُخْرَى يَعْبُدُونَهَا فَقَامَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَى الإِسْلامِ (**مُؤَيَّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ الدَّالَةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ فَدَخَلَ الْبَعْضُ فِى الإِسْلامِ**) كَالْجَعْدِ بنِ قَيْسٍ الْمُرَادِىِّ الَّذِى أَسْلَمَ بِسَبَبِ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْجِنِّىِّ الَّذِى كَانَ فِى أَيَّامِ كَانَ عِيسَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَدَعَا إِلَى الإِسْلامِ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ زَمَانَ مُحَمَّدٍ فَآمَنَ بِعِيسَى وَبِمُحَمَّدٍ (**وَجَحَدَ بِنُبُوَّتِهِ**) أَىْ أَنْكَرَهَا (**أَهْلُ الضَّلالِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ مُشْرِكًا قَبْلًا كَفِرْقَةٍ مِنَ الْيَهُودِ عَبَدَتْ عُزَيْرًا فَازْدَادُوا كُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ**) وَعُزَيْرٌ رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِنُبُوَّتِهِ (**وَءَامَنَ بِهِ**) أَىْ بِمُحَمَّدٍ (**بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَعَبْدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ عَالِمِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ**) وَهُوَ مِنَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ (**وَأَصْحَمَةَ النَّجَاشِىِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ثُمَّ**) أَسْلَمَ وَ(**اتَّبَعَ الرَّسُولَ اتِّبَاعًا كَامِلًا**) وَعَاشَ بَعْدَ إِسْلامِهِ سَبْعَ سَنَوَاتٍ (**وَمَاتَ فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّى عَلَيْهِ الرَّسُولُ صَلاةَ الْغَائِبِ يَوْمَ مَاتَ**) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِى سُنَنِهِ (**أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِمَوْتِهِ**) فَقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ**« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ (**ثُمَّ كَانَ يُرَى عَلَى قَبْرِهِ فِى اللَّيَالِى نُورٌ وَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ صَارَ مُسْلِمًا كَامِلًا وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْمَبْدَأُ**) أَىِ الأَسَاسُ (**الإِسْلامِىُّ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلامِ**) مِنْ لَدُنِ ءَادَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ (**عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ**) وَأَنْ لا يُشْرَكَ بِهِ شَىْءٌ ثُمَّ هَؤُلاءِ لا يَصِحُّ إِيمَانُهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِنَبِىِّ عَصْرِهِمْ.

## حُكْمُ مَنْ يَدَّعِى الإِسْلامَ لَفْظًا وَهُوَ مُنَاقِضٌ لِلإِسْلامِ مَعْنًى

أَىْ هَذَا بَيَانُ حُكْمِ مَنْ يَزْعُمُ الإِسْلامَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلإِسْلامِ فِى الْحَقِيقَةِ.

(**هُنَاكَ طَوَائِفُ عَدِيدَةٌ**) أَىْ فِرَقٌ مُتَعَدِّدَةٌ (**كَذَّبَتِ الإِسْلامَ مَعْنًى وَلَوِ انْتَمَوْا لِلإِسْلامِ بِقَوْلِهِمُ الشَّهَادَتَيْنِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَصَلَّوْا وَصَامُوا**) أَىْ صُورَةً (**لِأَنَّهُمْ نَاقَضُوا الشَّهَادَتَيْنِ بِاعْتِقَادِ**) أَوْ قَوْلِ أَوْ فِعْلِ (**مَا يُنَافِيهِمَا فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا مِنَ التَّوْحِيدِ بِعِبَادَتِهِمْ لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُمْ كُفَّارٌ لَيْسُوا مُسْلِمِينَ كَالَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أُلُوهِيَّةَ عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ**) وَهُوَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**أَوْ**) أُنَاسٍ يَعْبُدُونَ (**الْخَضِرَ**) وَهُوَ نَبِىٌّ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ (**أَوْ**) أُنَاسٍ يَعْتَقِدُونَ الأُلُوهِيَّةَ لِلسُّلْطَانِ العُبَيْدِىِّ الْمُلَقَّبِ بـِ(**الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ**) الَّذِى كَانَ فِى الْقَاهِرَةِ يَعْبُدُ الشَّيَاطِينَ (**وَغَيْرِهِمْ أَوْ بِمَا فِى حُكْمِ ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. وَحُكْمُ مَنْ يَجْحَدُ**) أَىْ يُنْكِرُ مَعْنَى (**الشَّهَادَتَيْنِ التَّكْفِيرُ قَطْعًا**) بِلا شَكٍّ (**وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا لا يَنْقَطِعُ فِى الآخِرَةِ عَنْهُ الْعَذَابُ إِلَى مَا لا نِهَايَةَ لَهُ وَمَا هُوَ بِخَارِجٍ مِنَ النَّارِ**) لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ وَفِى هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ خَالَفَ جَهْمٌ وَابْنُ تَيْمِيَةَ وَكَانَ ابْنُ تَيْمِيَةَ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ هَذَا كَفَّرَ جَهْمًا لِقَوْلِهِ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ شَارَكَهُ فِى نِصْفِ عَقِيدَتِهِ فَقَالَ بِفَنَاءِ النَّارِ فَهُوَ أَخُو جَهْمٍ. (**وَمَنْ أَدَّى أَعْظَمَ حُقُوقِ اللَّهِ بِتَوْحِيدِهِ تَعَالَى أَىْ تَرْكِ الإِشْرَاكِ بِهِ شَيْئًا وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) **وَاجْتَنَبَ الْكُفْرَ هَذَا إِنْ مَاتَ** (**لا يَخْلُدُ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خُلُودًا أَبَدِيًّا وَإِنْ دَخَلَهَا بِمَعَاصِيهِ**) **الَّتِى كَانَ اقْتَرَفَهَا** (**وَمَآلُهُ فِى النِّهَايَةِ عَلَى أَىِّ حَالٍ كَانَ الْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ نَالَ الْعِقَابَ الَّذِى يَسْتَحِقُّ**) هَذَا (**إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّهُ عَنْهُ**) **فَحُكْمُ الْمُسْلِمِ الْعَاصِى الَّذِى مَاتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ أَنَّهُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ إِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُ اللَّهُ ثُمَّ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَإِمَّا أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ** (**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ**) أَىْ مَنْ مَاتَ وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ أَىْ أَقَلُّ الإِيمَانِ لا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ وَإِنْ دَخَلَهَا بِمَعَاصِيهِ. وَالذَّرُّ هُوَ الَّذِى مِثْلُ الْغُبَارِ يُرَى عِنْدَمَا يَدْخُلُ نُورُ الشَّمْسِ مِنَ الْكَوَّةِ (**وَأَمَّا الَّذِى قَامَ بِتَوْحِيدِهِ تَعَالَى**) بِأَنْ **ءَامَنَ بِهِ وَنَزَّهَهُ عَنْ مُشَابَهَةِ خَلْقِهِ** (**وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيَهُ وَقَامَ بِأَوَامِرِهِ**) **أَىْ أَدَّى الْفَرَائِضَ وَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ فَهُوَ التَّقِىُّ الَّذِى مَآلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ** لا يَلْقَى جُوعًا وَلا عَطَشًا وَلا نَكَدًا فِى الْقَبْرِ وَلا فِى الآخِرَةِ (**فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِلا عَذَابٍ حَيْثُ النَّعِيمُ الْمُقِيمُ الْخَالِدُ**) فَيَكُونُ مَأْوَاهُ الَّذِى لا يَخْرُجُ مِنْهُ (**بِدِلالَةِ الْحَدِيثِ الْقُدْسِىِّ الَّذِى رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ »أَعْدَدْتُ لِعِبَادِىَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ«. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ »اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**) أَىْ شَىْءٍ تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ أَىْ تَفْرَحُ بِهِ مِمَّا لَمْ يُطْلِعِ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلائِكَتَهُ وَلا أَنْبِيَاءَهُ فَالنَّعِيمُ الْخَاصُّ الْمُعَدُّ لِلصَّالِحِينَ لَمْ يَرَهُ الرَّسُولُ وَلا الْمَلائِكَةُ وَلا خُزَّانُ الْجَنَّةِ الْمُوَظَّفُونَ هُنَاكَ (**﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ**).

## بَيَانُ أَقْسَامِ الْكُفْرِ

(**وَاعْلَمْ يَا أَخِى الْمُسْلِمَ أَنَّ هُنَاكَ اعْتِقَادَاتٍ وَأَفْعَالًا وَأَقْوَالًا تَنْقُضُ الشَّهَادَتَيْنِ وَتُوقِعُ فِى الْكُفْرِ لِأَنَّ الْكُفْرَ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ كُفْرٌ اعْتِقَادِىٌّ**) لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ لِأَنَّ الِارْتِيَابَ أَىِ الشَّكَّ يَكُونُ بِالْقَلْبِ (**وَكُفْرٌ فِعْلِىٌّ**) لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ**﴾ (**وَكُفْرٌ لَفْظِىٌّ**) لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ**﴾ وَهَذِهِ الْمَسْئَلَةُ إِجْمَاعِيَّةٌ (**وَذَلِكَ بِاتِّفَاقِ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ كَالنَّوَوِىِّ وَابْنِ الْمُقْرِى مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَابْنِ عَابِدِينَ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْبُهُوتِىِّ مِنَ الْحَنَابِلَةِ وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ عِلَّيْشٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَلْيَنْظُرْهَا مَنْ شَاءَ. وَكَذَلِكَ غَيْرُ عُلَمَاءِ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ الْمَاضِينَ كَالأَوْزَاعِىِّ فَإِنَّهُ كَانَ مُجْتَهِدًا لَهُ مَذْهَبٌ كَانَ يُعْمَلُ بِهِ ثُمَّ انْقَرَضَ أَتْبَاعُهُ**). وَكُلٌّ مِنَ الثَّلاثَةِ كُفْرٌ بِمُفْرَدِهِ فَالْكُفْرُ الْقَوْلِىُّ كُفْرٌ وَلَوْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ اعْتِقَادٌ وَلا فِعْلٌ، وَالْكُفْرُ الْفِعْلِىُّ كُفْرٌ وَلَوْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ اعْتِقَادٌ وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ بِهِ وَلا قَوْلٌ، وَالْكُفْرُ الِاعْتِقَادِىُّ كُفْرٌ وَلَوْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ قَوْلٌ وَلا فِعْلٌ. وَ(**الْكُفْرُ الِاعْتِقَادِىُّ مَكَانُهُ الْقَلْبُ كَنَفْىِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَاجِبَةِ لَهُ إِجْمَاعًا كَوُجُودِهِ وَكَوْنِهِ قَادِرًا وَكَوْنِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا**) فَ**مَنْ نَفَى وُجُودَ اللَّهِ بِقَلْبِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَكَذَلِكَ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ (أَوْ**) **شَكَّ فِى قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ. فَلا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِى الْجَهْلِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَنَحْوِهَا مِنْ صِفَاتِهِ مَهْمَا بَلَغَ الْجَهْلُ بِصَاحِبِهِ. وَمِنَ الْكُفْرِ أَيْضًا** (**اعْتِقَادُ أَنَّهُ**) تَعَالَى (**نُورٌ بِمَعْنَى الضَّوْءِ أَوْ أَنَّهُ رُوحٌ**) **أَمَّا إِذَا قَالَ قَائِلٌ اللَّهُ نُورٌ فَلا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ نُورٌ بِمَعْنَى الضَّوْءِ عِنْدَئِذٍ يَكْفُرُ أَمَّا إِذَا** قَالَ اللَّهُ نُورٌ وَلَمْ يُفْهَمْ مَاذَا يَقْصِدُ فَلا يُكَفَّرُ وَلا يُقَالُ لَهُ حَرَامٌ أَنَّ تَقُولَ هَذَا لِأَنَّهُ وَرَدَ فِى تَعْدَادِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى عِنْدَ الْبَيْهَقِىِّ وَغَيْرِهِ (**قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْغَنِىِّ النَّابُلُسِىُّ**) فِى كِتَابِهِ الْفَتْحِ الرَّبَانِىِّ (**مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَوْ أَنَّهُ جِسْمٌ قَاعِدٌ فَوْقَ الْعَرْشِ فَهُوَ كَافِرٌ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**) لِأَنَّهُ وَصَفَ اللَّهَ بِالْجِسْمِيَّةِ وَالْقُعُودِ وَلا يُوصَفُ بِهِمَا إِلَّا الْمَخْلُوقُ. وَ(**الْكُفْرُ الْفِعْلِىُّ كَإِلْقَاءِ الْمُصْحَفِ فِى الْقَاذُورَاتِ**) فَإِنَّ رَمْيَهُ فِى الْقَاذُورَاتِ كُفْرٌ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الِاسْتِخْفَافِ (**قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ**) فِى رَدِّ الْمُحْتَارِ (**وَلَوْ لَمْ يَقْصِدِ الاِسْتِخْفَافَ لِأَنَّ فِعْلَهُ يَدُلُّ عَلَى الاِسْتِخْفَافِ. أَوْ أَوْرَاقِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ أَوْ أَىِّ وَرَقَةٍ عَلَيْهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ الْعِلْمِ بِوُجُودِ الِاسْمِ فِيهَا**) قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِذَا رَمَى اسْمَ اللَّهِ فِى الْقَاذُورَاتِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِخْفَافِ كَفَرَ أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِخْفَافِ فَلا يَكُونُ رِدَّةً (**وَمَنْ عَلَّقَ شِعَارَ الْكُفْرِ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنْ كَانَ بِنِيَّةِ التَّبَرُّكِ أَوِ التَّعْظِيمِ أَوِ الاِسْتِحْلالِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ كَانَ مُرْتَدًّا**) أَمَّا إِنْ عَلَّقَهُ لا بِنِيَّةِ إِحْدَى هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ فَلا يَكْفُرُ لَكِنَّهُ أَثِمَ إِثْمًا كَبِيرًا. وَ(**الْكُفْرُ الْقَوْلِىُّ كَمَنْ يَشْتِمُ اللَّهَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكُفْرِ أُخْتَ رَبِّكَ أَوِ ابْنَ اللَّهِ يَقَعُ الْكُفْرُ هُنَا وَلَوْ لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ لِلَّهِ أُخْتًا أَوِ ابْنًا**) وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى شَتَمَنِى ابْنُ ءَادَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ**« وَفَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ »**وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ (**وَلَوْ نَادَى مُسْلِمٌ مُسْلِمًا ءَاخَرَ بِقَوْلِهِ يَا كَافِرُ بِلا تَأْوِيلٍ كَفَرَ الْقَائِلُ لِأَنَّهُ سَمَّى الإِسْلامَ كُفْرًا**) وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِى الصَّحِيحِ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**« فَقَدْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِى هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ أَنْ نَقُولَ لِمُسْلِمٍ كَافِرٌ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لِمُسْلِمٍ يَعُودُ عَلَيْهِ وَبَالُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا بِنَوْعِ تَأْوِيلٍ فَلا يَكْفُرُ كَأَنِ اعْتَمَدَ عَلَى سَبَبٍ فِى ذَلِكَ الشَّخْصِ ظَنَّهُ مُخْرِجًا مِنَ الإِسْلامِ وَهُوَ فِى الْحَقِيقَةِ لَيْسَ مُخْرِجًا مِنَ الإِسْلامِ وَكَانَ لَهُ فِى ذَلِكَ نَوْعُ شُبْهَةٍ أَىِ الْتِبَاسٍ فَإِنَّ الْمُكَفِّرَ هُنَا لا يَكْفُرُ كَمَا أَنَّ الْمُكَفَّرَ لَمْ يَكْفُرْ ومِثَالُ ذَلِكَ رَجُلٌ بَلَغَهُ أَنَّ فُلانًا انْتَحَرَ فَقَالَ مَاتَ كَافِرًا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فَهَذَا الْمُكَفِّرُ إِنْ كَانَ جَاهِلًا يَظُنُّ أَنَّ الِانْتِحَارَ وَحْدَهُ كُفْرٌ وَلا يَعْرِفُ أَنَّ الِانْتِحَارَ بِمُجَرَّدِهِ لَيْسَ كُفْرًا لَمْ يَكْفُرْ لِأَنَّهُ لَهُ تَأْوِيلًا. (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ لِلْمُسْلِمِ يَا يَهُودِىُّ أَوْ أَمْثَالَهَا مِنَ الْعِبَارَاتِ بِنِيَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ**) وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مُعْتَقِدًا مَعَانِىَ تِلْكَ الأَلْفَاظِ (**إِلَّا إِذَا**) قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَىْ (**قَصَدَ أَنَّهُ يُشْبِهُ الْيَهُودَ**) لِسُوءِ عَمَلِهِ (**فَلا يَكْفُرُ**) لَكِنَّ هَذَا حَرَامٌ يَفْسُقُ قَائِلُهُ (**وَلَوْ قَالَ شَخْصٌ لِزَوْجَتِهِ »أَنْتِ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ اللَّهِ«**) كَفَرَ لِأَنَّ اللَّهَ يَجِبُ مَحَبَّتُهُ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنَ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ (**أَوْ**) قَالَ لِزَوْجَتِهِ (**أَعْبُدُكِ كَفَرَ إِنْ كَانَ يَفْهَمُ مِنْهَا** **الْعِبَادَةَ الَّتِى هِىَ خَاصَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى**) وَأَمَّا مَنْ قَالَ لِزَوْجَتِهِ أَعْبُدُكِ وكَانَ يَفْهَمُ مِنْهَا أُحِبُّكِ مَحَبَّةً شَدِيدَةً فَهَذَا لا نُكَفِّرُهُ (**وَلَوْ قَالَ شَخْصٌ لِآخَرَ »اللَّهُ يَظْلِمُكَ كَمَا ظَلَمْتَنِى« كَفَرَ الْقَائِلُ لِأَنَّهُ نَسَبَ الظُّلْمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا إِذَا كَانَ يَفْهَمُ أَنَّ مَعْنَى يَظْلِمُكَ يَنْتَقِمُ مِنْكَ فَلا نُكَفِّرُهُ بَلْ نَنْهَاهُ**) وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ اللَّهُ يَظْلِمُكَ وَيَقِفُ عِنْدَهَا فَيَكْفُرُ وَلا تَأْوِيلَ لِكَلامِهِ وَمَنْ يَشُكُّ فِى ذَلِكَ يَكْفُرُ وَلَوْ نَوَى أَنَّهُ يَنْتَقِمُ مِنْكَ لِأَنَّ الظُّلْمَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ قَالَ تَعَالَى **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ وَالظُّلْمُ مَعْنَاهُ التَّصَرُّفُ فِى مِلْكِ الْغَيْرِ بِمَا لا يَرْضَى وَاللَّهُ يَتَصَرَّفُ بِمِلْكِهِ فَنَحْنُ وَمَا نَمْلِكُ مِلْكٌ لَهُ (**وَلَوْ قَالَ شَخْصٌ لِشَخْصٍ ءَاخَرَ [بِعَامِيَّةِ بَعْضِ الْبِلادِ] وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ »يِلْعَنْ رَبَّكَ« كَفَرَ**) كُفْرًا صَرِيحًا لا تَأْوِيلَ لَهُ وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ تُسْتَعْمَلُ فِى بِلادِ الشَّامِ بِمَعْنَى أَلْعَنُ رَبَّكَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ (**وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ لِلْمُسْلِمِ [بِعَامِيَّةِ بَعْضِ الْبِلادِ] »يِلْعَنْ دِينَكَ« قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ إِنْ قَصَدَ سِيرَتَهُ**) أَىْ عَادَتَهُ وَأَخْلاقَهُ (**فَلا يَكْفُرُ. قَالَ بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ يَكْفُرُ إِنْ أَطْلَقَ أَىْ إِنْ لَمْ يَقْصِدْ سِيرَتَهُ وَلا قَصَدَ دِينَ الإِسْلامِ. وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ »فُلانٌ زَاحَ رَبِّى« لِأَنَّ هَذَا فِيهِ نِسْبَةُ الْحَرَكَةِ وَالْمَكَانِ لِلَّهِ**) وَكَذَلِكَ يَفْهَمُونَ مِنْهَا نِسْبَةَ الِانْزِعَاجِ إِلَيْهِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى. (**وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ »قَدَّ اللَّهِ« يَقْصِدُ الْمُمَاثَلَةَ**) أَىْ هَكَذَا يَفْهَمُ مِنْهَا الْعَوَامُّ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا. (**وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ نَسَبَ إِلَى اللَّهِ جَارِحَةً مِنَ الْجَوَارِحِ كَقَوْلِ بَعْضِ السُّفَهَاءِ »يَا زُبَّ اللَّهِ« وَهُوَ لَفْظٌ صَرِيحٌ فِى الْكُفْرِ لا يُقْبَلُ فِيهِ التَّأْوِيلُ**) وَالَّذِينَ يَتَلَفَّظُونَ بِهَذَا اللَّفْظِ يَفْهَمُونَ أَنَّ مَعْنَى الزُّبِّ الآلَةُ الَّتِى هِىَ الذَّكَرُ وَلا يُسْتَبْعَدُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْجَهَلَةِ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ هَذِهِ الآلَةُ. وَلَقَدْ شَاعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِى عِدَّةِ قُرًى فِى لُبْنَانَ وَفِى سُورِيَا فَلا يَجُوزُ السُّكُوتُ عَنِ النَّهْىِ عَنْهَا بَلِ النَّهْىُ عَنْهَا أَوْلَى مِنَ النَّهْىِ عَنِ الزِّنَى وَالسَّرِقَةِ (**وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ »أَنَا رَبُّ مَنْ عَمِلَ كَذَا«**) لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ رَبًّا لِلْعِبَادِ أَمَّا إِذَا كَانَ الشَّخْصُ بَارِعًا فِى النِّجَارَةِ فَقَالَ قَائِلٌ »فُلانٌ رَبُّ النِّجَارَةِ« فَلا يَكْفُرُ أَمَّا لَوْ قَالَ »فُلانٌ رَبُّ النَّجَّارِينَ« فَيَكْفُرُ لِأَنَّهُ لا مَعْنَى لَهُ إِلَّا أَنَّهُ خَالِقُهُمْ وَأَمَّا مَنْ قَالَ فُلانٌ رَبُّ الْعَائِلَةِ أَوْ قَالَ رَبُّ الأُسْرَةِ وَكَانَ يَفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ صَاحِبُهُمْ وَيَكْفِيهِمْ حَاجَاتِهِمْ فَلا يَكْفُرُ لَكِنْ لا يَصِحُّ لُغَةً وَصْفُ شَخْصٍ بِأَنَّهُ رَبُّ الأَشْخَاصِ الأَحْرَارِ أَمَّا الْعَبِيدُ الْمَمْلُوكُونَ وَالإِمَاءُ الْمَمْلُوكَاتُ فَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فُلانٌ رَبُّ هَؤُلاءِ الْعَبِيدِ وَرَبُّ هَؤُلاءِ الإِمَاءِ بِمَعْنَى الْمُسْتَحِقِّ وَالْمُخْتَصِّ بِمِلْكِهِمْ. وَكَذَلِكَ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ كَانَ يَمْلِكُ شَيْئًا كَدَابَّةٍ أَوْ بُسْتَانٍ »فُلانٌ رَبُّ هَذِهِ الدَّابَّةِ أَوْ رَبُّ هَذَا الْبُسْتَانِ« (**وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ**) بِعَامِيَّةِ بَعْضِ الْبِلادِ (**وَاْلِعَياذُ باللَّهِ »خَوَتْ رَبِّى«**) أَىْ جَنَّنَ (**أَوْ قَالَ لِلْكَافِرِ »اللَّهُ يُكْرِمُكَ« بِقَصْدِ أَنْ يُحِبَّهُ اللَّهُ كَفَرَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾**) أَىْ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ (**﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾). وَمَعْنَى أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسَّعَ عَلَيْهِ الرِّزْقَ فَمَنْ قَالَ هَذَا لِكَافِرٍ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَلا يَكْفُرُ (**وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ لِلْكَافِرِ »اللَّهُ يَغْفِرُ لَكَ« إِنْ قَصَدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لَهُ وَهُوَ عَلَى كُفْرِهِ إِلَى الْمَوْتِ**) أَىْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ لِلْكَافِرِ وَقَصَدَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ وَهُوَ كَافِرٌ مَعَ مُوَاظَبَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى ذَلِكَ كَفَرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ وَأَمَّا إِنْ قَصَدَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ بِالإِسْلامِ فَلا يَكْفُرُ (**وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ قَالَ لِمَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ »اللَّهُ يَرْحَمُهُ« بِقَصْدِ أَنْ يُرِيحَهُ فِى قَبْرِهِ لا بِقَصْدِ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ عَذَابَ الْقَبْرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنَالَ رَاحَةً فَإِنَّهُ إِنْ قَالَ ذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ**) أَىْ بِقَصْدِ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ عَذَابَ الْقَبْرِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنَالَ رَاحَةً (**فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لا يَكْفُرُ**) أَىْ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مَا بَلَغَهُ مِنْ أَحَدٍ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ قَرِيبَ عَهْدٍ بِإِسْلامٍ فَلا يَكْفُرُ وَأَمَّا التَّرَحُّمُ عَلَى الْكَافِرِ فِى حَالِ حَيَاتِهِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَهْتَدِىَ فَيُسْلِمَ فَيَمُوتَ عَلَى الإِسْلامِ أَمَّا إِذَا مَاتَ فَقَدْ فَاتَهُ الإِيمَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ أَىْ وَسِعَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ فِى الدُّنْيَا كُلَّ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ أَمَّا فِى الآخِرَةِ فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ خَاصَّةً بِالْمُؤْمِنِينَ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَسْتَعْمِلُ كَلِمَةَ الْخَلْقِ مُضَافَةً لِلنَّاسِ فِى الْمَوْضِعِ الَّذِى تَكُونُ فِيهِ بِمَعْنَى الإِبْرَازِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ كَأَنْ يَقُولَ شَخْصٌ مَا »اخْلُقْ لِى كَذَا كَمَا خَلَقَكَ اللَّهُ«**) فَالْخَلْقُ فِى لُغَةِ الْعَرَبِ لَهُ خَمْسَةُ مَعَانٍ أَحَدُهَا بِمَعْنَى الإِبْرَازِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى لا تُسْتَعْمَلُ مُضَافَةً إِلَى غَيْرِ اللَّهِ أَمَّا عَلَى الْمَعَانِى الأُخْرَى فَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُهَا مُضَافَةً لِغَيْرِ اللَّهِ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَشْتِمُ**) مَلَكَ الْمَوْتِ (**عَزْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَمَا قَالَ ابْنُ فَرْحُونٍ**) الْمَالِكِىُّ (**فِى تَبْصِرَةِ الْحُكَّامِ أَوْ أَىَّ مَلَكٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ**) كَجِبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ (**وَكَذَلِكَ**) يَكْفُرُ (**مَنْ يَقُولُ »أَنَا عَايِفْ اللَّه« أَىْ كَرِهْتُ اللَّهَ. وَيَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ »اللَّهُ لا يَتَحَمَّلُ فُلانًا« إِذَا فَهِمَ**) مِنْهَا (**الْعَجْزَ**) أَىْ نِسْبَةَ الْعَجْزِ إِلَى اللَّهِ (**أَوْ أَنَّ اللَّهَ يَنْزَعِجُ مِنْهُ**) وَيَحْصُلُ لَهُ انْفِعَالٌ (**أَمَّا إِذا َكَانَ يَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُهُ**) لِفِسْقِهِ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا (**فَلا يَكْفُرُ**) فَحُكْمُهُ عَلَى حَسَبِ فَهْمِهِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ »يِلْعَنْ سَمَاءَ رَبِّكَ« لِأَنَّهُ اسْتَخَفَّ بِاللَّهِ تَعَالَى**) وَأَمَّا الَّذِي يَقُولُ »يِلْعَنْ سَمَاكَ« فَهَذَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ عَلَى حَسَبِ فَهْمِهِ فَإِنْ كَانَ يَفْهَمُ مِنْهَا السَّمَاءَ الَّتِى هِىَ مَسْكَنُ الْمَلائِكَةِ كَفَرَ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهَا قِبْلَةَ الدُّعَاءِ وَمَهْبِطَ الرَّحَمَاتِ وَالْبَرَكَاتِ فَعَظَّمَ شَأْنَهَا، وَإِنْ كَانَ يَفْهَمُ مِنْهَا سَقْفَ الْبَيْتِ أَوْ هَذَا الْفَرَاغَ الَّذِي يَلِي مَوْضِعَ إِقَامَةِ هَذَا الشَّخْصِ فَلا يَكْفُرُ. (**وَكَذَلِكَ**) يَكْفُرُ (**مَنْ يُسَمِّى الْمَعَابِدَ الدِّينِيَّةَ لِلْكُفَّارِ »بُيُوتَ اللَّهِ« وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾**) فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحُكَّامَ يَدْفَعُونَ الأَذَى وَالضَّرَرَ فَأَقَامَهُمُ اللَّهُ لِذَلِكَ فَصَارَ بِهِمُ الأَمَانُ وَلَوْلا ذَلِكَ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ لِلنَّصَارَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى شَرِيعَةِ الْمَسِيحِ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ. وَالصَّوَامِعُ جَمْعُ صَوْمَعَةٍ وَهِىَ أَبْنِيَةٌ مُحَدَّبَةُ الرُّءُوسِ تُبْنَى عَلَى أَمَاكِنَ مُرْتَفِعَةٍ يَتَعَبَّدُ فِيهَا الرَّاهِبُ وَالْبِيَعُ جَمْعُ بِيعَةٍ وَهِىَ الأَمَاكِنُ الَّتِى كَانَ يَتَعَبَّدُ فِيهَا النَّصَارَى قَبْلَ أَنْ يَكْفُرُوا وَالصَّلَوَاتُ يُقَالُ لِلْوَاحِدَةِ مِنْهَا صَلُوتَا وَهِىَ الأَمَاكِنُ الَّتِى كَانَتِ الْيَهُودُ تَتَعَبَّدُ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يَكْفُرُوا بِتَكْذِيبِهِمُ الْمَسِيحَ فَإِنَّهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ كَانُوا مُسْلِمِينَ عَلَى شَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ الأَصْلِيَّةِ قَبْلَ التَّحْرِيفِ وَالْمَسَاجِدُ الْمُرَادُ بِهَا فِى الآيَةِ مَسَاجِدُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**فَالْمُرَادُ بِهِ**) أَىْ بِقَوْلِهِ »صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ« (**مَعَابِدُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَمَّا كَانُوا عَلَى الإِسْلامِ لِأَنَّهَا كَمَسَاجِدِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ حَيْثُ إِنَّ الْكُلَّ بُنِىَ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ لا لِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ الْمَسْجِدَ الأَقْصَى مَسْجِدًا**) قَالَ تَعَالَى ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾ (**وَهُوَ لَيْسَ مِنْ بِنَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**) فَقَدْ بَنَاهُ سَيِّدُنَا ءَادَمُ ثُمَّ جُدِّدَ بِنَاؤُهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ (**فَلْيَتَّقِ اللَّهَ امْرُؤٌ وَلْيَحْذَرْ أَنْ يُسَمِّىَ مَا بُنِىَ لِلشِّرْكِ بُيُوتَ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ قَالَ مَا شَاءَ. وَكَذَلِكَ**) يَكْفُرُ (**مَنْ حَدَّثَ حَدِيثًا كَذِبًا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَذِبٌ فَقَالَ »اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا أَقُولُ« بِقَصْدِ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ كَمَا قُلْتُ لِأَنَّهُ نَسَبَ الْجَهْلَ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ لَيْسَ صَادِقًا**) وَأَمَّا إِنْ كَانَ نَاسِيًا أَنَّهُ عَمِلَ ذَلِكَ الشَّىْءَ فَقَالَ »اللَّهُ شَهِيدٌ أَنِّى مَا عَمِلْتُ ذَلِكَ الشَّىْءَ« فَلا يَكْفُرُ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْسُبِ الْجَهْلَ إِلَى اللَّهِ (**وَكَذَلِكَ لا يَجُوزُ الْقَوْلُ »كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى دِينِهِ اللَّهُ يُعِينُهُ« بِقَصْدِ الدُّعَاءِ لِكُلٍّ**) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فَمَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ بِقَصْدِ الدُّعَاءِ أَىِ الطَّلَبِ بِأَنْ يُعِينَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ عَلَى الْكُفْرِ كَفَرَ لِأَنَّ فِيهِ الرِّضَا بِالْكُفْرِ لِلْغَيْرِ وَأَمَّا إِذَا أَرَادَ الإِخْبَارَ فَلا يَكْفُرُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِى أَعَانَ الْمُؤْمِنَ عَلَى إِيمَانِهِ وَالْكَافِرَ عَلَى كُفْرِهِ وَمِمَّنْ صَرَّحَ بِهَذَا التَّعْبِيرِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِى كِتَابِهِ الإِرْشَادِ وَغَيْرُهُ، وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الإِعَانَةَ مَعْنَاهَا التَّمْكِينُ وَالإِقْدَارُ وَلَيْسَ الرِّضَا كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ مُعَمِّمًا كَلامَهُ »الْكَلْبُ أَحْسَنُ مِنْ بَنِى ءَادَمَ«**) وَهَذَا اللَّفْظُ لَفْظٌ عَامٌّ يُؤَدِّى إِلَى تَكْذِيبِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ﴾، وَأَمَّا إِنْ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ فِى كَلامِهِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ مِنَ الشَّخْصِ الْمُخَاطَبِ فِى بَعْضِ الْخِصَالِ كَالْوَفَاءِ لِصَاحِبِهِ الَّذِي يَرْعَاهُ فَلا يَكْفُرُ (**أَوْ مَنْ يَقُولُ »الْعَرَبُ جَرَبٌ«**) مَعَ التَّعْمِيمِ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ لِأَنَّ كَلامَهُ هَذَا شَمَلَ الأَنْبِيَاءَ وَغَيْرَهُمْ (**أَمَّا إِذَا خَصَّصَ كَلامَهُ لَفْظًا أَوْ بِقَرِينَةِ الْحَالِ كَقَوْلِهِ الْيَوْمَ الْعَرَبُ فَسَدُوا ثُمَّ قَالَ الْعَرَبُ جَرَبٌ فَلا يَكْفُرُ**) لَكِنَّهُ لا يَسْلَمُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ لَيْسَ كُلَّ الْعَرَبِ فَاسِدِينَ الْيَوْمَ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يُسَمِّى الشَّيْطَانَ بِـبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**) لِأَنَّهُ جَعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الشَّرِيفَةَ عِبَارَةً عَنِ الشَّيْطَانِ (**لا إِنْ ذَكَرَ الْبَسْمَلَةَ**) عِنْدَ إِرَادَةِ ذِكْرِ الشَّيْطَانِ (**بِنِيَّةِ التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ**) كَأَنَّهُ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ يَحْفَظُنَا اللَّهُ مِنْ شَرِّهِ بِبَرَكَةِ الْبَسْمَلَةِ فَلا يَكْفُرُ (**وَهُنَاكَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ وَالْكُتَّابِ يَكْتُبُ كَلِمَاتٍ كُفْرِيَّةً كَمَا كَتَبَ أَحَدُهُمْ »هَرَبَ اللَّهُ« فَهَذَا مِنْ سُوءِ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ الْمُوقِعِ فِى الْكُفْرِ**) لِأَنَّهُ اسْتَخَفَّ بِاللَّهِ وَنَسَبَ إِلَيْهِ التَّحَيُّزَ فِى الْمَكَانِ وَالْحَرَكَةَ وَالْفِرَارَ (**وَقَدْ قَالَ الْقَاضِى عِيَاضٌ فِى كِتَابِهِ الشِّفَا »لا خِلافَ أَنَّ سَابَّ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَافِرٌ« اهـ**) وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى كُفْرِ مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذِهِ الأَلْفَاظِ الشَّنِيعَةِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَسْتَحْسِنُ هَذِهِ الأَقْوَالَ وَالْعِبَارَاتِ وَمَا أَكْثَرَ انْتِشَارَهَا فِى مُؤَلَّفَاتٍ عَدِيدَةٍ. وَسُوءُ الأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِاسْتِهْزَاءِ بِحَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ أَوْ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ كُفْرٌ**) كَالَّذِى يَسْتَهْزِئُ بِلُبْسِ الْعِمَامَةِ وَلُبْسِ الْقَمِيصِ أَىْ مَا يُعْرَفُ عِنْدَ النَّاسِ الْيَوْمَ بِالْجَلَّابِيَّةِ أَوِ الدِّشْدَاشَةِ أَوْ يَسْتَهْزِئُ بِاسْتِعْمَالِ السِّوَاكِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ عَنِ النَّبِىِّ أَنَّهُ فَعَلَهُ وَمَدَحَهُ كَإِعْفَاءِ اللِّحْيَةِ وَكَذَلِكَ الْجِلْبَابُ الَّذِى تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ فَوْقَ ثِيَابِهَا زِيَادَةً فِى السَّتْرِ فَيُغَطِّيهَا مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَثَّ عَلَيْهِ فَمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ وَاسْتَهْزَأَ بِلُبْسِهِ كَفَرَ (**وَالِاسْتِهْزَاءُ بِمَا كُتِبَ فِيهِ شَىْءٌ مِنَ الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ**) وَلَوْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ فَإِنَّهُ كُفْرٌ وَكَذَا لَوْ زَادَ حَرْفًا فِى الْقُرْءَانِ عِنَادًا أَوْ جَحَدَ حَرْفًا مِنْهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنْهُ (**أَوِ**) اسْتَهْزَأَ بِنَبِىٍّ مِنَ (**الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ**) بِأَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ الْقَبَائِحَ وَالرَّذَائِلَ كَالَّذِى يَقُولُ عَنْ سَيِّدِنَا ءَادَمَ يُشْبِهُ الْقُرُودَ أَوْ يَقُولُ عَنْ سَيِّدِنَا يُوسُفَ إِنَّهُ قَصَدَ الزِّنَى أَىْ نَوَى أَوْ يَقُولُ عَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى إِنَّهُ عَصَبِىُّ الْمِزَاجِ بِمَعْنَى سَىِّءِ الْخُلُقِ أَوْ يَقُولُ عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نِسْوَنْجِى أَىْ مُتَعَلِّقَ الْقَلْبِ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْمُومِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (**أَوِ**) اسْتَهْزَأَ (**بِشَعَائِرِ الإِسْلامِ**) أَىْ مَا هُوَ مِنْ عَلامَاتِ الدِّينِ كَالصَّلاةِ وَالأَذَانِ (**أَوْ بِحُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى**) فَإِنَّهُ (**كُفْرٌ قَطْعًا. وَكَذَلِكَ اسْتِحْسَانُ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِهِ كُفْرٌ لِأَنَّ**) الشَّخْصَ عِنْدَمَا يَسْتَحْسِنُ كُفْرَ غَيْرِهِ رَضِىَ بِهِ وَ(**الرِّضَى بِالْكُفْرِ كُفْرٌ**) قَالَ تَعَالَى ﴿**وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ (**وَلا يَكْفُرُ مَنْ نَقَلَ عَنْ غَيْرِهِ كُفْرِيَّةً حَصَلَتْ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْسَانٍ لَهَا**) سَوَاءٌ كَانَ كِتَابَةً أَوْ قَوْلًا (**بِقَوْلِهِ »قَالَ فُلانٌ كَذَا« وَلَوْ أَخَّرَ صِيغَةَ »قَالَ« إِلَى ءَاخِرِ الْجُمْلَةِ**) كَأَنْ قَالَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ قَوْلُ النَّصَارَى (**فَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ فِى نِيَّتِهِ ذِكْرُ أَدَاةِ الْحِكَايَةِ مُؤَخَّرَةً عَنِ الِابْتِدَاءِ**) أَىْ ءَاخِرَ الْجُمْلَةِ قَبْلَ الْبَدْءِ بِهَا فَإِنْ كَانَ فِى نِيَّتِهِ أَنْ يَذْكُرَ أَدَاةَ الْحِكَايَةِ مُؤَخَّرَةً ثُمَّ نَسِىَ فَلا يَكْفُرُ.

## مَا يُسْتَثْنَى مِنَ الْكُفْرِ الْقَوْلِىِّ

(**يُسْتَثْنَى مِنَ الْكُفْرِ اللَّفْظِىِّ حَالَةُ سَبْقِ اللِّسَانِ أَىْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ**) فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ غَيْرِ كُفْرِىٍّ فَأَخْطَأَ لِسَانُهُ فَخَرَجَ مِنْهُ كَلامٌ كُفْرِىٌّ مِنْ دُونِ قَصْدٍ مِنْهُ لِلنُّطْقِ بِهِ (**بَلْ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ وَلَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقُولَهُ بِالْمَرَّةِ**) فَلا يَكْفُرُ وَذَلِكَ كَأَنْ يَقْصِدَ أَنْ يَقُولَ »وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ« فَيَسْبِقُ لِسَانُهُ فَيَقُول »وَمَا أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ« فَلا مُؤَاخَذَةَ عَلَيْهِ فِى هَذَا. وَقَدْ مَثَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَبْقِ اللِّسَانِ بِرَجُلٍ فَقَدَ دَابَّتَهُ فِى الصَّحْرَاءِ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِى ظِلِّهَا فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى وَأَنَا عَبْدُكَ فَقَالَ مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ (**وَحَالَةُ غَيْبُوبَةِ الْعَقْلِ أَىْ عَدَمِ صَحْوِ الْعَقْلِ**) فَمَنْ غَابَ عَقْلُهُ فَنَطَقَ وَهُوَ فِى هَذِهِ الْحَالِ بِكَلامٍ كُفْرِىٍّ لا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ بِسَبَبِ هَذَا وَذَلِكَ لِارْتِفَاعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُ حِينَذَاكَ وَيَشْمَلُ هَذَا النَّائِمَ وَالْمَجْنُونَ وَنَحْوَهُمَا (**وَحَالَةُ الإِكْرَاهِ فَمَنْ نَطَقَ بِالْكُفْرِ بِلِسَانِهِ مُكْرَهًا بِالْقَتْلِ وَنَحْوِهِ**) مِمَّا يُفْضِى إِلَى الْمَوْتِ (**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ فَلا يَكْفُرُ**) وَأَمَّا غَيْرُ الْمُكْرَهِ فَإِنَّهُ لا يُشْتَرَطُ لِلْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَلا مَعْرِفَةُ الْحُكْمِ لِحَدِيثِ »**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِى بِهَا فِى النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**« رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ وَحَسَّنَهُ وَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا يَقُولُ سَيِّدُ سَابِق الَّذِى فَتَحَ لِلنَّاسِ بَابًا مِنَ الْكُفْرِ وَاسِعًا وَوَرَّطَ بِهِ خَلْقًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَقُولُ الأَلْفَاظُ الْكُفْرِيَّةُ لا تُؤَثِّرُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ شَارِحًا صَدْرَكَ بِهَا وَنَاوِيًا مَعْنَاهَا وَمُعْتَقِدًا فَإِنَّهُ جَعَلَ بِقَوْلِهِ هَذَا كُلَّ الْعِبَادِ فِى حُكْمِ الْمُكْرَهِ وَاللَّهُ تَعَالَى اسْتَثْنَى الْمُكْرَهَ فِى كِتَابِهِ بِحُكْمٍ خَاصٍّ (**قَالَ تَعَالَى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَّنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾**) وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمُكْرَهَ بِالْقَتْلِ أَوْ نَحْوِهِ مِمَّا يُفْضِى إِلَى الْمَوْتِ إِذَا نَطَقَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ تَحْتَ الإِكْرَاهِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ عِنْدَ نُطْقِهِ بِمَا أُكْرِهَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ الْكُفْرِىِّ لَيْسَ عَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلا يُعَذَّبُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكْفُرْ وَلَكِنَّ الْمُكْرَهَ إِذَا ثَبَتَ فَلَمْ يُجِبِ الْكُفَّارَ لِمَا أَرَادُوا مِنْهُ فَقَتَلُوهُ يَكُونُ قَدْ فَازَ بِالشَّهَادَةِ وَ(**حَالَةُ الْحِكَايَةِ لِكُفْرِ الْغَيْرِ فَلا يَكْفُرُ الْحَاكِى كُفْرَ غَيْرِهِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الرِّضَى وَالِاسْتِحْسَانِ وَمُسْتَنَدُنَا فِى اسْتِثْنَاءِ مَسْئَلَةِ الْحِكَايَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. ثُمَّ الْحِكَايَةُ الْمَانِعَةُ لِكُفْرِ حَاكِى الْكُفْرِ إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِى أَوَّلِ الْكَلِمَةِ الَّتِى يَحْكِيهَا عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِكُفْرٍ أَوْ بَعْدَ ذِكْرِهِ الْكَلِمَةَ عَقِبَهَا وَقَدْ كَانَ نَاوِيًا أَنْ يَأْتِىَ بِأَدَاةِ الْحِكَايَةِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ فَلَوْ قَالَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ قَوْلُ النَّصَارَى أَوْ قَالَتْهُ النَّصَارَى فَهِىَ حِكَايَةٌ مَانِعَةٌ لِلْكُفْرِ عَنِ الْحَاكِى. وَ**)يُسْتَثْنَى مِنَ الْكُفْرِ اللَّفْظِىِّ (**حَالَةُ كَوْنِ الشَّخْصِ مُتَأَوِّلًا بِاجْتِهَادِهِ فِى فَهْمِ الشَّرْعِ فَإِنَّهُ لا يَكْفُرُ الْمُتَأَوِّلُ إِلَّا إِذَا كَانَ تَأَوُّلُهُ فِى الْقَطْعِيَّاتِ فَأَخْطَأَ فَإِنَّهُ لا يُعْذَرُ كَتَأَوُّلِ الَّذِينَ قَالُوا بِقِدَمِ الْعَالَمِ وَأَزَلِيَّتِهِ كَابْنِ تَيْمِيَةَ. وَأَمَّا مِثَالُ مَنْ لا يَكْفُرُ مِمَّنْ تَأَوَّلَ فَهُوَ كَتَأَوُّلِ الَّذِينَ مَنَعُوا الزَّكَاةَ فِى عَهْدِ أَبِى بَكْرٍ**) الصِّدِّيقِ (**بِأَنَّ الزَّكَاةَ وَجَبَتْ**) عَلَيْهِمْ (**فِى عَهْدِ الرَّسُولِ لِأَنَّ صَلاتَهُ كَانَتْ عَلَيْهِمْ سَكَنًا لَهُمْ - أَىْ رَحْمَةً وَطُمَأْنِينَةً - وَطُهْرَةً وَأَنَّ ذَلِكَ انْقَطَعَ بِمَوْتِهِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يُكَفِّرُوهُمْ لِذَلِكَ لِأَنَّ هَؤُلاءِ فَهِمُوا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ خُذْ أَىْ يَا مُحَمَّدُ الزَّكَاةَ لِتَكُونَ إِذَا دَفَعُوهَا إِلَيْكَ سَكَنًا لَهُمْ وَأَنَّ هَذَا لا يَحْصُلُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلا يَجِبُ عَلَيْهِمْ دَفْعُهَا لِأَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَهُوَ الْمَأْمُورُ بِأَخْذِهَا مِنْهُمْ وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ الْحُكْمَ عَامٌّ فِى حَالِ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ وَإِنَّمَا قَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ كَمَا قَاتَلَ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ فِى دَعْوَاهُ النُّبُوُّةَ لِأَنَّهُ مَا كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمُ**) الزَّكَاةَ (**قَهْرًا بِدُونِ قِتَالٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا ذَوِى قُوَّةٍ فَاضْطُرَّ إِلَى الْقِتَالِ. وَكَذَلِكَ الَّذِينَ فَسَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنْتَهُونَ﴾ بِأَنَّهُ تَخْيِيرٌ وَلَيْسَ تَحْرِيمًا لِلْخَمْرِ فَشَرِبُوهَا لِأَنَّ عُمَرَ مَا كَفَّرَهُمْ وَإِنَّمَا قَالَ »اجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ ثَمَانِينَ ثُمَّ إِنْ عَادُوا فَاقْتُلُوهُمْ« اهـ رَوَاهُ ابْنُ أَبِى شَيْبَةَ**) أَىْ إِنْ عَادُوا إِلَى اسْتِحْلالِ الْخَمْرِ أَمَّا فِى زَمَانِنَا هَذَا فَلا عُذْرَ لِمَنْ يُنْكِرُ حُرْمَةَ الْخَمْرِ مِمَّنْ كَانَ يَعِيشُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُتَأَوِّلًا الآيَةَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ تَحْرِيمُ الْمُسْلِمِينَ لَهَا وَ(**إِنَّمَا كَفَّرُوا الآخَرِينَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلامِ لِتَصْدِيقِهِمْ لِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ الَّذِى ادَّعَى الرِّسَالَةَ**)، وَالَّذِى يُصَدِّقُ مَنْ يَدَّعِى النُّبُوَّةَ بَعْدَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فَهُوَ كَافِرٌ مُكَذِّبٌ لِقَوْلِ اللَّهِ ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَلِقَوْلِ النَّبِىِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »وَخُتِمَ بِىَ النَّبِيُّونَ«رَوَاهُ مُسْلِمٌ (**فَمُقَاتَلَتُهُمْ لِهَؤُلاءِ الَّذِينَ تَأَوَّلُوا مَنْعَ الزَّكَاةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ لِأَخْذِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ فِى أَمْوَالِهِمْ وَذَلِكَ كَقِتَالِ الْبُغَاةِ**) الظَّالِمِينَ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَى الْخَلِيفَةِ (**فَإِنَّهُمْ لا يُقَاتَلُونَ لِكُفْرِهِمْ بَلْ يُقَاتَلُونَ لِرَدِّهِمْ إِلَى طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ كَالَّذِينَ قَاتَلَهُمْ سَيِّدُنَا عَلِىٌّ فِى الْوَقَائِعِ الثَّلاثِ وَقْعَةِ الْجَمَلِ وَوَقْعَةِ صِفِّينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَوَقْعَةِ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ**) وَهَؤُلاءِ لَيْسَ لَهُمْ حُكْمُ الْمُرْتَدِّينَ (**عَلَى أَنَّ مِنَ الْخَوَارِجِ صِنْفًا هُمْ كُفَّارٌ حَقِيقَةً فَأُولَئِكَ لَهُمْ حُكْمُهُمُ الْخَاصُّ**) وَالْخَوَارِجُ هُمْ أَوَّلُ فِرْقَةٍ شَذَّتْ فِى الِاعْتِقَادِ عَنْ مُعْتَقَدِ الصَّحَابَةِ فَقَاتَلَهُمْ سَيِّدُنَا عَلِىٌّ فَأَبَادَهُمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، وَمِنْ ضَلالاتِهِمْ تَكْفِيرُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ (**قَالَ الْحَافِظُ أَبُو زُرْعَةَ الْعِرَاقِىُّ فِى نُكَتِهِ »وَقَالَ شَيْخُنَا أَيْضًا يَعْنِى الْبُلْقِينِىَّ يَنْبَغِى أَنْ يُقَالَ بِلا تَأْوِيلٍ لِيَخْرُجَ الْبُغَاةُ وَالْخَوَارِجُ الَّذِينَ يَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعَدْلِ وَأَمْوَالَهُمْ وَيَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ دِمَائِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْعَدْلِ، وَالَّذِينَ أَنْكَرُوا وُجُوبَ الزَّكَاةِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **بِالتَّأْوِيلِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يُكَفِّرُوهُمْ« اهـ. وَهَذَا شَاهِدٌ مِنْ مَنْقُولِ الْمَذْهَبِ لِمَسْئَلَةِ التَّأْوِيلِ بِالِاجْتِهَادِ**) وَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِى الْخَوَارِجِ مِنْهُمْ مَنْ كَفَّرَهُمْ بِلا اسْتِثْنَاءٍ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَّرَ فِرْقَةً مِنْهُمْ مَخْصُوصَةً. فَالَّذِينَ كَفَّرُوهُمْ جُمْلَةً اعْتَمَدُوا عَلَى حَدِيثِ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ »**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ، وَهَذَا الْحَدِيثُ ظَاهِرُهُ يَشْهَدُ بِتَكْفِيرِهِمْ لِأَنَّ فِيهِ وَصْفَ الرَّسُولِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الإِسْلامِ خُرُوجَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ أَىْ كَمَا يُصِيبُ السَّهْمُ الطَّرِيدَةَ وَيَخْرُجُ مِنْهَا بِسُرْعَةٍ. (**وَمِمَّا يَشْهَدُ مِنَ الْمَنْقُولِ فِى مَسْئَلَةِ الِاجْتِهَادِ بِالتَّأَوُّلِ وَحِكَايَةِ الْكُفْرِ قَوْلُ شَمْسِ الدِّينِ الرَّمْلِىِّ فِى شَرْحِهِ عَلَى مِنْهَاجِ الطَّالِبِينَ فِى أَوَائِلِ كِتَابِ الرِّدَّةِ فِى شَرْحِ قَوْلِ النَّوَوِىِّ الرِّدَّةُ قَطْعُ الإِسْلامِ بِنِيَّةٍ أَوْ قَوْلِ كُفْرٍ مَا نَصُّهُ »فَلا أَثَرَ لِسَبْقِ لِسَانٍ أَوْ إِكْرَاهٍ وَاجْتِهَادٍ وَحِكَايَةِ كُفْرٍ«**) وَالِاجْتِهَادُ فِى هَذَا الْبَابِ مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّخْصَ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَصِلَ إِلَيْهِ فَقَالَ كَلِمَةً شَاذَّةً كَهَؤُلاءِ الَّذِينَ قَالُوا الزَّكَاةُ كَانَتْ فِى زَمَنِ الرَّسُولِ فَرْضًا لِأَنَّ الرَّسُولَ عِنْدَمَا يَدْعُو لِلْمُزَكِّى دُعَاؤُهُ هَذَا سَكَنٌ لِلْمُزَكِّينَ أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَدِ انْقَطَعَ ذَلِكَ فَلَيْسَتْ وَاجِبَةً، مِثْلُ هَذَا يُقَالُ لَهُ اجْتِهَادٌ وَيُقَالُ لَهُ تَأْوِيلٌ أَيْضًا فَهَؤُلاءِ لا نُكَفِّرُهُمْ لِأَنَّ الَّذِى يَجْتَهِدُ فِى غَيْرِ الْقَطْعِىِّ يُقَالُ غَلِطَ وَلا يُكَفَّرُ أَمَّا مَنِ اجْتَهَدَ فِى الْقَطْعِيَّاتِ فَأَخْطَأَ فَلا يُعْذَرُ (**وَقَوْلُ الْمُحَشِّى أَىْ صَاحِبِ الْحَاشِيَةِ عَلَى الشَّرْحِ نُورِ الدِّينِ عَلِىٍّ الشَّبْرَامَلِّسِى الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَلْفٍ وَسَبْعٍ وَثَمَانِينَ عِنْدَ قَوْلِ الرَّمْلِىِّ »وَاجْتِهَادٍ« مَا نَصُّهُ »أَىْ لا مُطْلَقًا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ لِمَا سَيَأْتِى مِنْ نَحْوِ كُفْرِ الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ مَعَ أَنَّهُ بِالِاجْتِهَادِ وَالِاسْتِدْلالِ«. قَالَ الْمُحَشِّى الآخَرُ عَلَى الرَّمْلِىِّ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْمَعْرُوفُ بِالْمَغْرِبِىِّ الرَّشِيدِىِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَلْفٍ وَسِتٍّ وَتِسْعِينَ قَوْلُهُ »وَاجْتِهَادٍ« أَىْ فِيمَا لَمْ يَقُمِ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى خِلافِهِ بِدَلِيلِ كُفْرِ نَحْوِ الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ مَعَ أَنَّهُ بِالِاجْتِهَادِ اهـ وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مُتَأَوِّلٍ يَمْنَعُ عَنْهُ تَأْوِيلُهُ التَّكْفِيرَ فَلْيَجْعَلْ طَالِبُ الْعِلْمِ قَوْلَ الرَّشِيدِىِّ الْمَذْكُورَ فِيمَا لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى ذُكْرٍ يَعْنِى أَنْ يَكُونَ مُسْتَحْضِرًا لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فِى قَلْبِهِ لِأَنَّهَا مُهِمَّةٌ لِأَنَّ التَّأَوُّلَ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَاطِعِ لا يَمْنَعُ التَّكْفِيرَ عَنْ صَاحِبِهِ**) كَابْنِ تَيْمِيَةَ الَّذِى اجْتَهَدَ فَقَالَ الْعَالَمُ أَزَلِىٌّ بِجِنْسِهِ أَىْ لَمْ يَتَقَدَّمِ اللَّهُ جِنْسَ الْعَالَمِ بِالْوُجُودِ بَلْ قَالَ وَهَذَا كَمَالٌ لِلَّهِ ذَكَرَ هَذَا فِى كِتَابِ شَرْحِ حَدِيثِ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ وَهَذَا قَوْلٌ مِنْهُ بِأَنَّ اللَّهَ مَا خَلَقَ جِنْسَ الْعَالَمِ إِنَّمَا خَلَقَ الأَفْرَادَ الْمُعَيَّنَةَ وَقَالَ أَيْضًا عَنِ الْعَرْشِ إِنَّ جِنْسَهُ قَدِيمٌ لا ابْتِدَاءَ لِوُجُودِهِ أَىْ لَمْ يَسْبِقْهُ الْعَدَمُ كَمَا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْبِقْهُ الْعَدَمُ فَقَدْ سَاوَى بِقَوْلِهِ هَذَا جِنْسَ الْعَالَمِ مَعَ اللَّهِ وَأَىُّ كُفْرٍ وَشِرْكٍ هَذَا. نَقَلَ هَذَا عَنْهُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ الثِّقَةُ جَلالُ الدِّينِ الدَّوَّانِىُّ فِى شَرْحِ الْعَضُدِيَّةِ فَلا يُخَلِّصُهُ اجْتِهَادُهُ هَذَا مِنَ الْكُفْرِ، فَالْمُتَأَوِّلُ فِى الْقَطْعِيَّاتِ لا يُعْذَرُ إِذَا أَخْطَأَ وَإِلَّا لَلَزِمَ تَرْكُ تَكْفِيرِ النَّصَارَى لِأَنَّهُمْ عَلَى حَسَبِ زَعْمِهِمِ اجْتَهَدُوا، وَالْبُوذِيُّونَ أَيْضًا اجْتَهَدُوا عَلَى حَسَبِ زَعْمِهِمْ فَرَأَوْا أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ فَدَانُوا بِهِ، فَالَّذِى يَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ مُتَأَوِّلٍ يُعْذَرُ مَهْمَا كَانَ تَأَوُّلُهُ فَقَدْ عَطَّلَ الشَّرِيعَةَ (**وَقَوْلُنَا فِى الْخَوَارِجِ بِاسْتِثْنَاءِ بَعْضِهِمْ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يُكَفَّرُوا لِثُبُوتِ مَا يَقْتَضِى التَّكْفِيرَ فِى بَعْضِهِمْ كَمَا يُؤَيِّدُهُ قَوْلُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ رَوَوْا أَحَادِيثَ الْخَوَارِجِ. وَأَمَّا مَا يُرْوَى عَنْ سَيِّدِنَا عَلِىٍّ مِنْ أَنَّهُ قَالَ »إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا« فَلَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ لِلْحُكْمِ عَلَى جَمِيعِهِمْ بِالإِسْلامِ لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ إِسْنَادًا عَنْ عَلِىٍّ وَقَدْ قَطَعَ الْحَافِظُ الْمُجْتَهِدُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِىُّ بِتَكْفِيرِهِمْ وَغَيْرُهُ**) كَالْقَاضِى عِيَاضٍ وَالْقُرْطُبِىِّ (**وَحُمِلَ ذَلِكَ عَلَى اخْتِلافِ أَحْوَالِ الْخَوَارِجِ بِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ وَصَلَ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَصِلْ وَهَذِهِ الْمَسْئَلَةُ بَعْضُهُمْ عَبَّرَ عَنْهَا بِالِاجْتِهَادِ وَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ عَنْهَا بِالتَّأْوِيلِ فَمِمَّنْ عَبَّرَ بِالتَّأْوِيلِ الْحَافِظُ الْفَقِيهُ الشَّافِعِىُّ سِرَاجُ الدِّينِ الْبُلْقِينِىُّ الَّذِى قَالَ فِيهِ صَاحِبُ الْقَامُوسِ »عَلَّامَةُ الدُّنْيَا« وَعَبَّرَ بَعْضُ شُرَّاحِ مِنْهَاجِ الطَّالِبِينَ بِالِاجْتِهَادِ وَتَانِكَ الْعِبَارَتَانِ لا بُدَّ لَهُمَا مِنْ قَيْدٍ مَلْحُوظٍ. وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مُتَأَوِّلٍ يَمْنَعُ عَنْهُ تَأْوِيلُهُ التَّكْفِيرَ فَلا يَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّ ذَلِكَ مُطْلَقٌ لِأَنَّ الإِطْلاقَ فِى ذَلِكَ انْحِلالٌ وَمُرُوقٌ مِنَ الدِّينِ. أَلا تَرَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الإِسْلامِ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْفَلْسَفَةِ مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ بِاعْتِقَادِهِمُ الْقَوْلَ بِأَزَلِيَّةِ الْعَالَمِ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ وَمَعَ ذَلِكَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ بَدْرُ الدِّينِ الزَّرْكَشِىُّ فِى شَرْحِ جَمْعِ الْجَوَامِعِ فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْفَرِيقَيْنِ مِنْهُمُ الْفَرِيقَ الْقَائِلَ بِأَزَلِيَّةِ الْعَالَمِ بِمَادَّتِهِ وَصُورَتِهِ وَالْفَرِيقَ الْقَائِلَ بِأَزَلِيَّةِ الْعَالَمِ بِمَادَّتِهِ أَىْ بِجِنْسِهِ فَقَطْ مَا نَصُّهُ »وَقَدْ ضَلَّلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِى ذَلِكَ وَكَفَّرُوهُمْ«. وَكَذَلِكَ الْمُرْجِئَةُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ كَمَا لا تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ حَسَنَةٌ إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ اجْتِهَادًا وَتَأْوِيلًا لِبَعْضِ النُّصُوصِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا فَلَمْ يُعْذَرُوا**) فَإِنَّهُمْ تَأَوَّلُوا هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ﴾ حَمَلُوهَا عَلَى أَنَّ مَعْنَاهَا لا عُقُوبَةَ فِى الآخِرَةِ إِلَّا عَلَى الْكَافِرِ وَهَذَا التَّأَوُّلُ لا يَنْفَعُهُمْ **(وَكَذَلِكَ ضَلَّ فِرَقٌ غَيْرُهُمْ وَهُمْ مُنْتَسِبُونَ إِلَى الإِسْلامِ كَانَ زَيْغُهُمْ بِطَرِيقِ الِاجْتِهَادِ بِالتَّأْوِيلِ نَسْأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ عَلَى الْحَقِّ**).

(**قَاعِدَةٌ اللَّفْظُ الَّذِى لَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَالآخَرُ لَيْسَ كُفْرًا وَكَانَ الْمَعْنَى الَّذِى هُوَ كُفْرٌ ظَاهِرًا لا يُكَفَّرُ قَائِلُهُ حَتَّى يُعْرَفَ مِنْهُ أَىُّ الْمَعْنَيَيْنِ أَرَادَ، فَإِنْ قَالَ أَرَدْتُ الْمَعْنَى الْكُفْرِىَّ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الرِّدَّةِ وَإِلَّا فَلا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ**) مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ كَلِمَةَ النَّبِىِّ فِى اللُّغَةِ تَأْتِى بِمَعْنَى الأَرْضِ الْمُحْدَوْدِبَةِ الْمُرْتَفِعَةِ وَتَأْتِى بِمَعْنَى مَنْ أُوحِىَ إِلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ، فَلَوْ قَالَ شَخْصٌ الصَّلاةُ عَلَى النَّبِىِّ مَكْرُوهَةٌ وَأَرَادَ أَنَّ الصَّلاةَ عَلَى الأَرْضِ الْمُحْدَوْدِبَةِ مَكْرُوهَةٌ لِأَنَّ الشَّخْصَ لا يَخْشَعُ فِى صَلاتِهِ عَلَيْهَا فَكَلامُهُ صَحِيحٌ وَأَمَّا إِنْ أَرَادَ أَنَّ الصَّلاةَ عَلَى النَّبِىِّ أَىْ مُحَمَّدٍ مَكْرُوهَةٌ فَهُوَ كُفْرٌ لِأَنَّ ذَلِكَ تَكْذِيبٌ لِلشَّرِيعَةِ قَالَ تَعَالَى ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (**وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ اللَّفْظُ لَهُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ وَكَانَ كُلُّ مَعَانِيهِ كُفْرًا وَكَانَ مَعْنًى وَاحِدٌ مِنْهَا غَيْرَ كُفْرٍ لا يُكَفَّرُ إِلَّا أَنْ يُعْرَفَ مِنْهُ إِرَادَةُ الْمَعْنَى الْكُفْرِىِّ وَهَذَا هُوَ الَّذِى ذَكَرَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْحَنَفِيِّينَ فِى كُتُبِهِمْ**) وَقَدْ ذُكِرَ لِلَّفْظِ الَّذِى لَهُ عِدَّةُ مَعَانٍ بَعْضُهَا كُفْرٌ وَبَعْضُهَا لَيْسَ كُفْرًا مِثَالٌ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الْحَسَنِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فِى فَتَاوَى قَاضِيخَان وَهُوَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قِيلَ لَهُ صَلِّ فَقَالَ لا أُصَلِّى فَإِنْ أَرَادَ لا أُصَلِّى لِأَنِّى قَدْ صَلَّيْتُ لا يَكْفُرُ وَإِنْ أَرَادَ لا أُصَلِّى لِقَوْلِكَ لا يَكْفُرُ وَكَذَا إِنْ أَرَادَ لا أُصَلِّى أَنَا مُتَكَاسِلٌ لا يَكْفُرُ وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ لا يُصَلِّى لِأَنَّهُ مُسْتَخِفٌّ بِهَا كَفَرَ (**وَأَمَّا مَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِى الْكَلِمَةِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ قَوْلًا بِالتَّكْفِيرِ وَقَوْلٌ وَاحِدٌ بِتَرْكِ التَّكْفِيرِ أُخِذَ بِتَرْكِ التَّكْفِيرِ فَلا مَعْنَى لَهُ**) وَهُمْ يُورِدُونَ ذَلِكَ فِى الْكَلِمَةِ الصَّرِيحَةِ فِى الْكُفْرِ (**وَلا يَصِحُّ نِسْبَةُ ذَلِكَ إِلَى مِالِكٍ وَلا إِلَى أَبِى حَنِيفَةَ كَمَا نَسَبَ سَيِّدُ سَابِق**) فِى كِتَابِهِ فِقْهِ السُّنَّةِ (**شِبْهَ ذَلِكَ إِلَى مَالِكٍ وَهُوَ شَائِعٌ عَلَى أَلْسِنَةِ بَعْضِ الْعَصْرِيِّينَ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ**) فَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ مَا كَانَ مِنَ الْكَلامِ فِيهِ اسْتِخْفَافٌ بِالدِّينِ أَوْ إِنْكَارُ مَا عُلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ نُكَفِّرُ قَائِلَهُ وَلَوْ خَالَفَ فِى ذَلِكَ أَلْفُ إِنْسَانٍ وَلا نَنْظُرُ إِلَى كَثْرَةِ الْمُخَالِفِينَ وَإِنَّمَا نَنْظُرُ إِلَى مُوَافَقَةِ الْحَقِّ (**قَالَ الْعُلَمَاءُ أَمَّا الصَّرِيحُ أَىِ الَّذِى لَيْسَ لَهُ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدٌ يَقْتَضِى التَّكْفِيرَ فَيُحْكَمُ عَلَى قَائِلِهِ بِالْكُفْرِ**) وَلا يُقْبَلُ لَهُ تَأْوِيلٌ إِلَّا إِذَا كَانَ لا يَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ الَّتِى قَالَهَا فَعِنْدَئِذٍ لا يُكَفَّرُ، فَمَنْ حَصَلَ مِنْهُ كُفْرٌ صَرِيحٌ يُنْظَرُ إِلَى فَهْمِهِ وَلا يُنْظَرُ إِلَى قَصْدِهِ فَإِنْ كَانَ يَفْهَمُ الْمَعْنَى الْكُفْرِىَّ وَقَالَ لَمْ أَقْصِدْهُ كَفَرَ وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَأَوُّلُهُ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمِ الْمَعْنَى الْكُفْرِىَّ لا يَكْفُرُ وَلَكِنْ يُنْهَى عَنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ، وَأَمَّا مَنْ حَصَلَ مِنْهُ كَلامٌ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ بِحَسَبِ وَضْعِ اللُّغَةِ أَحَدُهُمَا كُفْرٌ وَالآخَرُ لَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا يُنْظَرُ إِلَى قَصْدِهِ فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الْمَعْنَى الْكُفْرِىَّ كَفَرَ وَإِلَّا فَلا يَكْفُرُ. أَمَّا اللَّفْظُ الصَّرِيحُ (**كَقَوْلِ أَنَا اللَّهُ**) فَيُحْكَمُ عَلَى قَائِلِهِ بِالْكُفْرِ (**حَتَّى لَوْ صَدَرَ هَذَا اللَّفْظُ مِنْ وَلِىٍّ فِى حَالَةِ غَيْبَةِ عَقْلِهِ يُعَزَّرُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُوَ مُكَلَّفًا تِلْكَ السَّاعَةَ قَالَ ذَلِكَ عِزُّ الدِّينِ ابْنُ عَبْدِ السَّلامِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّعْزِيرَ يُؤَثِّرُ فِيمَنْ غَابَ عَقْلُهُ كَمَا يُؤَثِّرُ فِى الصَّاحِى الْعَاقِلِ وَكَمَا يُؤَثِّرُ فِى الْبَهَائِمِ فَإِنَّهَا إِذَا جَمَحَتْ فَضُرِبَتْ تَكُفُّ عَنْ جُمُوحِهَا مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَاقِلَةٍ. كَذَلِكَ الْوَلِىُّ الَّذِى نَطَقَ بِالْكُفْرِ فِى حَالِ الْغَيْبَةِ عِنْدَمَا يُضْرَبُ أَوْ يُصْرَخُ عَلَيْهِ يَكُفُّ لِلزَّاجِرِ الطَّبِيعِىِّ عَلَى أَنَّ الْوَلِىَّ لا يَصْدُرُ مِنْهُ كُفْرٌ فِى حَالِ حُضُورِ عَقْلِهِ إِلَّا أَنْ يَسْبِقَ لِسَانُهُ لِأَنَّ الْوَلِىَّ مَحْفُوظٌ مِنَ الْكُفْرِ بِخِلافِ الْمَعْصِيَةِ الْكَبِيرَةِ أَوِ الصَّغِيرَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ عَلَى الْوَلِىِّ لَكِنْ لا يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ بَلْ يَتُوبُ عَنْ قُرْبٍ. وَقَدْ يَحْصُلُ مِنَ الْوَلِىِّ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ قَبْلَ مَوْتِهِ بِقَلِيلٍ لَكِنْ لا يَمُوتُ إِلَّا وَقَدْ تَابَ كَطَلْحَةَ** **بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرِ بنِ الْعَوَّامِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَإِنَّهُمَا خَرَجَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِىٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ بِوُقُوفِهِمَا مَعَ الَّذِينَ قَاتَلُوهُ فِى الْبَصْرَةِ فَذَكَّرَ عَلِىٌّ كُلًّا مِنْهُمَا حَدِيثًا، أَمَّا الزُّبَيْرُ فَقَالَ لَهُ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ »إِنَّكَ لَتُقَاتِلَنَّ عَلِيًّا وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ«**) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِى الْمُسْتَدْرَكِ (**فَقَالَ نَسِيتُ فَذَهَبَ مُنْصَرِفًا عَنْ قِتَالِهِ ثُمَّ لَحِقَهُ فِى طَرِيقِهِ رَجُلٌ مِنْ جَيْشِ عَلِىٍّ فَقَتَلَهُ. فَتَابَ بِتَذْكِيرِ عَلِىٍّ لَهُ فَلَمْ يَمُتْ إِلَّا تَائِبًا. وَأَمَّا طَلْحَةُ فَقَالَ لَهُ عَلِىٌّ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِىٌّ مَوْلاهُ«**) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِىُّ فِى سُنَنِهِ (**فَذَهَبَ مُنْصَرِفًا فَضَرَبَهُ مَرْوَانُ بنُ الْحَكَمِ فَقَتَلَهُ، وَهُوَ أَيْضًا تَابَ وَنَدِمَ عِنْدَ ذِكْرِ عَلِىٍّ لَهُ هَذَا الْحَدِيثَ. فَكُلٌّ مِنْهُمَا مَا مَاتَ إِلَّا تَائِبًا. وَكِلا الْحَدِيثَيْنِ صَحِيحٌ بَلِ الْحَدِيثُ الثَّانِى مُتَوَاتِرٌ. وَقَدْ ذَكَرَ الإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِىُّ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ مَغْفُورٌ لَهُمَا لِأَجْلِ الْبِشَارَةِ الَّتِى بَشَّرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ بِهَا مَعَ ثَمَانِيَةٍ ءَاخَرِينَ فِى مَجْلِسٍ وَاحِدٍ فَهَذَا مِنَ الإِمَامِ أَبِى الْحَسَنِ الأَشْعَرِىِّ إِثْبَاتٌ أَنَّهُمَا أَثِمَا. وَكَذَلِكَ قَالَ فِى حَقِّ عَائِشَةَ لِأَجْلِ أَنَّهَا مُبَشَّرَةٌ أَيْضًا وَكَانَتْ نَدِمَتْ نَدَمًا شَدِيدًا مِنْ وُقُوفِهَا فِى الْمُقَاتِلِينَ لِعَلِىٍّ حَتَّى كَانَتْ حِينَ تَذْكُرُ سَيْرَهَا إِلَى الْبَصْرَةِ وَوُقُوفَهَا مَعَ الْمُقَاتِلِينَ لِعَلِىٍّ تَبْكِى بُكَاءً شَدِيدًا يَبْتَلُّ مِنْ دُمُوعِهَا خِمَارُهَا وَهَذَا مُتَوَاتِرٌ أَيْضًا. وَقَالَ فِى غَيْرِهِمَا مِنْ مُقَاتِلِى عَلِىٍّ مِنْ أَهْلِ وَقْعَةِ الْجَمَلِ وَمِنْ أَهْلِ صِفِّينَ الَّذِينَ قَاتَلُوا مَعَ مُعَاوِيَةَ عَلِيًّا »مُجَوَّزٌ غُفْرَانُهُ وَالْعَفْوُ عَنْهُ« كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ الإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بنُ فُورَك عَنْ أَبِى الْحَسَنِ الأَشْعَرِىِّ فِى كِتَابِهِ مُجَرَّدِ مَقَالاتِ الأَشْعَرِىِّ، وَابْنُ فُورَك تِلْمِيذُ تِلْمِيذِ أَبِى الْحَسَنِ الأَشْعَرِىِّ وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَاهِلِىُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَمَا يَظُنُّ بَعْضُ الْجَهَلَةِ مِنْ أَنَّ الْوَلِىَّ لا يَقَعُ فِى مَعْصِيَةٍ فَهُوَ جَهْلٌ فَظِيعٌ. فَهَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ مِنْ أَكَابِرِ الأَوْلِيَاءِ**).

(**قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ**) عَبْدُ الْمَلِكِ (**الْجُوَيْنِىُّ**) فِى كِتَابِ الإِرْشَادِ (**»اتَّفَقَ الأُصُولِيُّونَ عَلَى أَنَّ مَنْ نَطَقَ بِكَلِمَةِ الرِّدَّةِ أَىِ الْكُفْرِ وَزَعَمَ أَنَّهُ أَضْمَرَ تَوْرِيَةً**)أَىْ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ مَعْنًى بَعِيدًا عَنِ الْمَعْنَى الْمُتَبَادِرِ مِنَ الْكَلِمَةِ لا يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ (**كُفِّرَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا«**) أَىْ يَكُونُ كَافِرًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا (**وَأَقَرَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَىْ فَلا يَنْفَعُهُ التَّأْوِيلُ الْبَعِيدُ كَالَّذِى يَقُولُ [بِعَامِيَّةِ بَعْضِ الْبِلادِ] يِلْعَن رَسُولَ اللَّهِ وَيَقُولُ قَصْدِى بِرَسُولِ اللَّهِ الصَّوَاعِقُ**) وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لا يُؤَوَّلُ كُلُّ لَفْظٍ مُنْحَرِفٍ وَإِنَّمَا يُؤَوَّلُ مَا كَانَ تَأْوِيلُهُ قَرِيبًا وَأَمَّا مَا كَانَ صَرِيحًا فِى الْمَعْنَى الْفَاسِدِ فَلا يُؤَوَّلُ فَالْحَذَرَ مِنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ الصَّرِيحَ لِمَنْ يَفْهَمُ مَعْنَاهُ (**وَقَدْ عَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ كَالْفَقِيهِ الْحَنَفِىِّ بَدْرِ الرَّشِيدِ**) فِى رِسَالَتِهِ فِى الأَلْفَاظِ الْمُكَفِّرَاتِ (**وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهِجْرِىِّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فَيَنْبَغِى الِاطِّلاعُ عَلَيْهَا فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ يَقَعْ فِيهِ فَلْيُحْذَرْ فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ أَحَدِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ أَخَذَ لِسَانَهُ وَخَاطَبَهُ**) قَائِلًا (**يَا لِسَانُ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ »أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ ءَادَمَ مِنْ لِسَانِهِ«**) رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ فى الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ (**وَمِنْ هَذِهِ الْخَطَايَا الْكُفْرُ وَالْكَبَائِرُ**) وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ قَالَ مِنَ الْكَلامِ مَا هُوَ خَيْرٌ كَذِكْرِ اللَّهِ وَأَفْضَلُهُ التَّهْلِيلُ كَسَبَ ثَوَابًا وَأَنَّ مَنْ أَمْسَكَ لِسَانَهُ عَمَّا فِيهِ مَعْصِيَةٌ فَقَدْ حَفِظَ نَفْسَهُ وَسَلِمَ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلاكِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْمَهَالِكِ سَبَبُهَا اللِّسَانُ، فَإِنْ مَاتَ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَإِنَّهُ يَنْدَمُ يَوْمَ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ (**وَفِى حَدِيثٍ ءَاخَرَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ**) وَمَعْنَى حَدِيثِ الشَّيْخَيْنِ أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ لا يَرَى أَنَّ فِيهَا ذَنْبًا وَلا يَرَاهَا ضَارَّةً لَهُ يَسْتَوْجِبُ بِهَا النُّزُولَ إِلَى قَعْرِ جَهَنَّمَ كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ رِوَايَةُ التِّرْمِذِىِّ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُنْشَرِحَ الْبَالِ أَوْ غَيْرَ مُنْشَرِحٍ، وَقَعْرُ جَهَنَّمَ مَسَافَةُ سَبْعِينَ عَامًا وَذَلِكَ مَحَلُّ الْكُفَّارِ لا يَصِلُهُ عُصَاةُ الْمُسْلِمِينَ.

## فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ

(**حُكْمُ مَنْ يَأْتِى بِإِحْدَى أَنْوَاعِ هَذِهِ الْكُفْرِيَّاتِ هُوَ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ وَحَسَنَاتُهُ**) السَّابِقَةُ (**جَمِيعُهَا فَلا تُحْسَبُ لَهُ ذَرَّةٌ مِنْ حَسَنَةٍ كَانَ سَبَقَ لَهُ أَنْ عَمِلَهَا مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ صِيَامٍ أَوْ صَلاةٍ وَنَحْوِهَا**) مِنْ وُجُوهِ الْخَيْرِ أَىْ إِنْ رَجَعَ إِلَى الإِسْلامِ لَمْ تَرْجِعْ إِلَيْهِ حَسَنَاتُهُ الَّتِى خَسِرَهَا (**إِنَّمَا تُحْسَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ الْجَدِيدَةُ الَّتِى يَقُومُ بِهَا بَعْدَ تَجْدِيدِ إِيمَانِهِ**) أَىْ بَعْدَ دُخُولِهِ فِى الإِسْلامِ مِنْ جَدِيدٍ (**قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾**) وَأَمَّا ذُنُوبُهُ الَّتِى عَمِلَهَا فِى أَثْنَاءِ الرِّدَّةِ وَقَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا لا تُمْحَى عَنْهُ بِرُجُوعِهِ إِلَى الإِسْلامِ وَإِنَّمَا الَّذِى يُغْفَرُ لَهُ بِذَلِكَ هُوَ الْكُفْرُ لا غَيْرُ بِخِلافِ الْكَافِرِ الأَصْلِىِّ فَإِنَّ ذُنُوبَهُ تُمْحَى بِإِسْلامِهِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**الإِسْلامُ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ**« رَوَاهُ مُسْلِمٌ (**وَإِذَا قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يُجِدِّدَ إِيمَانَهُ**) أَىْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلامِ (**بِقَوْلِهِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى حَالَتِهِ هَذِهِ فَلا يَزِيدُهُ قَوْلُهُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا إِثْمًا وَكُفْرًا لِأَنَّهُ**) يَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ وَهُوَ عَلَى الْكُفْرِ وَاللَّهُ تَعَالَى لا يَغْفِرُ كُفْرَ الْكَافِرِ وَذُنُوبَهُ وَهُوَ عَلَى كُفْرِهِ فَهُوَ (**يُكَذِّبُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾**). وَ(**رَوَى ابْنُ حِبَّانَ**) مَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ (**عَنْ عِمْرَانَ بنِ الْحُصَيْنِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ**) مِنَ الْمُشْرِكِينَ (**فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ خَيْرٌ لِقَوْمِهِ مِنْكَ كَانَ يُطْعِمُهُمُ الْكَبِدَ وَالسَّنَامَ**) أَىْ سَنَامَ الإِبِلِ وَهُوَ طَعَامٌ فَاخِرٌ عِنْدَ الْعَرَبِ (**وَأَنْتَ تَنْحَرُهُمْ**) أَىْ تَقْتُلُهُمْ فِى الْجِهَادِ (**فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ**) مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّسُولَ رَدَّ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْكَلامِ (**فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ قَالَ مَا أَقُولُ قَالَ »قُلِ اللَّهُمَّ قِنِى شَرَّ نَفْسِى وَاعْزِمْ لِى عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِى«**) أَىْ دُلَّنِى عَلَى مَا فِيهِ خَيْرِي وَصَلاحِى (**فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ ثُمَّ**) عَادَ بَعْدَ مُدَّةٍ وَ(**قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ إِنِّى أَتَيْتُكَ فَقُلْتُ عَلِّمْنِى فَقُلْتَ »قُلِ اللَّهُمَّ قِنِى شَرَّ نَفْسِى وَاعْزِمْ لِى عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِى« فَمَا أَقُولُ الآنَ حِينَ أَسْلَمْتُ قَالَ »قُلِ اللَّهُمَّ قِنِى شَرَّ نَفْسِى وَاعْزِمْ لِى عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا عَمَدْتُ وَمَا أَخْطَأْتُ وَمَا جَهِلْتُ«**) فَهَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الإِنْسَانَ مَا دَامَ كَافِرًا لا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ذَنْبِى لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا لَكَانَ الرَّسُولُ عَلَّمَهُ من الأَوَّلِ الِاسْتِغْفَارَ اللَّفْظِىَّ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُعَلِّمْهُ الِاسْتِغْفَارَ اللَّفْظِىَّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ أَلَيْسَ كَانَ نُوحٌ يَقُولُ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾ فَالْجَوَابُ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**﴾ أَىِ اطْلُبُوا مَغْفَرِةَ اللَّهِ بِالدُّخُولِ فِى الإِسْلامِ بِتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَالإِيمَانِ بِى أَنِّى نَبِىُّ اللَّهِ. (**وَمِنْ أَحْكَامِ الرِّدَّةِ أَنَّ الْمُرْتَدَّ يَفْسُدُ صِيَامُهُ وَتَيَمُّمُهُ وَنِكَاحُهُ قَبْلَ الدُّخُولِ وَكَذَا بَعْدَهُ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الإِسْلامِ فِى الْعِدَّةِ**) وَلا فَرْقَ فِى حُكْمِ انْفِسَاخِ الْعَقْدِ بَيْنَ أَنْ يَرْتَدَّ الزَّوْجُ أَوْ تَرْتَدَّ الزَّوْجَةُ، وَلَوِ ارْتَدَّ أَحَدُهُمَا وَعَرَفَ الآخَرُ بِذَلِكَ ثُمَّ حَصَلَ جِمَاعٌ بَيْنَهُمَا فَهُوَ زِنًى مِنْهُمَا وَكِلاهُمَا ءَاثِمٌ. فَإِنْ جَامَعَ الزَّوْجُ الْمُسْلِمُ زَوْجَتَهُ الْمُرْتَدَّةَ وَهُوَ لا يَعْلَمُ بِرِدَّتِهَا فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَيُنْسَبُ الأَوْلادُ الْمُنْعَقِدُونَ مِنْ هَذَا الْوَطْءِ إِلَيْهِمَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْمُرْتَدُّ هُوَ الزَّوْجُ وَجَامَعَ زَوْجَتَهُ الْمُسْلِمَةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِفَ بِرِدَّتِهِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهَا وَلَكِنْ يُنْسَبُ الْوَلَدُ لَهَا دُونَهُ (**وَلا يَصِحُّ عَقْدُ نِكَاحِهِ**) أَىِ الْمُرْتَدِّ (**لا عَلَى مُسْلِمَةٍ وَلا كَافِرَةٍ وَلَوْ مُرْتَدَّةٍ مِثْلِهِ**).

## عَوْدٌ إِلَى تَقْسِيمِ الْكُفْرِ لِزِيَادَةِ فَائِدَةٍ

(**وَاعْلَمْ أَنَّ الْكُفْرَ ثَلاثَةُ أَبْوَابٍ إِمَّا تَشْبِيهٌ أَوْ تَكْذِيبٌ أَوْ تَعْطِيلٌ، أَحَدُهَا التَّشْبِيهُ أَىْ تَشْبِيهُ اللَّهِ بِخَلْقِهِ كَمَنْ يَصِفُهُ بِالْحُدُوثِ أَوِ الْفَنَاءِ أَوِ الْجِسْمِ أَوِ اللَّوْنِ أَوِ الشَّكْلِ أَوِ الْكَمِيَّةِ أَىْ مِقْدَارِ الْحَجْمِ**) فَمَنْ وَقَعَ فِى التَّشْبِيهِ فَعَبَدَ صُورَةً مَا أَوْ خَيَالًا تَخَيَّلَهُ يَكُونُ بِذَلِكَ مِنَ الْكَافِرِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْهُمْ لِأَنَّ الَّذِى يُشَبِّهُ اللَّهَ بِخَلْقِهِ يَكُونُ مُكَذِّبًا لِـلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَعْنًى وَلَوْ قَالَهَا لَفْظًا (**أَمَّا مَا وَرَدَ فِى الْحَدِيثِ »إِنَّ اللَّهَ** **جَمِيلٌ« فَلَيْسَ مَعْنَاهُ جَمِيلَ الشَّكْلِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ جَمِيلُ الصِّفَاتِ**) أَىْ صِفَاتُهُ كَامِلَةٌ (**أَوْ مُحْسِنٌ**) أَىْ يُحْسِنُ لِعِبَادِهِ وَيَتَكَرَّمُ عَلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ، وَتَمَامُ الْحَدِيثِ »**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**« وَمَعْنَى »**يُحِبُّ الْجَمَالَ**« يُحِبُّ نَظَافَةَ الْخُلُقِ وَالْبَدَنِ وَالثَّوْبِ وَأَحَبُّ إِلَيْهِ نَظَافَةُ الْخُلُقِ. وَ(**ثَانِيهَا**) أَىْ ثَانِى أَبْوَابِ الْكُفْرِ (**التَّكْذِيبُ أَىْ تَكْذِيبُ مَا وَرَدَ فِى الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ أَوْ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهٍ ثَابِتٍ وَكَانَ مِمَّا عُلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ**) أَىْ مَعْلُومًا عِنْدَ الْجَاهِلِ وَالْعَالِمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (**كَاعْتِقَادِ فَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**) أَوْ إِحْدَاهُمَا (**أَوِ**) اعْتِقَادِ (**أَنَّ الْجَنَّةَ لَذَّاتٌ غَيْرُ حِسِيَّةٍ وَأَنَّ النَّارَ ءَالامٌ مَعْنَوِيَّةٌ**) وَهُوَ كُفْرٌ بِالإِجْمَاعِ لِأَنَّ هَذَا إِنْكَارٌ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ الصَّرِيحَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ الْمَعْرُوفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْعُلَمَاءِ وَالْعَوَامِّ. وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فِيهَا لَذَّاتٌ حِسِيَّةٌ ءَايَاتٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى **﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾، وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّارَ فِيهَا ءَالامٌ حِسِيَّةٌ ءَايَاتٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾ (**أَوْ إِنْكَارِ بَعْثِ الأَجْسَادِ وَالأَرْوَاحِ مَعًا**) فَإِنِ اعْتَقَدَ مُعْتَقِدٌ أَنَّ الأَرْوَاحَ تُبْعَثُ فَقَطْ دُونَ الأَجْسَادِ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ لِتَكْذِيبِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ**﴾ (**أَوْ إِنْكَارِ**) أَىِّ أَمْرٍ مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ كَإِنْكَارِ (**وُجُوبِ الصَّلاةِ أَوِ الصِّيَامِ أَوِ الزَّكَاةِ**) وَنَقَلَ الْقَاضِى عِيَاضٌ فِى الشِّفَا الإِجْمَاعَ عَلَى تَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ وُجُوبَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَعَدَدَ رَكَعَاتِهَا وَسَجَدَاتِهَا (**أَوِ اعْتِقَادِ تَحْرِيمِ الطَّلاقِ**) عَلَى الإِطْلاقِ فَإِنَّ فَسَادَ هَذَا ظَاهِرٌ بَيْنَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ (**أَوِ تَحْلِيلِ**) شُرْبِ (**الْخَمْرِ**) فَقَدْ أَجْمَعَ عَلَى تَحْرِيمِهَا الأَئِمَّةُ مِنْ عَهْدِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَيَّامِنَا هَذِهِ وَانْتَشَرَ هَذَا الْحُكْمُ وَشُهِرَ حَتَّى بَيْنَ مَنْ يَشْرَبُهَا مِنَ الأُمَّةِ (**وَ**)لِذَلِكَ جَزَمَ الْعُلَمَاءُ بِتَكْفِيرِ مَنْ أَحَلَّ شُرْبَهَا مُطْلَقًا. وَيَكْفُرُ مَنْ أَنْكَرَ (**غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ثَبَتَ بِالْقَطْعِ وَظَهَرَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا بِخِلافِ مَنْ يَعْتَقِدُ بِوُجُوبِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ مَثَلًا لَكِنَّهُ لا يُصَلِّى فَإِنَّهُ يَكُونُ عَاصِيًا لا كَافِرًا كَمَنْ يَعْتَقِدُ عَدَمَ وُجُوبِهَا عَلَيْهِ**) وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ لا يَكْفُرُ إِذَا لَمْ يَسْتَحِلَّهَا وَ(**ثَالِثُهَا**) أَىْ ثَالِثُ أَبْوَابِ الْكُفْرِ (**التَّعْطِيلُ أَىْ نَفْىُ وُجُودِ اللَّهِ وَهُوَ أَشَدُّ الْكُفْرِ**) عَلَى الإِطْلاقِ. وَكَذَلِكَ كُفْرُ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةِ وَهُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ وَالْعَالَمَ وَاحِدٌ وَكُفْرُ الْحُلُولِ وَهُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ يَحُلُّ فِى غَيْرِهِ (**وَحُكْمُ مَنْ يُشَبِّهُ اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ التَّكْفِيرُ قَطْعًا**) وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشَبِّهَ لا يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى وَإِنَّمَا يَعْبُدُ صُورَةً تَخَيَّلَهَا وَتَوَهَّمَهَا وَمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ فَلا يَكُونُ مُسْلِمًا (**وَالسَّبِيلُ إِلَى صَرْفِ التَّشْبِيهِ**) وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى التَّنْزِيهِ (**اتِّبَاعُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْقَاطِعَةِ »مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ بِخِلافِ ذَلِكَ«**) لِأَنَّ مَا يَتَصَوَّرُهُ الإِنْسَانُ بِبَالِهِ خَيَالٌ وَمِثَالٌ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ (**وَهِىَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ وَهِىَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ** **كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾**) رَوَى هَذَا الْقَوْلَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ الدِّمَشْقِىُّ فِى تَارِيخِ دِمَشْقَ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ إِلَى ذِى النُّونِ الْمِصْرِىِّ وَهَذَا الْقَوْلُ نَقَلَهُ أَيْضًا أَبُو الْفَضْلِ التَّمِيمِىُّ الْحَنْبَلِىُّ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ (**وَمُلاحَظَةُ مَا رُوِىَ عَنْ**) أَبِى بَكْرٍ (**الصِّدِّيقِ [شِعْرٌ مِنَ الْبَسِيطِ] الْعَجْزُ عَنْ دَرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ وَالْبَحْثُ عَنْ ذَاتِهِ كُفْرٌ وَإِشْرَاكُ**) رَوَى الزَّرْكَشِىُّ شَطْرَهُ الأَوَّلَ فَقَطْ فِى تَشْنِيفِ الْمَسَامِعِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ لا كَالْمَوْجُودَاتِ وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ تَصْوِيرُهُ فِى النَّفْسِ وَاقْتَصَرَ عَلَى هَذَا وَاعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِهِ أَىْ عَنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ وَلَمْ يَبْحَثْ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ لِلْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَةِ اللَّهِ فَهَذَا إِيمَانٌ، أَمَّا الَّذِى لا يَكْتَفِى بِذَلِكَ وَيُرِيدُ بِزَعْمِهِ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ وَيَبْحَثَ عَنْ ذَاتِهِ وَلا يَكْتَفِى بِهَذَا الْعَجْزِ فَيَتَصَوَّرُهُ كَالإِنْسَانِ أَوْ كَكُتْلَةٍ نُورَانِيَّةٍ أَوْ يَتَصَوَّرُهُ حَجْمًا مُسْتَقِّرًا فَوْقَ الْعَرْشِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَهَذَا كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى (**وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ لا يَعْرِفُ اللَّهَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى**) مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ عَالِمٌ بِذَاتِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ (**وَ**)أَمَّا (**مَعْرِفَتُنَا نَحْنُ بِاللَّهِ تَعَالَى**) فَهِىَ (**لَيْسَتْ عَلَى سَبِيلِ الإِحَاطَةِ**) إِذْ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى الْحَقِيقَةِ حَتَّى الأَنْبِيَاءُ وَالأَوْلِيَاءُ لا يَعْرِفُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِالإِحَاطَةِ (**بَلْ بِمَعْرِفَةِ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى**) مِنَ الصِّفَاتِ (**كَوُجُوبِ**) الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ وَ(**الْقِدَمِ لَهُ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى كَاسْتِحَالَةِ**) الْعَجْزِ وَالْحَجْمِ وَ(**الشَّرِيكِ لَهُ وَ**)مَعْرِفَةِ (**مَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى كَخَلْقِ شَىْءٍ وَتَرْكِهِ**) أَىْ كَإِيجَادِ شَىْءٍ وَإِعْدَامِهِ فَاللَّهُ تَعَالَى يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ وَيَتْرُكَ مَا يَشَاءُ أَىْ لا يَخْلُقَهُ (**قَالَ الإِمَامُ**) أَحْمَدُ (**الرِّفَاعِىُّ »غَايَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ**) أَىْ أَقْصَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ (**الإِيقَانُ**) أَىِ الِاعْتِقَادُ الْجَازِمُ الَّذِى لا شَكَّ فِيهِ (**بِوُجُودِهِ تَعَالَى بِلا كَيْفٍ وَلا مَكَانٍ«**) فَقَوْلُهُ بِلا كَيْفٍ صَرِيحٌ فِى نَفْىِ الْجِسْمِ وَالْحَيِّزِ وَالشَّكْلِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَالِاتِّصَالِ وَالِانْفِصَالِ وَالْقُعُودِ إِذْ كُلُّ ذَلِكَ شَىْءٌ غَيْرُهُ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ. فَالْكَيْفُ يَشْمَلُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ فَمَنْ أَيْقَنَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِلا كَيْفٍ وَلا مَكَانٍ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى غَايَةِ مَا يَبْلُغُ الإِنْسَانُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ.

**فَائِدَةٌ**

(**قَالَ الْغَزَالِىُّ فِى إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ »إِنَّهُ [أَىِ اللَّه] أَزَلِىٌّ لَيْسَ لِوُجُودِهِ أَوَّلٌ وَ**)أَبَدِىٌّ (**لَيْسَ لِوُجُودِهِ ءَاخِرٌ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ يَتَحَيَّزُ**) وَالْجَوْهَرُ عِنْدَ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ أَصْلُ الشَّىْءِ وَهُوَ مَا لَهُ تَحَيُّزٌ وَقِيَامٌ بِذَاتِهِ، وَهُوَ إِمَّا مُرَكَّبٌ وَإِمَّا مُفْرَدٌ فَالْمُفْرَدُ هُوَ الْجُزْءُ الَّذِى لا يَتَجَزَّأُ مِنْ تَنَاهِيهِ فِى الْقِلَّةِ وَيُقَالُ لَهُ الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ، وَالْمُرَكَّبُ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوْهَرَيْنِ فَأَكْثَرَ. فَاللَّهُ تَعَالَى لا يُشْبِهُ ذَلِكَ كُلَّهُ (**بَلْ يَتَعَالَى وَيَتَقَدَّسُ عَنْ مُنَاسَبَةِ الْحَوَادِثِ**) أَىْ يَتَنَزَّهُ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ (**وَإِنَّهُ** **لَيْسَ بِجِسْمٍ مُؤَلَّفٍ مِنْ جَوَاهِرَ**) وَالْجِسْمُ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوْهَرَيْنِ فَأَكْثَرَ بِأَنْ يَنْضَمَّ جَوْهَرٌ إِلَى جَوْهَرٍ ءَاخَرَ فَيَصِيرُ قَابِلًا لِلْقِسْمَةِ (**وَلَوْ جَازَ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ جِسْمٌ لَجَازَ أَنْ تُعْتَقَدَ الأُلُوهِيَّةُ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ أَوْ لِشَىْءٍ ءَاخَرَ مِنْ أَقْسَامِ الأَجْسَامِ**) فَلَوْ كَانَتِ الأُلُوهِيَّةُ تَصِحُّ لِشَىْءٍ مِنَ الأَجْسَامِ لَكَانَتِ الشَّمْسُ أَوْلَى بِالأُلُوهِيَّةِ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا مِمَّا هُوَ مَحْسُوسٌ لِكُلِّ الْخَلْقِ. فَكُلُّ مَا لَهُ حَيِّزٌ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَالتَّحَيُّزُ هُوَ أَخْذُ مِقْدَارٍ مِنَ الْفَرَاغِ. فَلَوْ قَالَ أَحَدُ عَبَدَةِ الشَّمْسِ الْمُلْحِدِينَ لِمُسْلِمٍ أَنْتَ تَقُولُ إِنَّ دِينِىَ هُوَ الصَّحِيحُ وَتَقُولُ عَنِّى إِنَّ دِينِىَ بَاطِلٌ فَأَيْنَ الدَّلِيلُ، فَإِنْ قَالَ لَهُ هذا الْمُسْلِمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**أَفِى اللَّهِ شَّكٌّ**﴾ يَقُولُ الْمُلْحِدُ أَنَا لا أُؤْمِنُ بِكِتَابِكَ أَعْطِنِى دَلِيلًا عَقْلِيًّا فَإِنْ كَانَ هَذَا الْمُسْلِمُ يَفْهَمُ الدَّلِيلَ الْعَقْلِىَّ وَالدَّلِيلَ النَّقْلِىَّ عَلَى وَجْهِهِ يَقُولُ هَذِهِ الشَّمْسُ لَهَا هَيْئَةٌ وَشَكْلٌ وَحُدُودٌ وَالشَّىْءُ الْمَحْدُودُ يَحْتَاجُ إِلَى حَادٍّ حَدَّهُ بِهَذَا الْحَدِّ ثُمَّ هِىَ مُتَطَوِّرَةٌ وَالْمُتَطَوِّرُ يَحْتَاجُ إِلَى مُطَوِّرٍ لَهُ فَهَذِهِ لا تَصْلُحُ عَقْلًا أَنْ تَكُونَ إِلَهًا كَمَا أَنْتَ تَزْعُمُ، وَأَمَّا دِينِى فَحَقٌّ لِأَنَّ دِينِىَ يَقُولُ إِنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ لا يُشْبِهُهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَدِّ وَالْمَكَانِ وَالشَّكْلِ وَالْكَيْفِيَّةِ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا فِى هَذَا الْعَالَمِ مِنْ صِفَةٍ فَلِذَلِكَ دِينِى هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِى يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ فَيَكُونُ هَذَا الْمُسْلِمُ قَطَعَ بِهَذَا الدَّلِيلِ الْعَقْلِىِّ عَابِدَ الشَّمْسِ وَأَدْحَضَ دَعْوَاهُ (**فَإِذًا**) اللَّهُ تَعَالَى (**لا يُشْبِهُ شَيْئًا وَلا يُشْبِهُهُ شَىْءٌ بَلْ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ الَّذِى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَأَنَّى يُشْبِهُ الْمَخْلُوقُ خَالِقَهُ وَالْمُقَدَّرُ مُقَدِّرَهُ وَالْمُصَوَّرُ مُصَوِّرَهُ«**) إِذْ لَوْ أَشْبَهَ الْحَادِثَاتِ بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ لَكَانَ حَادِثًا وَهُوَ مُحَالٌ وَهَذَا كُلُّهُ يُعْلَمُ بِعِلْمِ التَّوْحِيدِ الَّذِى يُعْرَفُ بِهِ مَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ وَمَا لا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَجِبُ لَهُ أَىْ أَنْ يُعْرَفَ فِى حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ أَبُو حَنِيفَةَ الْفِقْهَ الأَكْبَرَ إِيذَانًا وَإِعْلامًا بِأَنَّهُ هُوَ الْفِقْهُ الَّذِى هُوَ أَشْرَفُ وَأَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ (**فَلَيْسَ هَذَا الْكَلامَ الَّذِى عَابَهُ الْعُلَمَاءُ وَإِنَّمَا عَابَ السَّلَفُ كَلامَ الْمُبْتَدِعَةِ فِى الِاعْتِقَادِ كَالْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ وَسَائِرِ الْفِرَقِ الَّتِى شَذَّتْ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ وَالصَّحَابَةُ**) فَإِنَّ لَهُمْ مَقَالاتٍ يُجَادِلُونَ عَلَيْهَا لِيُوهِمُوا النَّاسَ أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ بَاطِلٌ. وَهَذَا هُوَ الَّذِى عَنَاهُ الشَّافِعِىُّ بِقَوْلِهِ الَّذِى رَوَاهُ عَنْهُ الإِمَامُ الْمُجْتَهِدُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بنُ الْمُنْذِرِ فِى الأَوْسَطِ »**لَأَنْ يَلْقَى اللَّهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلا الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَىْءٍ مِنَ الأَهْوَاءِ**« أَىِ الْعَقَائِدِ الَّتِى مَالَ إِلَيْهَا الْمُخَالِفُونَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ (**الَّذِينَ افْتَرَقُوا إِلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ فِى حَدِيثِهِ الصَّحِيحِ الثَّابِتِ الَّذِى رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى على اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِى إِلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِى النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِىَ الْجَمَاعَةُ« أَىِ السَّوَادُ الأَعْظَمُ. وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلامِ الَّذِى يَشْتَغِلُ بِهِ** **أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيدِيَّةِ فَقَدْ عُمِلَ بِهِ مِنْ قَبْلِ الأَشْعَرِىِّ وَالْمَاتُرِيدِىِّ كَأَبِى حَنِيفَةَ فَإِنَّ لَهُ خَمْسَ رَسَائِلَ فِى ذَلِكَ وَالإِمَامُ الشَّافِعِىُّ كَانَ يُتْقِنُهُ حَتَّى إِنَّهُ قَالَ »أَتْقَنَّا ذَاكَ قَبْلَ هَذَا« أَىْ أَتْقَنَّا عِلْمَ الْكَلامِ قَبْلَ الْفِقْهِ**) رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ فِى مَنَاقِبِ الشَّافِعِىِّ فَعِلْمُ الْكَلامِ الَّذِى يُعْرَفُ بِهِ أَدِلَّةُ الرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ فَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ فَيَجِبُ أَنْ يَقُومَ بِذَلِكَ مَنْ تَحْصُلُ بِهِ الْكِفَايَةُ لِأَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ إِزَالَةِ الْمُنْكَرِ وَهَذَا مِنْ أَفْرَضِ الْفُرُوضِ لِأَنَّهُ حِفْظٌ لِأُصُولِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

## الْوِقَايَةُ مِنَ النَّارِ

(**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**) مَعْنَاهُ جَنِّبُوا أَنْفُسَكُمُ النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ فَإِنَّ الأَرْضَ بَعْدَ أَنْ يُحَاسَبَ النَّاسُ عَلَيْهَا تُرْمَى فِى جَهَنَّمَ لِتَزِيدَهَا وَقُودًا وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ تُرْمَى فِى جَهَنَّمَ بَعْدَ أَنْ يُطْمَسَ نُورُهَا وَكَذَلِكَ الْقَمَرُ (**﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ﴾**) أَىْ أَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ وَلا يَرْحَمُونَ الْكَافِرَ (**﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**) أَىْ أَنَّ الْمَلائِكَةَ مَجْبُولُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ أَىْ لا يَخْتَارُونَ إِلَّا الطَّاعَةَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَقُومُ بِمَا أُمِرَ بِهِ بِلا تَقْصِيرٍ (**وَجَاءَ فِى تَفْسِيرِ**) هَذِهِ (**الآيَةِ**) عَنْ سَيِّدِنَا عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ بِإِسْنَادٍ قَوِىٍّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِى الْمُسْتَدْرَكِ (**أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلَهُمُ النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ بِتَعَلُّمِ الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَتَعْلِيمِ أَهْلِيهِمْ ذَلِكَ أَىْ مَعْرِفَةِ مَا فَرَضَ اللَّهُ فِعْلَهُ أَوِ اجْتِنَابَهُ أَىِ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ وَذَلِكَ كَىْ لا يَقَعَ فِى التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلالِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَنْ يُشَبِّهُ اللَّهَ تَعَالَى بِشَىْءٍ مَا لَمْ تَصِحَّ عِبَادَتُهُ لِأَنَّهُ يَعْبُدُ شَيْئًا تَخَيَّلَهُ وَتَوَهَّمَهُ فِى مُخَيِّلَتِهِ وَأَوْهَامِهِ قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِىُّ »لا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْمَعْبُودِ«**) فَالَّذِى يَعْبُدُ شَيْئًا تَخَيَّلَهُ وَتَوَهَّمَهُ فِى مُخَيِّلَتِهِ فِعِبَادَتُهُ بَاطِلَةٌ لِأَنَّ وَهْمَ الإِنْسَانِ يَدُورُ حَوْلَ مَا أَلِفَهُ فَإِنَّ وَهْمَنَا أَلِفَ الشَّىْءَ الْمَحْسُوسَ الَّذِى لَه حَدٌّ وَشَكْلٌ وَلَوْنٌ وَحَيِّزٌ فَالْعِبْرَةُ وَالِاعْتِبَارُ بِالْعَقْلِ لا بِالْوَهْمِ.

## مَا جَاءَ فِى بَدْءِ الْخَلْقِ

(**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ بَدْءِ الأَمْرِ »كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَىْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِى الذِّكْرِ كُلَّ شَىْءٍ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ**) وَالسَّائِلُ هُمْ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِى الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ بَدْءِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ (**أَجَابَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ** **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ بِأَنَّ اللَّهَ لا بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ أَىْ أَزَلِىٌّ وَلا أَزَلِىَّ سِوَاهُ**) لِأَنَّهُ فِى الأَزَلِ لَمْ يَكُنْ مَاءٌ وَلا هَوَاءٌ وَلا نُورٌ وَلا مَكَانٌ وَلا ظَلامٌ وَلا لَيْلٌ وَلا نَهَارٌ (**وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى فَفِى الأَزَلِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى**) وَقَوْلُهُ »**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**« أَىْ وُجِدَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ أَىْ أَنَّ الْمَاءَ خُلِقَ قَبْلَ الْعَرْشِ ثُمَّ خُلِقَ الْعَرْشُ فَهُمَا أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ أَمَّا مِنْ غَيْرِ الْمَحْسُوسَةِ فَالزَّمَانُ والْمَكَانُ وُجِدَا بِوُجُودِ الْمَاءِ، وَالْعَرْشُ سَرِيرٌ كَبِيرٌ لَهُ أَرْبَعَةُ قَوَائِمَ لَيْسَ كَسَرِيرِنَا يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »**وَكَتَبَ فِى الذِّكْرِ كُلَّ شَىْءٍ**« أَىْ أَمَرَ اللَّهُ الْقَلَمَ الأَعْلَى بِأَنْ يَكُتْبَ عَلَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْقَلَمُ وَاللَّوْحُ جِرْمَانِ عَظِيمَانِ عُلْوِيَّانِ لَيْسَا كَأَقْلامِنَا وَأَلْوَاحِنَا، وَقَوْلُهُ »**ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**« مَعْنَاهُ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ خُلِقَتْ بَعْدَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الأَرْبَعَةِ وَذَلِكَ بَعْدَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة لِحَدِيثِ مُسْلِمٍ »**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة**« وَالسَّمَوَاتُ وَهِىَ سَبْعٌ وَالأَرَضُونَ وَهِىَ سَبْعٌ وَكُلُّ سَمَاءٍ مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الأُخْرَى بِفَرَاغٍ وَاسِعٍ وَكُلُّ أَرْضٍ مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الأُخْرَى بِفَرَاغٍ وَاسِعٍ. وَاللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكُلُّ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ قَدْرُ أَلْفِ سَنَةٍ بِتَقْدِيرِ أَيَّامِنَا هَذِهِ (**وَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ أَىْ مُخْرِجُهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَمَعْنَى خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ أَنَّهُ أَخْرَجَ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ**) وَلا يُضَافُ الْخَلْقُ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا لِلَّهِ (**وَاللَّهُ تَعَالَى حَىٌّ لا يَمُوتُ لِأَنَّهُ لا نِهَايَةَ لِوُجُودِهِ أَىْ أَبَدِىٌّ فَلا يَطْرَأُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ إِذْ لَوْ جَازَ عَلَيْهِ الْعَدَمُ لَاسْتَحَالَ عَلَيْهِ الْقِدَمُ أَىِ الأَزَلِيَّةُ**) ثُمَّ الأَزَلِىُّ لا يَكُونُ إِلَّا أَبَدِيًّا أَىْ أَنَّ الَّذِى لَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ لا يَلْحَقُهُ عَدَمٌ (**وَحُكْمُ مَنْ يَقُولُ »اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ« التَّكْفِيرُ قَطْعًا لِأَنَّهُ نَسَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْعَدَمَ قَبْلَ الْوُجُودِ وَلا يُقَالُ ذَلِكَ إِلَّا فِى الْحَوَادِثِ أَىِ الْمَخْلُوقَاتِ**) رَوَى مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ ءَامَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**« فَفِى هَذَا الْحَدِيثِ دَوَاءٌ لِمَا يُخَالِجُ كَثِيرًا مِنَ النُّفُوسِ، وقَوْلُهُمْ مَنْ خَلَقَ اللَّهَ هُوَ سُؤَالُ الْمُحَالِ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِى تَقْتَضِيهِ الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ وَالنُّصُوصُ الْقُرْءَانِيَّةُ أَنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَزَلِيًّا فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَالِقٌ (**فَاللَّهُ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ أَىْ لا يُتَصَوَّرُ فِى الْعَقْلِ عَدَمُهُ فَلَيْسَ وُجُودُهُ كَوُجُودِنَا الْحَادِثِ لِأَنَّ وُجُودَنَا بِإِيجَادِهِ تَعَالَى وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ جَائِزُ الْوُجُودِ أَىْ يُمْكِنُ عَقْلًا وُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمٍ وَإِعْدَامُهُ بَعْدَ وُجُودِهِ بِالنَّظَرِ لِذَاتِهِ فِى حُكْمِ الْعَقْلِ**) أَمَّا الْمُسْتَحِيلُ الْعَقْلِىُّ فَهُوَ مَا لا يُتَصَوَّرُ فِى الْعَقْلِ وُجُودُهُ كَوُجُودِ الشَّرِيكِ لِلَّهِ (**وَاعْلَمْ أَنَّ أَقْسَامَ الْمَوْجُودِ ثَلاثَةٌ الأَوَّلُ أَزَلِىٌّ أَبَدِىٌّ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَطْ أَىْ لا بِدَايَةَ وَلا نِهَايَةَ لِوُجُودِهِ**) وَقَدْ سُئِلَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ اللَّهِ فَقَالَ »**كَانَ كَمَا هُوَ وَيَكُونُ عَلَى مَا كَانَ**« ذَكَرَهُ فِى إِحْدَى رَسَائِلِهِ الْخَمْسِ فَقَوْلُهُ »كَانَ كَمَا هُوَ« فِيهِ إِثْبَاتُ الأَزَلِيَّةِ وَقَوْلُهُ »وَيَكُونُ عَلَى مَا كَانَ« فِيهِ إِثْبَاتُ الأَبَدِيَّةِ. فَاللَّهُ تَعَالَى لا بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ لِأَنَّهُ أَزَلِىٌّ وَبِثُبُوتِ الْقِدَمِ لَهُ عَقْلًا وَجَبَ لَهُ الْبَقَاءُ لِأَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ الْعدَمُ لَانْتَفَى عَنْهُ الْقِدَمُ وَانْتِفَاءُ الْقِدَمِ عَنْهُ مُسْتَحِيلٌ فَانْتَفَى عَنْهُ إِمْكَانُ الْفَنَاءِ فَهُوَ الْبَاقِى لِذَاتِهِ. وَيَجِبُ الْقِدَمُ أَيْضًا لِصِفَاتِهِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنْ صِفَاتُهُ أَزَلِيَّةً بَلْ كَانَتْ تَحْدُثُ فِى الذَّاتِ لَكَانَ ذَلِكَ مُوجِبًا لِحُدُوثِ الذَّاتِ فَعُلِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لا يَطْرَأُ عَلَى اللَّهِ صِفَةٌ لَمْ تَكُنْ فِى الأَزَلِ (**وَحُكْمُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هُنَاكَ شَيْئًا أَزَلِيًّا سِوَى اللَّهِ التَّكْفِيرُ قَطْعًا وَلِذَلِكَ كَفَرَتِ الْفَلاسِفَةُ بِاعْتِقَادِهِمُ السَّفِيهِ أَنَّ الْعَالَمَ قَدِيمٌ أَزَلِىٌّ لِأَنَّ الأَزَلِيَّةَ لا تَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى فَقَطْ**) فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْعَالَمَ أَزَلِىٌّ لا بِدَايَةَ لَهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا مَعَ اللَّهِ بِمَادَّتِهِ وَصُورَتِهِ أَوْ بِمَادَّتِهِ فَقَطْ كَابْنِ تَيْمِيَةَ فَهُوَ كَافِرٌ قَالَ الزَّرْكَشِىُّ فِى كِتَابِهِ تَشْنِيفِ الْمَسَامِعِ »وَهَذَا الْعَالَمُ بِجُمْلَتِهِ عُلْوِيُّهُ وَسُفْلِيُّهُ وَجَوَاهِرُهُ وَأَعْرَاضُهُ مُحْدَثٌ بِمَادَّتِهِ وَصُورَتِهِ كَانَ عَدَمًا فَصَارَ مَوْجُودًا وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْمِلَلِ وَلَمْ يُخَالِفْ إِلَّا الْفَلاسِفَةُ وَمِنْهُمُ الْفَارَابِىُّ وَابْنُ سِينَا قَالُوا إِنَّهُ قَدِيمٌ بِمَادَّتِهِ وَصُورَتِهِ وَقِيلَ قَدِيمُ الْمَادَّةِ مُحْدَثُ الصُّورَةِ« ثُمَّ قَالَ »وَقَدْ ضَلَّلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فِى ذَلِكَ وَكَفَّرُوهُمْ« انْتَهَى وَيَعْنِى بِذَلِكَ أَنَّ هَذَا كُفْرٌ بِإِجْمَاعِ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ (**وَالثَّانِى**) مِنْ أَقْسَامِ الْمَوْجُودِ (**أَبَدِىٌّ لا أَزَلِىٌّ أَىْ أَنَّ لَهُ بِدَايَةً وَلا نِهَايَةَ لَهُ وَهُوَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ أَىْ لَهُمَا بِدَايَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لا نِهَايَةَ لَهُمَا أَىْ أَبَدِيَّتَانِ فَلا يَطْرَأُ عَلَيْهِمَا خَرَابٌ أَوْ فَنَاءٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ بَقَاءَهُمَا أَمَّا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُمَا فَيَجُوزُ عَلَيْهِمَا الْفَنَاءُ عَقْلًا**) فَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ بَقَاؤُهُمَا لَيْسَ بِالذَّاتِ بَلْ لِأَنَّ اللَّهَ شَاءَ بَقَاءَهُمَا فَالْجَنَّةُ بِاعْتِبَارِ ذَاتِهَا يَجُوزُ عَلَيْهَا الْفَنَاءُ وَكَذَلِكَ النَّارُ بِاعْتِبَارِ ذَاتِهَا يَجُوزُ عَلَيْهَا الْفَنَاءُ بِخِلافِ النَّاسِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْجِنِّ فَإِنَّهُمْ يَفْنَوْنَ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ بَقَاءَهُمْ فَعُلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لا بَاقِىَ بِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهُ. وَبِهَذَا يَنْدَفِعُ اسْتِشْكَالُ بَعْضِ النَّاسِ لِبَقَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَيْثُ تَوَهَّمَ أَنَّ فِى ذَلِكَ تَشْرِيكًا لَهُمَا مَعَ اللَّهِ وَلا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشَارَكَةُ لِأَنَّ بَقَاءَ اللَّهِ وَاجِبٌ أَىْ لا يَقْبَلُ الْعَقْلُ خِلافَهُ وَأَمَّا بَقَاءُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَيْسَ بَقَاءً وَاجِبًا عَقْلِيًّا إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْجَائِزَاتِ الْعَقْلِيَّةِ لَكِنْ وَجَبَ لَهُمَا الْبَقَاءُ مِنْ حَيْثُ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِبَقَائِهِمَا (**وَالثَّالِثُ لا أَزَلِىٌّ وَلا أَبَدِىٌّ أَىْ أَنَّ لَهُ بِدَايَةً وَلَهُ نِهَايَةً وَهُوَ كُلُّ مَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِ فَلا بُدَّ مِنْ فَنَائِهِمَا وَفَنَاءِ مَا فِيهِمَا مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَمَلائِكَةٍ**) قَالَ تَعَالَى ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ أَىْ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلَى الأَرْضِ يَفْنَى وَفَنَاءُ الْبَشَرِ مَعْنَاهُ مُفَارَقَةُ أَرْوَاحِهِمْ لِأَجْسَادِهِمْ. فَالآيَةُ نَصٌّ فِى فَنَاءِ مَنْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَأَمَّا فَنَاءُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ فَهُوَ يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ وَمَعْنَى الْوَجْهِ هُنَا الذَّاتُ أَىْ يَبْقَى اللَّهُ. (**وَاعْلَمْ أَنَّهُ جَرَتْ عَادَةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى ذِكْرِ أَنَّ** **الْحُكْمَ الْعَقْلِىَّ** **يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاثَةٍ الْوُجُوبِ وَالِاسْتِحَالَةِ وَالْجَوَازِ وَقَالُوا الْوَاجِبُ مَا لا يُتَصَوَّرُ**) فِى الْعَقْلِ (**عَدَمُهُ وَهُوَ اللَّهُ وَصِفَاتُهُ**) أَىْ أَنَّ الْعَقْلَ يُحَتِّمُ وُجُودَهُ وَلا يَقْبَلُ انْتِفَاءَهُ (**وَالْمُسْتَحِيلُ مَا لا يُتَصَوَّرُ فِى الْعَقْلِ وُجُودُهُ**) كَالشَّرِيكِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْعَجْزِ وَالْجَهْلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ (**وَقَدْ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ بِالْمُمْتَنِعِ**) فَكُلُّ مَا لا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ مُسْتَحِيلٌ عَقْلِىٌّ. وَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ الْعَقْلِىِّ كَوْنُ الْحَادِثِ أَزَلِيًّا. أَمَّا الْمُسْتَحِيلُ الْعَادِىُّ فَيَصِحُّ وُجُودُهُ عَقْلًا لَكِنْ عَادَةً لا يَصِحُّ كَوُجُودِ جَبَلٍ مِنْ زِئْبَقٍ فَهَذَا لا يَحْصُلُ فِى الدُّنْيَا عَلَى حَسَبِ الْعَادَةِ (**وَالْجَائِزُ**) الْعَقْلِىُّ (**مَا يُتَصَوَّرُ فِى الْعَقْلِ وُجُودُهُ وَعَدَمُهُ**) وَيُقَالُ لَهُ الْمُمْكِنُ الْعَقْلِىُّ أَىْ يُمْكِنُ وُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمٍ وَإِعْدَامُهُ بَعْدَ وُجُودِهِ بِالنَّظَرِ لِذَاتِهِ فِى حُكْمِ الْعَقْلِ وَهُوَ هَذَا الْعَالَمُ (**وَلِذَلِكَ يَصِفُونَ اللَّهَ بِالْوَاجِبِ الْوُجُودِ**) لِأَنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ فِى الْعَقْلِ عَدَمُهُ.

## قِدَمُ اللَّهِ لَيْسَ زَمَانِيًّا

مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ اللَّهَ لا يَجْرِى عَلَيْهِ زَمَانٌ أَىْ لا بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ لِأَنَّ الزَّمَانَ حَادِثٌ وَ(**اللَّهُ تَعَالَى كَانَ قَبْلَ الزَّمَانِ وَقَبْلَ الْمَكَانِ وَقَبْلَ الظُّلُمَاتِ وَقَبْلَ النُّورِ فَهُوَ تَعَالَى لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الْعَالَمِ الْكَثِيفِ كَالأَرْضِ وَالْحَجَرِ وَالْكَوَاكِبِ وَالنَّبَاتِ وَالإِنْسَانِ وَلَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الْعَالَمِ اللَّطِيفِ كَالنُّورِ وَالرُّوحِ وَالْهَوَاءِ وَالْجِنِّ وَالْمَلائِكَةِ لِمُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ أَىْ لِمُخَالَفَتِهِ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ. فَإِنْ قِيلَ أَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ اللَّطِيفُ فَالْجَوَابُ أَنَّ مَعْنَى اللَّطِيفِ الَّذِى هُوَ اسْمٌ لِلَّهِ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ أَوِ الَّذِى احْتَجَبَ عَنِ الأَوْهَامِ فَلا تُدْرِكُهُ**) فَاللَّهُ تَعَالَى لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ أَىْ لا تَبْلُغُهُ تَصَوُّرَاتُ الْعِبَادِ لِأَنَّ الإِنْسَانَ وَهْمُهُ يَدُورُ حَوْلَ مَا أَلِفَهُ مِنَ الشَّىْءِ الْمَحْسُوسِ الَّذِى لَهُ حَدٌّ وَشَكْلٌ وَهَيْأَةٌ وَاللَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ لِذَلِكَ نُهِينَا عَنِ التَّفَكُّرِ فِى ذَاتِ اللَّهِ وَأُمِرْنَا بِالتَّفَكُّرِ فِى مَخْلُوقَاتِهِ لِأَنَّ التَّفَكُّرَ فِى مَخْلُوقَاتِهِ يُقَوِّي الْيَقِينَ (**فَلا نَظِيرَ لَهُ تَعَالَى أَىْ لا مَثِيلَ لَهُ وَلا شَبِيهَ فِى ذَاتِهِ**) فَذَاتُهُ لا يُشْبِهُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَذَاتُ اللَّهِ مَعْنَاهُ حَقِيقَةُ اللَّهِ الَّذِى لا يُشْبِهُ الْحَقَائِقَ (**وَلا فِى صِفَاتِهِ**) أَىْ صِفَاتُهُ لا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ لِأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ أَزَلِيَّةٌ وَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ حَادِثَةٌ يَجُوزُ عَلَيْهَا التَّطَوُّرُ وَالتَّغَيُّرُ (**وَلا فِى فِعْلِهِ**) أَىْ فِعْلُ اللَّهِ لا يُشْبِهُ فِعْلَ الْمَخْلُوقِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ بِمَعْنَى الإِخْرَاجِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَلا فَاعِلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا اللَّهُ فَاللَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ فِعْلًا بِقُدْرَتِهِ الأَزَلِيَّةِ وَبِتَكْوِينِهِ الأَزَلِىِّ بِلا مُبَاشَرَةٍ وَلا مُمَاسَّةٍ لِشَىْءٍ وَعَلَى هَذَا الْبُخَارِىُّ حَيْثُ قَالَ فِى كِتَابِ التَّوْحِيدِ »**وَالْفِعْلُ صِفَتُهُ فِى الأَزَلِ وَالْمَفْعُولُ مُكَوَّنٌ مُحْدَثٌ**« اهـ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا عَلَيْهِ الْمَاتُرِيدِيَّةُ وَبَعْضُ قُدَمَاءِ الأَشَاعِرَةِ مِنْ أَزَلِيَّةِ صِفَاتِ الْفِعْلِ كِصَفَاتِ الذَّاتِ وَرَجَّحَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى لا مَثِيلَ لَهُ فِى مَخْلُوقَاتِهِ (**لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُمَاثِلًا لِمَخْلُوقَاتِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ** **كَالْحَجْمِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ خَالِقًا لَهَا. فَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الِاتِّصَافِ بِالْحَوَادِثِ، وَكَذَلِكَ صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى**) الْقَائِمَةُ بِذَاتِهِ (**هِىَ قَدِيمَةٌ أَىْ أَزَلِيَّةٌ. وَلِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْبَحْثِ قَالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ »مَنْ قَالَ بِحُدُوثِ صِفَاتِ اللَّهِ أَوْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ فَهُوَ كَافِرٌ« ذَكَرَهُ فِى كِتَابِ الْفِقْهِ الأَكْبَرِ**) فَالَّذِى يَقُولُ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهَا أَزَلِيَّةٌ وَلَعَلَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ أَوْ يَقُولُ لا أَقُولُ إِنَّهَا أَزَلِيَّةٌ وَلا أَقُولُ إِنَّهَا غَيْرُ أَزَلِيَّةٍ فَهُوَ كَافِرٌ (**وَقَالَ الطَّحَاوِىُّ »وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِى الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ« اهـ**) فَالَّذِى يَصِفُ اللَّهَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ فَهُوَ كَافِرٌ وَأَوَّلُ صِفَاتِ الْبَشَرِ هِىَ الْحُدُوثُ أَىِ الْوُجُودُ بَعْدَ عَدَمٍ وَصِفَاتُ الْبَشَرِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْجُلُوسُ وَالِاتِّصَالُ وَالِانْفِصَالُ وَالْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ وَالِانْفِعَالُ وَالتَّنَقُّلُ مِنْ عُلْوٍ إِلَى سُفْلٍ وَالتَّحَيُّزُ فِى الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَلَيْسَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ بِمَعَانِى الْبَشَرِ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ أَزَلِىٍّ لَيْسَ حَرْفًا وَلا صَوْتًا وَإِنَّهُ يَرَى بِرُؤْيَةٍ أَزَلِيَّةٍ بِغَيْرِ حَدَقَةٍ وَإِنَّهُ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ أَزَلِىٍّ لَيْسَ بِأُذُنٍ وَءَالَةٍ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ إِلَّا تَوَافُقًا فِى اللَّفْظِ.

## تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنِ الْمَكَانِ وَتَصْحِيحُ وُجُودِهِ بِلا مَكَانٍ عَقْلًا

(**وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ أَىْ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ أَزَلًا وَأَبَدًا**) وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ (**فَلا يَحْتَاجُ**) اللَّهُ (**إِلَى مَكَانٍ يَتَحَيَّزُ فِيهِ أَوْ شَىْءٍ يَحُلُّ بِهِ أَوْ إِلَى جِهَةٍ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَشَىْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ لَيْسَ حَجْمًا كَثِيفًا وَلا حَجْمًا لَطِيفًا**) قَالَ عَلِىٌّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »**مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ فَقَدْ جَهِلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُودَ**« رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِى كِتَابِ حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ. وَمَعْنَى كَلامِهِ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ حَجْمٌ صَغِيرٌ وَلا كَبِيرٌ لَيْسَ كَأَصْغَرِ حَجْمٍ وَهُوَ الْجُزْءُ الَّذِى لا يَتَجَزَّأُ وَلا كَأَكْبَرِ حَجْمٍ كَالْعَرْشِ وَلَيْسَ حَجْمًا أَكْبَرَ مِنَ الْعَرْشِ وَلا كَمَا بَيْنَ أَصْغَرِ حَجْمٍ وَأَكْبَرِ حَجْمٍ قَالَ تَعَالَى ﴿**وَكُلُّ شَىْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ فَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْمِقْدَارِ أَىِ الْحَدِّ وَالْكَمِيَّةِ فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ حَجْمٌ كَبِيرٌ بِقَدْرِ الْعَرْشِ أَوْ كَحَجْمِ الإِنْسَانِ فَقَدْ خَالَفَ الآيَةَ كَمَا أَنَّهُ خَالَفَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ**﴾ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ حَجْمٌ لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ لا تُحْصَى وَلَوْ كَانَ مُتَحَيِّزًا فِى جِهَةِ فَوْقٍ لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ لا تُحْصَى (**وَالتَّحَيُّزُ مِنْ صِفَاتِ الْجِسْمِ الْكَثِيفِ وَاللَّطِيفِ فَالْجِسْمُ الْكَثِيفُ وَالْجِسْمُ اللَّطِيفُ مُتَحَيِّزٌ فِى جِهَةٍ وَمَكَانٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى لِكُلٍّ مِنَ الأَرْبَعَةِ التَّحَيُّزَ فِى فَلَكِهِ وَهُوَ الْمَدَارُ**). وَالْجِهَاتُ كُلُّهَا بِالنِّسْبَةِ لِذَاتِ اللَّهِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ وَلِذَلِكَ يُوصَفُ اللَّهُ بِالْقَرِيبِ فَلَوْ كَانَ مُتَحَيِّزًا فَوْقَ الْعَرْشِ لَكَانَ بَعِيدًا وَلَمْ يَكُنْ قَرِيبًا. قَالَ الإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ عَلِىُّ بنُ الْحُسَيْنِ فِى الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ »**سُبْحَانَكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ لا يَحْوِيكَ مَكَانٌ لا تُحَسُّ وَلا تُمَسُّ وَلا تُجَسُّ**« رَوَاهُ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ مُرْتَضَى الزَّبِيدِىُّ فِى كِتَابِ إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ بِالإِسْنَادِ الْمُتَّصِلِ مِنْهُ إِلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ. (**وَيَكْفِى فِى تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْمَكَانِ وَالْحَيِّزِ وَالْجِهَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ مَكَانٌ لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ وَأَبْعَادٌ طُولٌ وَعَرْضٌ وَعُمْقٌ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ مُحْدَثًا مُحْتَاجًا لِمَنْ حَدَّهُ بِهَذَا الطُّولِ وَبِهَذَا الْعَرْضِ وَبِهَذَا الْعُمْقِ، هَذَا الدَّلِيلُ مِنَ الْقُرْءَانِ. أَمَّا مِنَ الْحَدِيثِ فَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَابْنُ الْجَارُودِ وَالْبَيْهَقِىُّ بِالإِسْنَادِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَىْءٌ غَيْرُهُ« وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا فِى الأَزَلِ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ لا مَاءٌ وَلا هَوَاءٌ وَلا أَرْضٌ وَلا سَمَاءٌ وَلا كُرْسِىٌّ وَلا عَرْشٌ وَلا إِنْسٌ وَلا جِنٌّ وَلا مَلائِكَةٌ وَلا زَمَانٌ وَلا مَكَانٌ وَلا جِهَاتٌ فَهُوَ تَعَالَى مَوْجُودٌ قَبْلَ الْمَكَانِ بِلا مَكَانٍ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الْمَكَانَ فَلَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ وَهَذَا مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ. وَقَالَ الْبَيْهَقِىُّ فِى كِتَابِهِ الأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ »اسْتَدَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِى نَفْىِ الْمَكَانِ عَنْهُ بِقَوْلِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَىْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَىْءٌ« وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَهُ شَىْءٌ وَلا دُونَهُ شَىْءٌ لَمْ يَكُنْ فِى مَكَانٍ« اهـ. وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ الرَّدُّ أَيْضًا عَلَى الْقَائِلِينَ بِالْجِهَةِ فِى حَقِّهِ تَعَالَى**). وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ »**أَنْتَ الظَّاهِرُ**« مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ظَاهِرٌ مِنْ حَيْثُ الدَّلائِلُ الْعَقْلِيَّةُ الَّتِى قَامَتْ عَلَى وُجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَىْءٍ إِلَّا وَهُوَ يَدُلُّ دِلالَةً عَقْلِيَّةً عَلَى وُجُودِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْبَاطِنُ فَمَعْنَاهُ عَلَى مَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الَّذِى يَعْلَمُ حَقَائِقَ الأُمُورِ وَبَعْضُهُمْ قَالَ الَّذِى لا تُدْرِكُهُ الأَوْهَامُ أَىْ لا تَبْلُغُهُ تَصَوُّرَاتُ الْعِبَادِ (**وَقَدْ قَالَ عَلِىٌّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »كَانَ اللَّهُ**) أَىْ فِى الأَزَلِ (**وَلا مَكَانَ**) أَىْ وَلَمْ يَكُنْ مَكَانٌ (**وَهُوَ الآنَ**) أَىْ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ الْمَكَانَ (**عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ«**) أَىْ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا بِلا مَكَانٍ لِأَنَّهُ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغَيُّرُ وَالتَّطَوُّرُ وَالِانْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ (**رَوَاهُ أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِىُّ. وَلَيْسَ مِحْوَرُ الِاعْتِقَادِ عَلَى الْوَهْمِ بَلْ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ السَّلِيمُ الَّذِى هُوَ شَاهِدٌ لِلشَّرْعِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَحْدُودَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ حَدَّهُ بِذَلِكَ الْحَدِّ فَلا يَكُونُ إِلَهًا**) فَمِحْوَرُ اعْتِقَادِ الْمُسْلِمِ لَيْسَ عَلَى الْوَهْمِ لِأَنَّ الْوَهْمَ يَحْكُمُ عَلَى مَا لَمْ يُشَاهِدْهُ بِحُكْمِ مَا شَاهَدَهُ فَيَحْكُمُ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِمَكَانٍ أَمَّا الْعَقْلُ السَّلِيمُ فَيَقْضِى بِأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِلا مَكَانٍ. وَمِحْوَرُ اعْتِقَادِ الْمُسْلِمِ عَلَى الْعَقْلِ السَّلِيمِ لَيْسَ عَلَى الْوَهْمِ لِأَنَّ الْعَقْلَ لا يَرُدُّ ذَلِكَ بَلْ يَقْبَلُهُ وَيُسَلِّمُ بِهِ وَالْوَهْمُ يَتَصَوَّرُ أَشْيَاءَ لا حَقِيقَةَ لَهَا وَمِثَالُ ذَلِكَ لَوْ نَظَرَ إِنْسَانٌ إِلَى الْبَحْرِ عِنْدَ الْغُرُوبِ وَهْمُهُ يَقُولُ لَهُ إِنَّ السَّمَاءَ مُلْتَصِقَةٌ بِالْبَحْرِ وَإِنَّ الشَّمْسَ تَنْزِلُ فِى الْبَحْرِ لَكِنَّ الْوَاقِعَ غَيْرُ ذَلِكَ فَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى الْعَقْلِ وَلا نَنْظُرُ إِلَى الْوَهْمِ. وَإِذَا قَالَ الْمُشَبِّهَةُ كَيْفَ يُقَالُ اللَّهُ لَيْسَ مُتَّصِلًا بِالْعَالَمِ وَلا مُنْفَصِلًا عَنْهُ هَذَا لا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ يُقَالُ لَهُمْ الْعَقْلُ يَقْبَلُهُ لَكِنَّ الْوَهْمَ لا يَتَصَوَّرُهُ كَمَا لا يَتَصَوَّرُ الْوَهْمُ عَدَمَ النُّورِ وَالظَّلامِ مَعًا فِى ءَانٍ وَاحِدٍ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَا لِأَنَّهُمَا خُلِقَا بَعْدَ خَلْقِ الْمَاءِ وَالْعَرْشِ وَالْقَلَمِ وَاللَّوْحِ. وَمَعَ كَوْنِ ذَلِكَ غَيْرَ مَفْهُومٍ لِلإِنْسَانِ نُؤْمِنُ بِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾. أَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِىُّ عَلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْمَكَانِ فَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَوِ اسْتَقَرَ عَلَى مَكَانٍ أَوْ حَاذَى مَكَانًا لَمْ يَخْلُ أَنْ يَكُونَ بِقَدْرِ الْمَكَانِ أَوْ أَصْغَرَ مِنْهُ أَوْ أَكْبَرَ مِنْهُ فَلَوْ كَانَ مِثْلَ الْمَكَانِ لَكَانَ لَهُ شَكْلُ الْمَكَانِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمَكَانُ مُرَبَّعًا أَوْ مُثَلَّثًا أَوْ غَيْرَهُمَا مِنَ الأَشْكَالِ فَيَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَى مُخَصِّصٍ خَصَّصَهُ بِأَحَدِ هَذِهِ الأَشْكَالِ وَهَذَا عَجْزٌ، وَلَوْ كَانَ أَكْبَرَ مِنَ الْمَكَانِ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى التَّوَهُّمِ أَنَّ اللَّهَ مُتَجَزِّئٌ بِأَنْ يَكُونَ جُزْءٌ مِنْهُ فِى مَكَانٍ وَالزَّائِدُ خَارِجَ الْمَكَانِ وَاعْتِقَادُ هَذَا كُفْرٌ أَيْضًا، وَلَوْ كَانَ أَصْغَرَ مِنَ الْمَكَانِ لَكَانَ ذَلِكَ حَصْرًا لَهُ وَهَذَا لا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى. فَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مِثْلَ الْمَكَانِ أَوْ أَكْبَرَ مِنَ الْمَكَانِ أَوْ أَصْغَرَ مِنَ الْمَكَانِ وَمَا أَدَّى إِلَى الْمُحَالِ مُحَالٌ (**فَكَمَا صَحَّ وُجُودُ اللَّهِ تَعَالَى بِلا مَكَانٍ وَجِهَةٍ قَبْلَ خَلْقِ الأَمَاكِنِ وَالْجِهَاتِ فَكَذَلِكَ يَصِحُّ وُجُودُهُ بَعْدَ خَلْقِ الأَمَاكِنِ بِلا مَكَانٍ وَجِهَةٍ وَهَذَا لا يَكُونُ نَفْيًا لِوُجُودِهِ تَعَالَى كَمَا زَعَمَتِ الْمُشَبِّهَةُ وَالْوَهَّابِيَّةُ وَهُمُ الدُّعَاةُ إِلَى التَّجْسِيمِ فِى هَذَا الْعَصْرِ**) وَمُصِيبَةُ هَؤُلاءِ أَنَّهُمْ قَاسُوا الْخَالِقَ عَلَى الْمَخْلُوقِ قَالُوا كَمَا لا يُعْقَلُ وُجُودُ إِنْسَانٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَجْسَامِ بِلا مَكَانٍ يَسْتَحِيلُ وُجُودُ اللَّهِ بِلا مَكَانٍ فَهَلَكُوا (**وَحُكْمُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِى كُلِّ مَكَانٍ أَوْ فِى جَمِيعِ الأَمَاكِنِ التَّكْفِيرُ إِذَا كَانَ يَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ مُنْبَثٌّ أَوْ حَالٌّ فِى الأَمَاكِنِ**) وَهَذَا مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ كَانَ جَهْمُ بنُ صَفْوَانَ يَقُولُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ هَذَا الْهَوَاءُ وَعَلَى كُلِّ شَىْءٍ فَكَفَّرَهُ الْمُسْلِمُونَ وَقُتِلَ بِحُكْمِ الرِّدَّةِ (**أَمَّا إِذَا كَانَ يَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّهُ تَعَالَى مُسَيْطِرٌ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَعَالِمٌ بِكُلِّ شَىْءٍ فَلا يَكْفُرُ وَهَذَا قَصْدُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَلْهَجُ بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ وَيَجِبُ النَّهْىُ عَنْهُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِأَنَّهُمَا لَيْسَتَا صَادِرَتَيْنِ عَنِ السَّلَفِ بَلْ عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُمَا جَهَلَةُ الْعَوَامِّ**). وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا**﴾ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ كَإِحَاطَةِ الْحُقَّةِ بِمَا فِيهَا وَالْحُقَّةُ شَىْءٌ مُسْتَدِيرٌ يُوضَعُ فِيهِ الأَشْيَاءُ الثَّمِينَةُ، إِنَّمَا مَعْنَاهُ إِحَاطَةُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ أَىْ أَنَّهُ لا يَخْرُجُ شَىْءٌ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ (**وَنَرْفَعُ الأَيْدِىَ فِى الدُّعَاءِ لِلسَّمَاءِ**) لِأَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةُ الصَّلاةِ أَىْ تَنْزِلُ عَلَيْنَا الْبَرَكَةُ وَالرَّحْمَةُ مِنْهَا (**لِأَنَّهَا مَهْبِطُ الرَّحَمَاتِ وَالْبَرَكَاتِ**) قَالَ تَعَالَى ﴿**وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ (**وَلَيْسَ لِأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ فِى السَّمَاءِ كَمَا أَنَّنَا نَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ فِى الصَّلاةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنَا بِذَلِكَ وَلَيْسَ لِأَنَّ لَهَا مِيزَةً وَخُصُوصِيَّةً بِسُكْنَى اللَّهِ فِيهَا وَيَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ التَّحَيُّزَ لِلَّهِ تَعَالَى**) وَالتَّحَيُّزُ هُوَ أَخْذُ مِقْدَارٍ مِنَ الْفَرَاغِ فَاللَّهُ تَعَالَى بِمَا أَنَّهُ لَيْسَ حَجْمًا كَثِيفًا وَلا لَطِيفًا لا يَجُوزُ فِى حَقِّهِ أَنْ يَأْخُذَ قَدْرًا مِنَ الْفَرَاغِ (**أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ شَىْءٌ كَالْهَوَاءِ أَوْ كَالنُّورِ يَمْلأُ مَكَانًا أَوْ غُرْفَةً أَوْ مَسْجِدًا. وَيُرَدُّ عَلَى الْمُعْتَقِدِينَ أَنَّ اللَّهَ مُتَحَيِّزٌ فِى جِهَةِ الْعُلْوِ وَيَقُولُونَ لِذَلِكَ تُرْفَعُ الأَيْدِى عِنْدَ الدُّعَاءِ بِمَا ثَبَتَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ اسْتَسْقَى أَىْ طَلَبَ الْمَطَرَ وَجَعَلَ بَطْنَ كَفَّيْهِ إِلَى الأَرْضِ وَظَاهِرَهُمَا إِلَى السَّمَاءِ**) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (**وَبِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى الْمُصَلِّى أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ**) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ (**وَلَوْ كَانَ اللَّهُ مُتَحَيِّزًا فِى جِهَةِ الْعُلْوِ كَمَا تَظُنُّ الْمُشَبِّهَةُ مَا نَهَانَا عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِنَا فِى الصَّلاةِ إِلَى السَّمَاءِ، وَبِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ الْمُسَبِّحَةَ عِنْدَ قَوْلِ »إِلَّا اللَّهُ« فِى التَّحِيَّاتِ وَيَحْنِيهَا قَلِيلًا**) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ (**فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ الْمُشَبِّهَةُ مَا كَانَ يَحْنِيهَا بَلْ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَكُلُّ هَذَا ثَابِتٌ حَدِيثًا عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ فَمَاذَا تَفْعَلُ الْمُشَبِّهَةُ وَالْوَهَّابِيَّةُ. وَنُسَمِّى الْمَسَاجِدَ بُيُوتَ اللَّهِ لا لِأَنَّ اللَّهَ يَسْكُنُهَا بَلْ لِأَنَّهَا أَمَاكِنُ مُعَدَّةٌ لِذِكْرِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَيُقَالُ فِى الْعَرْشِ إِنَّهُ جِرْمٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ لِيَطُوفَ بِهِ الْمَلائِكَةُ كَمَا يَطُوفُ الْمُؤْمِنُونَ فِى الأَرْضِ بِالْكَعْبَةِ. وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ »اللَّهُ يَسْكُنُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ« إِنْ كَانَ يَفْهَمُ مِنْهُ الْحُلُولَ**) وَهَذَا مِنْ كَلامِ جَهَلَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ أَمَّا إِنْ كَانَ يَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ حُبَّ اللَّهِ سَاكِنُ قُلُوبِهِمْ فَلا يَكْفُرُ (**وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالْمِعْرَاجِ وُصُولَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَانٍ يَنْتَهِى وُجُودُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ**) أَىْ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِ أَنَّ الرَّسُولَ وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ حَيْثُ اللَّهُ تَعَالَى مُتَحَيِّزٌ فِيهِ (**وَيَكْفُرُ مَنِ اعْتَقَدَ ذَلِكَ**) لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَجُوزُ عَلَيْهِ عَقْلًا التَّحَيُّزُ فِى مَكَانٍ وَالِاسْتِقْرَارُ فِيهِ سَوَاءٌ كَانَ الْمَكَانُ عُلْوِيًّا أَوْ سُفْلِيًّا (**إِنَّمَا الْقَصْدُ مِنَ الْمِعْرَاجِ هُوَ تَشْرِيفُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِطْلاعِهِ عَلَى عَجَائِبَ فِى الْعَالَمِ الْعُلْوِىِّ وَتَعْظِيمُ مَكَانَتِهِ وَرُؤْيَتُهُ لِلذَّاتِ الْمُقَدَّسِ بِفُؤَادِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الذَّاتُ فِى مَكَانٍ وَإِنَّمَا الْمَكَانُ لِلرَّسُولِ**) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فَالْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الآيَةِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ**) الَّذِى اقْتَرَبَ مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فَتَدَلَّى إِلَيْهِ فَكَانَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَسَافَةِ بِمِقْدَارِ ذِرَاعَيْنِ بَلْ أَقْرَبَ وَقَدْ تَدَلَّى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَدَنَا مِنْهُ فَرَحًا بِهِ وَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا يَفْتَرِى بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَنَا بِذَاتِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ فَكَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ اللَّهِ كَمَا بَيْنَ الْحَاجِبِ وَالْحَاجِبِ أَوْ قَدْرَ ذِرَاعَيْنِ لِأَنَّ إِثْبَاتَ الْمَسَافَةِ لِلَّهِ تَعَالَى إِثْبَاتٌ لِلْمَكَانِ وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ أَمَّا الْخَالِقُ فَهُوَ مَوْجُودٌ بِلا كَيْفٍ وَلا مَكَانٍ لا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ مَسَافَةٌ فَالْعَرْشُ الَّذِى هُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَالْفَرْشُ الَّذِى هُوَ مُنْتَهَى الْمَخْلُوقَاتِ فِى الْجِهَةِ السُّفْلَى عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ. فَلا يَجُوزُ اعْتِقَادُ الْقُرْبِ الْمَكَانِىِّ الَّذِى هُوَ قُرْبٌ بِالْمَسَافَةِ فِى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى. وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ دَنَا مِن رَسُولِ اللَّهِ (**حَيْثُ رَءَاهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ أَجْيَادٌ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ سَادًّا عُظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ الأُفُقِ كَمَا رَءَاهُ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾**) أَىِ اجْتَمَعَ مَرَّةً ثَانِيَةً بِجِبْرِيلَ هُنَاكَ وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِى رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ »وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى« فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ طَعَنَ فِيهَا بَعْضُ الْحُفَّاظِ كَعَبْدِ الْحَقِّ وَغَيْرِهِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ دُنُوًّا حِسِّيًّا وَإِنَّمَا هُوَ مَزِيدُ إِكْرَامٍ وَتَقْرِيبٍ فِى الدَّرَجَاتِ وَأَمَّا حَمْلُهُ عَلَى الظَّاهِرِ فَكُلُّ أَهْلِ السُّنَّةِ يَرُدُّونَهُ بَلْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا لِلَّهِ بِخَلْقِهِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلانِىُّ فِى شَرْحِ الْبُخَارِىِّ (**وَأَمَّا مَا فِى مُسْلِمٍ مِنْ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ جَارِيَةٍ لَهُ**) قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِى جَارِيَةً تَرْعَى لِى غَنَمًا فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ ذِئْبٌ فَأَكَلَ شَاةً فَغَضِبْتُ فَصَكَكْتُهَا أَىْ ضَرَبْتُهَا عَلَى وَجْهِهَا (**قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُعْتِقُهَا**) أُرِيدُ أَنْ أُعْتِقَهَا إِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً **(قَالَ »ائْتِنِى بِهَا« فَأَتَاهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا »أَيْنَ اللَّهُ«**) وَمَعْنَاهُ مَا اعْتِقَادُكِفِى اللَّهِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَمِنَ الْعُلُوِّ وَرِفْعَةِ الْقَدْرِ لِأَنَّ أَيْنَ تَأْتِى لِلسُّؤَالِ عَنِ الْمَكَانِ وَهُوَ الأَكْثَرُ وَتَأْتِى لِلسُّؤَالِ عَنِ الْقَدْرِ (**قَالَتْ فِى السَّمَاءِ**) وَأَرَادَتْ بِهِ أَنَّهُ رَفِيعُ الْقَدْرِ جِدًّا وَقَدْ فَهِمَ الرَّسُولُ ذَلِكَ مِنْ كَلامِهَا أَىْ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّةِ تِلْكَ الرِّوَايَةِ أَىْ هَذَا عِنْدَ مَنْ صَحَّحَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ (**قَالَ »مَنْ أَنَا« قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ »أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ« فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَمْرَيْنِ لِلِاضْطِرَابِ لِأَنَّهُ رُوِىَ بِهَذَا اللَّفْظِ وَبِلَفْظِ »مَنْ رَبُّكِ« فَقَالَتِ اللَّهُ**) رَوَاهُ النَّسَائِىُّ فِى سُنَنِهِ (**وَبِلَفْظِ »أَيْنَ اللَّهُ« فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، وَبِلَفْظِ »أَتَشْهَدِينَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ« قَالَتْ نَعَمْ قَالَ »أَتَشْهَدِينَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ« قَالَتْ نَعَمْ**) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِى مُسْنَدِهِ وَالْبَيْهَقِىُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى (**وَالأَمْرُ الثَّانِى أَنَّ رِوَايَةَ أَيْنَ اللَّهُ مُخَالِفَةٌ لِلأُصُولِ لِأَنَّ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ أَنَّ الشَّخْصَ لا يُحْكَمُ لَهُ بِقَوْلِ »اللَّهُ فِى السَّمَاءِ« بِالإِسْلامِ لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ**) فَلا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَلِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ حَكَمَ عَلَى الْجَارِيَةِ السَّوْدَاءِ بِالإِسْلامِ لِمُجَرَّدِ قَوْلِهَا اللَّهُ فِى السَّمَاءِ (**وَإِنَّمَا الأَصْلُ الْمَعْرُوفُ فِى شَرِيعَةِ اللَّهِ مَا جَاءَ فِى الْحَدِيثِ الْمُتَوَاتِرِ**) الَّذِى رَوَاهُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَحَابِيًّا وَهُوَ مِنْ أَصَحِّ الصَّحِيحِ (**»أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ«**) فَحَدِيثُ الْجَارِيَةِ فِيهِ مُعَارَضَةٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ وَوَجْهُ الْمُعَارَضَةِ أَنَّ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ فِيهِ الِاكْتِفَاءُ بِقَوْلِ اللَّهُ فِى السَّمَاءِ لِلْحُكْمِ عَلَى قَائِلِهِ بِالإِسْلامِ، وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »**حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**« فِيهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ لا بُدَّ لِلدُّخُولِ فِى الإِسْلامِ مِنَ النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ (**وَ**)أَمَّا (**لَفْظُ رِوَايَةِ مَالِكٍ »أَتَشْهَدِينَ«**) أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ أَتَشْهَدِينَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ قَالَتْ نَعَمْ فَإِنَّهُ (**مُوَافِقٌ لِلأُصُولِ. فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ تَكُونُ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ »أَيْنَ اللَّهُ« فَقَالَتْ فِى السَّمَاءِ إِلَى ءَاخِرِهِ مَرْدُودَةً مَعَ إِخْرَاجِ مُسْلِمٍ لَهَا فِى كِتَابِهِ وَكُلُّ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مَوْسُومٌ بِالصِّحَّةِ فَالْجَوَابُ أَنَّ عَدَدًا مِنْ أَحَادِيثِ مُسْلِمٍ رَدَّهَا عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ وَذَكَرَهَا الْمُحَدِّثُونَ فِى كُتُبِهِمْ كَحَدِيثِ أَنَّ الرَّسُولَ قَالَ لِرَجُلٍ »إِنَّ أَبِى وَأَبَاكَ فِى النَّارِ«، وَحَدِيثِ إِنَّهُ يُعْطَى كُلُّ مُسْلِمٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِدَاءً لَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَنَسٍ »صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ فَكَانُوا لا يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ«. فَأَمَّا الأَوَّلُ فَضَعَّفَهُ الْحَافِظُ السُّيُوطِىُّ وَالثَّانِى رَدَّهُ الْبُخَارِىُّ وَالثَّالِثُ ضَعَّفَهُ الشَّافِعِىُّ وَعَدَدٌ مِنَ الْحُفَّاظِ. فَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ بَاطِلٌ لِمُعَارَضَتِهِ الْحَدِيثَ الْمُتَوَاتِرَ الْمَذْكُورَ وَمَا خَالَفَ الْمُتَوَاتِرَ فَهُوَ بَاطِلٌ إِنْ لَمْ يَقْبَلِ التَّأْوِيلَ اتَّفَقَ عَلَى ذَلِكَ الْمُحَدِّثُونَ وَالأُصُولِيُّونَ لَكِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ**) مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ (**أَوَّلُوهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَالُوا مَعْنَى أَيْنَ اللَّهُ سُؤَالٌ عَنْ تَعْظِيمِهَا لِلَّهِ وَقَوْلُهَا فِى السَّمَاءِ**) أَرَادَتْ بِهِ أَنَّهُ (**عَالِى الْقَدْرِ جِدًّا**) وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِىُّ لِهَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ مَنِ اعْتَبَرَهُ صَحِيحًا وَهُوَ لا يُخَالِفُ تَنْزِيهَ اللَّهِ عَنِ الْمَكَانِ وَالْحَدِّ وَالأَعْضَاءِ (**أَمَّا أَخْذُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ سَاكِنُ السَّمَاءِ فَهُوَ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ لِمَا تَقَرَّرَ فِى عِلْمِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ أَنَّ مَا خَالَفَ الْمُتَوَاتِرَ بَاطِلٌ إِنْ لَمْ يَقْبَلِ التَّأْوِيلَ فَإِنَّ ظَاهِرَهُ ظَاهِرُ الْفَسَادِ فَإِنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا قَالَ اللَّهُ فِى السَّمَاءِ يُحْكَمُ لَهُ بِالإِيمَانِ**) وَكَذَلِكَ هُنَاكَ عِدَّةُ أَحَادِيثَ صِحَاحٍ لا اخْتِلافَ فِيهَا وَلا عِلَّةَ تُنَاقِضُ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ فَكَيْفَ يُؤْخَذُ بِظَاهِرِهِ وَيُعْرَضُ عَنْ تِلْكَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ فَلَوْلا أَنَّ الْمُشَبِّهَةَ لَهَا هَوًى فِى تَجْسِيمِ اللَّهِ وَتَحْيِيزِهِ فِى السَّمَاءِ كَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَمَا تَشَبَّثُوا بِهِ وَلِذَلِكَ يَرَوْنَهُ أَقْوَى شُبْهَةٍ يَجْتَذِبُونَ بِهِ ضُعَفَاءَ الْفَهْمِ إِلَى عَقِيدَتِهِمْ عَقِيدَةِ التَّجْسِيمِ. (**وَحَمَلَ الْمُشَبِّهَةُ رِوَايَةَ مُسْلِمٍ**) لِحَدِيثِ الْجَارِيَةِ (**عَلَى ظَاهِرِهَا**) كَمَا حَمَلُوا ءَايَةَ الِاسْتِوَاءِ عَلَى ظَاهِرِهَا (**فَضَلُّوا**) فَنَقُولُ لَهُمْ لَوْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَدَّعُونَ مِنْ حَمْلِ ءَايَةِ ﴿**الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ عَلَى ظَاهِرِهَا وَحَمْلِ حَدِيثِ الْجَارِيَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ لَتَنَاقَضَ الْقُرْءَانُ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ وَالْحَدِيثُ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ فَمَا تَقُولُونَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ فَإِمَّا أَنْ تَجْعَلُوا الْقُرْءَانَ مُنَاقِضًا بَعْضُهُ لِبَعْضٍ وَالْحَدِيثَ مُنَاقِضًا بَعْضُهُ لِبَعْضٍ فَهَذَا اعْتِرَافٌ بِكُفْرِكُمْ لِأَنَّ الْقُرْءَانَ يُنَزَّهُ عَنِ الْمُنَاقَضَةِ وَحَدِيثُ الرَّسُولِ كَذَلِكَ وَإِنْ أَوَّلْتُمْ ءَايَةَ ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ وَلَمْ تُأَوِّلُوا ءَايَةَ الِاسْتِوَاءِ فَهَذَا تَحَكُّمٌ أَىْ قَوْلٌ بِلا دَلِيلٍ (**وَلا يُنْجِيهِمْ مِنَ الضَّلالِ قَوْلُهُمْ إِنَّنَا نَحْمِلُ كَلِمَةَ فِى السَّمَاءِ بِمَعْنَى إِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ بِذَلِكَ أَثْبَتُوا لَهُ مِثْلًا وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِى كَتَبَ اللَّهُ فِيهِ »إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى«**) فَإِنَّهُ (**فَوْقَ الْعَرْشِ فَيَكُونُونَ أَثْبَتُوا الْمُمَاثَلَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْكِتَابِ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا اللَّهَ وَذَلِكَ الْكِتَابَ مُسْتَقِرَّيْنِ فَوْقَ الْعَرْشِ فَيَكُونُونَ كَذَّبُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى** **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾**) وَمَعْنَى »**إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى**« أَنَّ مَظَاهِرَ الرَّحْمَةِ أَكْثَرُ مِنْ مَظَاهِرِ الْغَضَبِ فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ وَهُمْ مِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ كُفَّارِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ مَظَاهِرِ غَضَبِهِ (**وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ بِلَفْظِ »مَرْفُوعٌ فَوْقَ الْعَرْشِ« وَأَمَّا رِوَايَةُ الْبُخَارِىِّ فَهِىَ »مَوْضُوعٌ فَوْقَ الْعَرْشِ« وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ النَّاسِ فَوْقَ بِمَعْنَى تَحْتَ وَهُوَ مَرْدُودٌ بِرِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ »مَرْفُوعٌ فَوْقَ الْعَرْشِ« فَإِنَّهُ لا يَصِحُّ تَأْوِيلُ فَوْقَ فِيهِ بِتَحْت. ثُمَّ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ هَذَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُحَاذِيًا لِلْعَرْشِ بِقَدْرِ الْعَرْشِ أَوْ أَوْسَعَ مِنْهُ أَوْ أَصْغَرَ وَكُلُّ مَا جَرَى عَلَيْهِ التَّقْدِيرُ حَادِثٌ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ جَعَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْمِقْدَارِ، وَالْعَرْشُ لا مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَمَا أَنَّهُ لا مُنَاسَبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَىْءٍ مِنْ خَلْقِهِ**) وَالْمُنَاسَبَةُ كَالِاتِّصَالِ وَالِانْفِصَالِ وَالْمُلامَسَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ (**وَلا يَتَشَرَّفُ اللَّهُ بِشَىْءٍ مِنْ خَلْقِهِ وَلا يَنْتَفِعُ بِشَىْءٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَقَوْلُ الْمُشَبِّهَةِ اللَّهُ قَاعِدٌ عَلَى الْعَرْشِ شَتْمٌ لِلَّهِ لِأَنَّ الْقُعُودَ مِنْ صِفَةِ الْبَشَرِ وَالْبَهَائِمِ وَالْجِنِّ وَالْحَشَرَاتِ وَكُلُّ وَصْفٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَصْفُ اللَّهُ بِهِ شَتْمٌ لَهُ، قَالَ الْحَافِظُ الْفَقِيهُ اللُّغَوِىُّ مُرْتَضَى الزَّبِيدِىُّ**) فِى إِتْحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ (**»مَنْ جَعَلَ اللَّهَ تَعَالَى مُقَدَّرًا بِمِقْدَارٍ كَفَرَ« أَىْ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ ذَا كَمِيَّةٍ وَحَجْمٍ وَالْحَجْمُ وَالْكَمِيَّةُ مِنْ مُوجِبَاتِ الْحُدُوثِ وَهَلْ عَرَفْنَا أَنَّ الشَّمْسَ حَادِثَةٌ مَخْلُوقَةٌ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ إِلَّا لِأَنَّ لَهَا حَجْمًا وَلَوْ كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى حَجْمٌ لَكَانَ مِثْلًا لِلشَّمْسِ فِى الْحَجْمِيَّةِ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا كَانَ يَسْتَحِقُّ الأُلُوهِيَّةَ كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ لا تَسْتَحِقُّ الأُلُوهِيَّةَ. فَلَوْ طَالَبَ هَؤُلاءِ الْمُشَبِّهَةَ عَابِدُ الشَّمْسِ بِدَلِيلٍ عَقْلِىٍّ عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ الأُلُوهِيَّةَ وَعَدَمِ اسْتِحْقَاقِ الشَّمْسِ الأُلُوهِيَّةَ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ دَلِيلٌ وَغَايَةُ مَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقُولُوا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فَإِنْ قَالُوا ذَلِكَ لِعَابِدِ الشَّمْسِ يَقُولُ لَهُمْ عَابِدُ الشَّمْسِ أَنَا لا أُؤْمِنُ بِكِتَابِكُمْ أَعْطُونِى دَلِيلًا عَقْلِيًّا عَلَى أَنَّ الشَّمْسَ لا تَسْتَحِقُّ الأُلُوهِيَّةَ فَهُنَا يَنْقَطِعُونَ. فَلا يُوجَدُ فَوْقَ الْعَرْشِ شَىْءٌ حَىٌّ يَسْكُنُهُ إِنَّمَا يُوجَدُ كِتَابٌ فَوْقَ الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ فِيهِ »إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى« أَىْ إِنَّ مَظَاهِرَ الرَّحْمَةِ أَكْثَرُ مِنْ مَظَاهِرِ الْغَضَبِ، الْمَلائِكَةُ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ وَهُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ قَطَرَاتِ الأَمْطَارِ وَأَوْرَاقِ الأَشْجَارِ وَالْجَنَّةُ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ وَهِىَ أَكْبَرُ مِنْ جَهَنَّمَ بِآلافِ الْمَرَّاتِ. وَكَوْنُ ذَلِكَ الْكِتَابِ فَوْقَ الْعَرْشِ ثَابِتٌ أَخْرَجَ حَدِيثَهُ الْبُخَارِىٌّ وَالنَّسَائِىٌّ فِى السُّنَنِ الْكُبْرَى وَغَيْرُهُمَا، وَلَفْظُ رِوَايَةِ ابْنِ حِبِّانَ »لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِى كِتَابٍ يَكْتُبُهُ عَلَى نَفْسِهِ**) مَعْنَاهُ وَعَدَ (**وَهُوَ مَرْفُوعٌ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِى تَغْلِبُ غَضَبِى«. فَإِنْ حَاوَلَ مُحَاوِلٌ أَنْ يُؤَوِّلَ »فَوْقَ« بِمَعْنَى دُونَ قِيلَ لَهُ تَأْوِيلُ النُّصُوصِ لا يَجُوزُ إِلَّا بِدَلِيلٍ نَقْلِىٍّ ثَابِتٍ أَوْ عَقْلِىٍّ قَاطِعٍ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَىْءٌ مِنْ هَذَيْنِ وَلا دَلِيلَ عَلَى لُزُومِ التَّأْوِيلِ فِى هَذَا الْحَدِيثِ كَيْفَ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّ اللَّوْحَ** **الْمَحْفُوظَ فَوْقَ الْعَرْشِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ نَصٌّ صَرِيحٌ بِأَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَلا بِأَنَّهُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَبَقِىَ الأَمْرُ عَلَى الِاحْتِمَالِ أَىِ احْتِمَالِ أَنَّ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَاحْتِمَالِ أَنَّهُ تَحْتَ الْعَرْشِ فَعَلَى قَوْلِهِ إِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَكُونُ جَعَلَ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ مُعَادِلًا لِلَّهِ أَىْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ بِمُحَاذَاةِ قِسْمٍ مِنَ الْعَرْشِ وَاللَّوْحُ بِمُحَاذَاةِ قِسْمٍ مِنَ الْعَرْشِ وَهَذَا تَشْبِيهٌ لَهُ بِخَلْقِهِ لِأَنَّ مُحَاذَاةَ شَىْءٍ لِشَىْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقِيَّةً حَقِيقِيَّةً لا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ الْحَدِيثُ الَّذِى رَوَاهُ النَّسَائِىُّ فِى السُّنَنِ الْكُبْرَى »إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَىْ سَنَةٍ فَهُوَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَإِنَّهُ أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ ءَايَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ« وَفِى لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ »فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ« فَهَذَا صَرِيحٌ فِى أَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقِيَّةً حَقِيقِيَّةً لا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ. وَكَلِمَةُ »عِنْدَ« لِلتَّشْرِيفِ لَيْسَ لإِثْبَاتِ تَحَيُّزِ اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ لِأَنَّ »عِنْدَ« تُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ الْمَكَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ إِنَّمَا تَدُلُّ »عِنْدَ« هُنَا أَنَّ ذَلِكَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ تِلْكَ الْحِجَارَةَ مُجَاوِرَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِى الْمَكَانِ. فَمَنْ يَحْتَجُّ بِمُجَرَّدِ كَلِمَةِ عِنْدَ لإِثْبَاتِ الْمَكَانِ وَالتَّقَارُبِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ الْجَاهِلِينَ وَهَلْ يَقُولُ عَاقِلٌ إِنَّ تِلْكَ الْحِجَارَةَ الَّتِى أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى أُولَئِكَ الْكَفَرَةِ نَزَلَتْ مِنَ الْعَرْشِ إِلَيْهِمْ وَكَانَتْ مُكَوَّمَةً بِمَكَانٍ فِى جَنْبِ اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ**) فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى ذِى لُبٍّ أَنَّ عَقِيدَةَ تَحَيُّزِ اللَّهِ فِى السَّمَاءِ مُنَافِيةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ**﴾ فَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ أَمْثَالٌ كَثِيرٌ فَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَشْحُونَةٌ بِالْمَلائِكَةِ وَمَا فَوْقَهَا فِيهَا مَلائِكَةٌ حَافُّونَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ لا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ فَبِاعْتِقَادِ الْمُشَبِّهَةِ هَذَا أَثْبَتُوا لِلَّهِ أَمْثَالًا لا تُحْصَى فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ مُخَالِفُونَ لِهَذِهِ الآيَةِ. وَلا يَسْلَمُ مِنْ إِثْبَاتِ الأَمْثَالِ لِلَّهِ إِلَّا مَنْ نَزَّهَ اللَّهَ عَنِ التَّحَيُّزِ فِى الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ مُطْلَقًا (**وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِىُّ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِى صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِى رَبَّهُ فَلا يَبْصُقَنَّ فِى قِبْلَتِهِ وَلا عَنْ يَمِينِهِ فَإنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ قِبْلَتِهِ«**) وَمُنَاجَاةُ اللَّهِ مَعْنَاهُ الإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ بِدُعَائِهِ وَتَمْجِيدِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْمُصَلِّىَ تَجَرَّدَ لِمُخَاطَبَةِ رَبِّهِ انْقَطَعَ عَنْ مُخَاطَبَةِ النَّاسِ لِمُخَاطَبَةِ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ الأَدَبِ مَعَ اللَّهِ أَنْ يَبْصُقَ أَمَامَ وَجْهِهِ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ بِذَاتِهِ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »**فَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبْلَتِهِ**« أَىْ رَحْمَةَ رَبِّهِ أَمَامَهُ أَىِ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ الَّتِى تَنْزِلُ عَلَى الْمُصَلِّينَ (**وَهَذَا الْحَدِيثُ أَقْوَى إِسْنَادًا مِنْ حَدِيثِ الْجَارِيَةِ. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِىُّ أَيْضًا عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**) أَىْ هَوِّنُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلا تُجْهِدُوهَا بِرَفْعِ الصَّوْتِ كَثِيرًا (**فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا**) أَىِ اللَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ الأَزَلِىِّ كُلَّ الْمَسْمُوعَاتِ قَوِيَّةً كَانَتْ أَمْ ضَعِيفَةً وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ (**إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَالَّذِى تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ«**) أَىْ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِ عِبَادِهِ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْقُرْبَ بِالْمَسَافَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ فَالْعَرْشُ وَالْفَرْشُ الَّذِى هُوَ أَسْفَلُ الْعَالَمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِ اللَّهِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ لَيْسَ أَحَدُهُمَا أَقْرَبَ مِنَ الآخَرِ إِلَى اللَّهِ بِالْمَسَافَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ يَلْزَمُ عَلَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ الْمُشَبِّهَةُ مِنْ حَمْلِ النُّصُوصِ الَّتِى ظَاهِرُهَا أَنَّ اللَّهَ مُتَحَيِّزٌ فِى جِهَةِ فَوْقٍ عَلَى ظَاهِرِهَا كَوْنُ اللَّهِ تَعَالَى غَائِبًا لا قَرِيبًا لِأَنَّ بَيْنَ الْعَرْشِ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِى الأَرْضِ مَسَافَةً تَقْرُبُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة وَفِى خِلالِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ أَجْرَامٌ صَلْبَةٌ وَهِىَ أَجْرَامُ السَّمَوَاتِ وَجِرْمُ الْكُرْسِىِّ فَلا يَصِحُّ عَلَى مُوجَبِ مُعْتَقَدِهِمْ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّهُ قَرِيبٌ بَلْ يَكُونُ غَائِبًا أَمَّا عَلَى قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَوْنُهُ قَرِيبًا لا إِشْكَالَ فِيهِ فَمَا أَشَدَّ فَسَادَ عَقِيدَةٍ تُؤَدِّى إِلَى هَذَا (**فَيُقَالُ لِلْمُعْتَرِضِ إِذَا أَخَذْتَ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَلَى ظَاهِرِهِمَا بَطَلَ زَعْمُكَ أَنَّ اللَّهَ فِى السَّمَاءِ وَإِنْ أَوَّلْتَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَلَمْ تُؤَوِّلْ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ فَهَذَا تَحَكُّمٌ أَىْ قَوْلٌ بِلا دَلِيلٍ وَيَصْدُقُ عَلَيْكَ قَوْلُ اللَّهِ فِى الْيَهُودِ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وَكَذَلِكَ مَاذَا تَقُولُ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فَإِنْ أَوَّلْتَهُ فَلِمَ لا تُؤَوِّلُ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ. وَقَدْ جَاءَ فِى تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ عَنْ مُجَاهِدٍ تِلْمِيذِ ابْنِ عَبَّاسٍ »قِبْلَةُ اللَّهِ« فَفَسَّرَ الْوَجْهَ بِالْقِبْلَةِ أَىْ**) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَخَصَّ لَكُمْ (**لِصَلاةِ النَّفْلِ فِى السَّفَرِ عَلَى الرَّاحِلَةِ**) أَنْ تَتَوَجَّهُوا إِلَى الْجِهَةِ الَّتِى تَذْهَبُونَ إِلَيْهَا وَهَذَا لِمَنْ هُوَ رَاكِبٌ الدَّابَّةَ (**وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِى رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ وَهُوَ »الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ ارْحَمُوا مَنْ فِى الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ« وَفِى رِوَايَةٍ أُخْرَى »يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ«**) وَإِسْنَادُهَا حَسَنٌ رَوَاهَا أَحْمَدُ فِى مُسْنَدِهِ (**فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تُفَسِّرُ الرِّوَايَةَ الأُولَى لِأَنَّ خَيْرَ مَا يُفَسَّرُ بِهِ الْحَدِيثُ الْوَارِدُ بِالْوَارِدِ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِىُّ فِى أَلْفِيَّتِهِ وَخَيْرُ مَا فَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدِ. ثُمَّ الْمُرَادُ بِأَهْلِ السَّمَاءِ الْمَلائِكَةُ ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِىُّ فِى أَمَالِيِّهِ عَقِيبَ هَذَا الْحَدِيثِ وَنَصُّ عِبَارَتِهِ »وَاسْتُدِلَّ بِقَوْلِهِ »أَهْلُ السَّمَاءِ« عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿مَّنْ فِى السَّمَاءِ﴾ الْمَلائِكَةُ« اهـ لِأَنَّهُ لا يُقَالُ لِلَّهِ »أَهْلُ السَّمَاءِ«**) أَىْ لا يَجُوزُ ذَلِكَ (**وَ»مَنْ« تَصْلُحُ لِلْمُفَرَدِ وَلِلْجَمْعِ**) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ**﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿**وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ**﴾ (**فَلا حُجَّةَ لَهُمْ فِى الآيَةِ، وَيُقَالُ مِثْلُ ذَلِكَ فِى الآيَةِ الَّتِى تَلِيهَا وَهِىَ ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ فَـمَنْ فِى هَذِهِ الآيَةِ أَيْضًا أَهْلُ السَّمَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ عَلَى الْكُفَّارِ الْمَلائِكَةَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْهِمْ عُقُوبَتَهُ فِى الدُّنْيَا كَمَا أَنَّهُمْ فِى الآخِرَةِ هُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِتَسْلِيطِ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْكُفَّارِ لِأَنَّهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ وَهُمْ يَجُرُّونَ عُنُقًا**) أَىْ جُزْءًا كَبِيرًا (**مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى الْمَوْقِفِ لِيَرْتَاعَ** **الْكُفَّارُ بِرُؤْيَتِهِ**) فَالَّذِى يُفَسِّرُ ﴿**ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِى السَّمَاءِ**﴾ أَىْ عَلَى السَّمَاءِ نَقُولُ لَهُ الْعُلُوُّ يَأْتِى لِلْعُلُوِّ الْحِسِّىِّ وَالْعُلُوِّ الْمَعْنَوِىِّ فَإِنْ أَرَدْتَ الْعُلُوَّ الْمَعْنَوِىَّ أَىْ رَفِيعَ الْقَدْرِ جِدًّا فَلا بَأْسَ وَإِنْ أَرَدْتَ الْعُلُوَّ الْحِسِّىَّ فَقَدْ كَفَرْتَ لِأَنَّ الَّذِى يَكُونُ فِى جِهَةٍ يَكُونُ مَحْدُودًا وَالْمَحْدُودُ بِحَاجَةٍ لِمَنْ حَدَّهُ بِهَذَا الْحَدِّ وَالْمُحْتَاجُ إِلَى شَىْءٍ لا يَكُونُ إِلَهًا. وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ بِإِيرَادِ الآيَةِ ﴿**وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ فَيُقَالُ لَهُمْ هَلْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ يُصْعَقُ وَكَذَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ بِإِيرَادِ الآيَةِ ﴿**يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾ (**وَتِلْكَ الرِّوَايَةُ الَّتِى أَوْرَدَهَا الْحَافِظُ الْعِرَاقِىُّ فِى أَمَالِيِّهِ لَفْظُهَا »الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحِيمُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ**) أَىْ بِإِرْشَادِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ بِتَعْلِيمِهِمْ أُمُورَ الدِّينِ الضَّرُورِيَّةَ الَّتِى هِىَ سَبَبٌ لإِنْقَاذِهِمْ مِنَ النَّارِ وَبِإِطْعَامِ جَائِعِهِمْ وَكِسْوَةِ عَارِيهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ (**يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ«**) وهُمُ الْمَلائِكَةُ وَهُمْ يَرْحَمُونَ مَنْ فِى الأَرْضِ أَيْ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُنْزِلُونَ لَهُمُ الْمَطَرَ وَيَنْفَحُونَهُمْ بِنَفَحَاتِ خَيْرٍ وَيُمِدُّونَهُمْ بِمَدَدِ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ وَيَحْفَظُونَهُمْ عَلَى حَسَبِ مَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى (**ثُمَّ لَوْ كَانَ اللَّهُ سَاكِنَ السَّمَاءِ كَمَا يَزْعُمُ الْبَعْضُ لَكَانَ اللَّهُ يُزَاحِمُ الْمَلائِكَةَ وَهَذَا مُحَالٌ فَقَدْ ثَبَتَ حَدِيثُ أَنَّهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ وَفِى لَفْظٍ شِبْرٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ**) رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ فِى الْمُعْجَمِ الأَوْسَطِ وَالتِّرْمِذِىُّ فِى سُنَنِهِ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ سَاكِنَ السَّمَاءِ وَإِلَّا لَكَانَ مُسَاوِيًا لِلْمَلائِكَةِ مُزَاحِمًا لَهُمْ (**وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِى رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »أَلا تَأْمَنُونِى وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِى السَّمَاءِ**) أَىْ مُؤْتَمَنٌ مُصَدَّقٌ عِنْدَ الْمَلائِكَةِ وَمَعْنَاهُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ أَمِينٌ صَادِقٌ فِى إِبْلاغِ الْوَحْىِ (**يَأْتِينِى خَبَرُ مَنْ فِى السَّمَاءِ صَبَاحَ مَسَاءَ« فَالْمَقْصُودُ بِهِ الْمَلائِكَةُ أَيْضًا وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ اللَّهُ فَمَعْنَاهُ الَّذِى هُوَ رَفِيعُ الْقَدْرِ جِدًّا. وَأَمَّا حَدِيثُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ زَوْجِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ لِنِسَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِى اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ«**) رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِىُّ فِى السُّنَنِ الْكُبْرَى (**فَمَعْنَاهُ أَنَّ تَزَوُّجَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا مُسَجَّلٌ فِى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ**) وَفِيهِ بَيَانُ أَنَّ زَيْنَبَ تَزَوَّجَهَا النَّبِىُّ بِالْوَحْىِ مِنْ غَيْرِ وَلِىٍّ وَشَاهِدَيْنِ (**وَهَذِهِ كِتَابَةٌ خَاصَّةٌ بِزَيْنَبَ لَيْسَتِ الْكِتَابَةَ الْعَامَّةَ، الْكِتَابَةُ الْعَامَّةُ لِكُلِّ شَخْصٍ فَكُلُّ زِوَاجٍ يَحْصُلُ إِلَى نِهَايَةِ الدُّنْيَا مُسَجَّلٌ، وَاللَّوْحُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ. وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِى فِيهِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا الْحَدِيثَ فَيُحْمَلُ أَيْضًا عَلَى الْمَلائِكَةِ بِدَلِيلِ الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ الصَّحِيحَةِ وَالَّتِى هِىَ أَشْهَرُ مِنْ هَذِهِ وَهِىَ »لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ« رَوَاهَا ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ**) أَمَّا الرِّوَايَةُ الأُولَى فَقَدْ رَوَاهَا الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَيُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا عُذْرٌ شَرْعِىٌّ كَالْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ أَوْ كَانَتْ مَرِيضَةً يَضُرُّهَا الْجِمَاعُ لا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَمْنَعَ زَوْجَهَا مِنْ مُجَامَعَتِهَا مَتَى مَا أَرَادَ وَإِلَّا كَانَتْ فَاسِقَةً مَلْعُونَةً مَسْخُوطًا عَلَيْهَا مِنَ الْمَلائِكَةِ (**وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِى الدَّرْدَاءِ**) الَّذِى رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِى سُنَنِهِ (**أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »رَبَّنَا الَّذِى فِى السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ« فَلَمْ يَصِحَّ بَلْ هُوَ ضَعِيفٌ كَمَا حَكَمَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِىِّ وَلَوْ صَحَّ فَأَمْرُهُ كَمَا مَرَّ فِى حَدِيثِ الْجَارِيَةِ**) أَىْ لَكَانَ مَعْنَاهُ الَّذِى هُوَ رَفِيعُ الْقَدْرِ جِدًّا (**وَأَمَّا حَدِيثُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »إِنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ وَسَمَوَاتُهُ فَوْقَ أَرَاضِيهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ« فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ فَلا حُجَّةَ فِيهِ وَفِى إِسْناَدِهِ مَنْ هُوَ ضَعِيفٌ لا يُحْتَجُّ بِهِ ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِىِّ**) فِى كِتَابِهِ دَفْعِ شُبَهِ التَّشْبِيهِ (**وَغَيْرُهُ. وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ**) الْبُخَارِىُّ (**فِى كِتَابِهِ خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ »لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى كَانَ نِدَاؤُهُ فِى السَّمَاءِ وَكَانَ اللَّهُ فِى السَّمَاءِ« فَهُوَ غَيْرُ ثَابِتٍ فَلا يُحْتَجُّ بِهِ**) لِأَنَّ الْبُخَارِىَّ لَمْ يَلْتَزِمْ أَنْ لا يَذْكُرَ إِلَّا الصَّحِيحَ فِى هَذَا الْكِتَابِ لِذَلِكَ لا يُكْتَفَى لِتَصْحِيحِ الْحَدِيثِ بِمُجَرَّدِ ذِكْرِهِ فِيهِ. وَقَدْ ذَكَرَهُ الْبُخَارِىُّ بِدُونِ سَنَدٍ بَلْ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (**وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمَنْسُوبُ لِمَالِكٍ وَهُوَ قَوْلُ** »**اللَّهُ فِى السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِى كُلِّ مَكَانٍ لا يَخْلُو مِنْهُ شَىْءٌ« فَهُوَ غَيْرُ ثَابِتٍ أَيْضًا عَنْ مَالِكٍ) ذَكَرَهُ ابْنُ جَمَاعَةَ فِى كِتَابِهِ إِيضَاحُ الدَّلِيلِ وَقَالَ فِيهِ »قَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ نَافِعٍ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حَدِيثٍ وَكَانَ ضَعِيفًا فِيهِ (وَأَبُو دَاوُدَ لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَيْهِ بِالإِسْنَادِ الصَّحِيحِ بَلْ ذَكَرَهُ فِى كِتَابِهِ الْمَسَائِلُ) أَىْ مَسَائِلُ الإِمَامِ أَحْمَدَ (وَمُجَرَّدُ الرِّوَايَةِ لا يَكُونُ إِثْبَاتًا).**

## صِفَاتُ اللَّهِ الثَّلاثَ عَشْرَةَ

الصِّفَاتُ الثَّلاثَ عَشْرَةَ هِىَ الصِفَاتُ الْقَائِمَةُ بِذَاتِ اللَّهِ بِالِاتِّفَاقِ وَمَعْنَى الْقَائِمَةِ بِذَاتِ اللَّهِ الثَابِتَةُ لَهُ وَهِىَ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَقِّ أَىْ لَيْسَتْ حَادِثَةً فِى ذَاتِ اللَّهِ بَلْ هِىَ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ أَزَلًا وَأَبَدًا فَلا تَتَغَيَّرُ وَلا تَزِيدُ وَلا تَنْقُصُ كَصِفَاتِ الْخَلْقِ فَمَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُوَ كَافِرٌ وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِهِ أَنَّ لِلَّهِ ثَلاثَ عَشْرَةَ صِفَةً لِجَهْلِهِ وَلَمْ يَنْفِ وَلَمْ يَشُكَّ فِى وَاحِدَةٍ مِنْهَا ومَا مَرَّتْ عَلَى بَالِهِ بِالْمَرَّةِ لَكِنَّهُ اعْتَقَدَ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ فَهُوَ مُسْلِمٌ. وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ الْمَجِيدِ الشُّرْنُوبِىُّ فِى شَرْحِ تَائِيَّةِ السُّلُوكِ وَأَبُو بَكْرٍ الدِّمْيَاطِىُّ فِى كِتَابِهِ إِعَانَةُ الطَّالِبِينَ أَنَّهُ (**جَرَتْ عَادَةُ الْعُلَمَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ فِى الْعَقِيدَةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى قَوْلِهِمْ إِنَّ الْوَاجِبَ الْعَيْنِىَّ الْمَفْرُوضَ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَىِ الْبَالِغِ الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ثَلاثَ عَشْرَةَ صِفَةً الْوُجُودَ وَالْقِدَمَ وَالْمُخَالَفَةَ لِلْحَوَادِثِ وَالْوَحْدَانِيَّةَ وَالْقِيَامَ** **بِنَفْسِهِ وَالْبَقَاءَ وَالْقُدْرَةَ وَالإِرَادَةَ وَالْحَيَاةَ وَالْعِلْمَ وَالْكَلامَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ مَا يُنَافِى هَذِهِ الصِّفَاتِ. وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ ذُكِرَتْ كَثِيرًا فِى النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ قَالَ الْعُلَمَاءُ يَجِبُ مَعْرِفَتُهَا وُجُوبًا عَيْنِيًّا أَىْ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بِعَيْنِهِ**) وَلا يَجِبُ حِفْظُ أَلْفَاظِهَا عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَعِنْدَ الأَشَاعِرَةِ صِفَاتُ اللَّهِ الَّتِى يَجِبُ مَعْرِفَتُهَا عَيْنًا ثَلاثَ عَشْرَةَ صِفَةً وَمَا عَدَا هَذِهِ الثَّلاثَ عَشْرَةَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ إِنَّهَا حَادِثَةٌ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ قَائِمَةً بِذَاتِ اللَّهِ وَأَمَّا عِنْدَ الْمَاتُرِيدِيَّةِ فَصِفَاتُ اللَّهِ لا تُحْصَرُ بِعَدَدٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ صِفَاتِ الأَفْعَالِ كَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ وَالرَّزْقِ وَالإِسْعَادِ وَالإِشْقَاءِ عِنْدَهُمْ صِفَاتٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ لِذَلِكَ قَالُوا إِنَّهَا أَزَلِيَّةٌ قَدِيمَةٌ أَبَدِيَّةٌ (**وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِوُجُوبِ مَعْرِفَةِ عِشْرِينَ صِفَةً فَزَادُوا سَبْعَ صِفَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ قَالُوا وَكَوْنُهُ تَعَالَى قَادِرًا وَمُرِيدًا وَحَيًّا وَعَالِمًا وَمُتَكَلِّمًا وَسَمِيعًا وَبَصِيرًا وَالطَّرِيقَةُ الأُولَى هِىَ الرَّاجِحَةُ**).

## الْوُجُودُ

(**اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْجُودٌ أَزَلًا وَأَبَدًا فَلَيْسَ وُجُودُهُ تَعَالَى بِإِيجَادِ مُوجِدٍ**) فَالأَصْلُ الَّذِى تُبْنَى عَلَيْهِ الْعَقِيدَةُ الإِسْلامِيَّةُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ رَسُولِهِ فمَعْرِفَةُ اللَّهِ هُوَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ فَيَجِبُ اعْتِقَادُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ لا ابْتِدَاءَ لِوُجُودِهِ وَأَنَّهُ مُنْفَرِدٌ بِذَلِكَ فَلا مَوْجُودَ قَدِيمٌ أَزَلِىٌّ إِلَّا اللَّهُ قَالَ تَعَالَى ﴿**هُوَ الأَوَّلُ**﴾ (**وَقَدِ اسْتَنْكَرَ بَعْضُ النَّاسِ قَوْلَ اللَّهُ مَوْجُودٌ لِكَوْنِهِ عَلَى وَزْنِ مَفْعُولٍ وَالْجَوَابُ أَنَّ مَفْعُولًا قَدْ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ فِعْلُ الْغَيْرِ كَمَا نَقُولُ اللَّهُ مَعْبُودٌ وَهَؤُلاءِ ظَنُّوا بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّ لَهُمْ نَصِيبًا فِى عِلْمِ اللُّغَةِ وَلَيْسُوا كَمَا ظَنُّوا. قَالَ اللُّغَوِىُّ الْكَبِيرُ شَارِحُ الْقَامُوسِ الزَّبِيدِىُّ فِى شَرْحِ الإِحْيَاءِ مَا نَصُّهُ وَالْبَارِئُ تَعَالَى مَوْجُودٌ فَصَحَّ أَنْ يُرَى وَقَالَ الْفَيُّومِىُّ اللُّغَوِىُّ صَاحِبُ الْمِصْبَاحِ الْمَوْجُودُ خِلافُ الْمَعْدُومِ**).

## الْقِدَمُ

(**يَجِبُ لِلَّهِ الْقِدَمُ بِمَعْنَى الأَزَلِيَّةِ لا بِمَعْنَى تَقَادُمِ الْعَهْدِ وَالزَّمَنِ**) وَالدَّلِيلُ النَّقْلِىُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدِيمٌ أَىْ أَزَلِىٌّ ءَايَاتٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**هُوَ الأَوَّلُ**﴾ (**لِأَنَّ لَفْظَ الْقَدِيمِ وَالأَزَلِىِّ إِذَا أُطْلِقَا عَلَى اللَّهِ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لا بِدَايَةَ لِوُجُودِهِ فَيُقَالُ اللَّهُ أَزَلِىٌّ اللَّهُ قَدِيمٌ، وَإِذَا أُطْلِقَا عَلَى الْمَخْلُوقِ كَانَا بِمَعْنَى تَقَادُمِ الْعَهْدِ وَالزَّمَنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِى الْقَمَرِ ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾**) وَالْعُرْجُونُ هُوَ عِذْقُ النَّخْلِ وَهُوَ شَىْءٌ فِى أَعْلَى النَّخْلِ فَإِنَّهُ إِذَا مَضَى عَلَيْهِ زَمَانٌ يَيْبَسُ فَيَتَقَوَّسُ فَالْقَمَرُ فِى ءَاخِرِهِ يَصِيرُ بِهَيْئَةِ ذَلِكَ فَهُنَا الْقَدِيمُ جَاءَ بِمَعْنَى الشَّىْءِ الَّذِى مَضَى عَلَيْهِ زَمَانٌ طَوِيلٌ (**وَقَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ الْفَيْرُوزَابَادِىُّ »الْهَرَمَانِ بِنَاءَانِ أَزَلِيَّانِ بِمِصْرَ« وَأَمَّا بُرْهَانُ قِدَمِهِ تَعَالَى) الْعَقْلِىُّ** (**فَهُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا لَلَزِمَ حُدُوثُهُ فَيَفْتَقِرُ إِلَى مُحْدِثٍ فَيَلْزَمُ الدَّوْرُ**) وَمَعْنَاهُ تَوَقُّفُ وُجُودِ الشَّىْءِ عَلَى مَا يَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ عَلَيْهِ كَمَا لَوْ قِيلَ زَيْدٌ أَوْجَدَهُ عَمْرٌو وَعَمْرٌو أَوْجَدَهُ بَكْرٌ وَبَكْرٌ أَوْجَدَهُ زَيْدٌ هَذَا مَعْنَاهُ فِيهِ وَقْفُ وُجُودِ زَيْدٍ عَلَى وُجُودِ عَمْرٍو وَعَلَى وُجُودِ بَكْرٍ وَهَذَا شَىْءٌ لا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ لِأَنَّهُ يُؤَدِّى إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ لِشَىْءٍ هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ أَىْ مَخْلُوقٌ لِمَخْلُوقِهِ (**أَوْ**) يَلْزَمُ (**التَّسَلْسُلُ**) وَهُوَ تَوَقُّفُ وُجُودِ شَّىْءٍ عَلَى شَىْءٍ يَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ وُجُودُهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ وُجُودُهُ عَلَى غَيْرِهِ أَىْ كُلُّ هَؤُلاءِ خَالِقٌ لِمَا يَلِيهِ إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءٍ وَهَذَا لا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ. وَمِثَالُ التَّسَلْسُلِ أَنْ يَقُولَ شَخْصٌ لِآخَرَ لا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا حَتَّى أُعْطِيَكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا وَلا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا حَتَّى أُعْطِيَكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا وَهَكَذَا لا إِلَى أَوَّلٍ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَنْ يُعْطِيَهُ دِرْهَمًا (**وَكُلٌّ مِنْهُمَا**) أَىِ الدَّوْرُ وَالتَّسَلْسُلُ (**مُحَالٌ فَثَبَتَ أَنَّ حُدُوثَهُ تَعَالَى مُحَالٌ وَقِدَمَهُ ثَابِتٌ**) وَلَمْ يَقُلْ بِالتَّسَلْسُلِ مُسْلِمٌ فِى السَّلَفِ وَلا فِى الْخَلَفِ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ أَدْعِيَاءِ الْحَدِيثِ وَهُوَ ابْنُ تَيْمِيَةَ قَالَ بِأَنَّ نَوْعَ الْعَالَمِ أَزَلِىٌّ قَدِيمٌ أَىْ لَمْ يَزَلْ مَخْلُوقٌ مَعَ اللَّهِ وَهَذَا كُفْرٌ صَرِيحٌ كَمَا قَالَ الزَّرْكَشِىُّ وَغَيْرُهُ. وَيَكْفِى فِى رَدِّ عَقِيدَةِ ابْنِ تَيْمِيَةَ هَذِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**هُوَ الأَوَّلُ**﴾ وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَىْءٌ غَيْرُهُ**« لِأَنَّ نَوْعَ الْعَالَمِ غَيْرُ اللَّهِ كَمَا أَنَّ أَفْرَادَهُ غَيْرُ اللَّهِ. وَسَبَقَ ابْنَ تَيْمِيَةَ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الإِسْلامِ إِلَى الْقَوْلِ بِمَا يُشْبِهُهُ ابْنُ سِينَا وَالْفَارَابِىُّ وَمَنْ وَافَقَهُمَا بِأَنَّ الْعَالَمَ أَزَلِىٌّ مَادَّتُهُ وَأَفْرَادُهُ وَكِلْتَا الْمَقَالَتَيْنِ لِلْفَلاسِفَةِ الأُولَى لِمُحْدَثِيهِمْ وَالثَّانِيَةُ لِمُتَقَدِّمِيهِمْ لَكِنَّ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَرْبَأُ بِنَفْسِهِ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ أَخَذَ بِعَقِيدَةِ الْفَلاسِفَةِ وَأَرَادَ أَنْ يَتَسَتَّرَ بِنِسْبَةِ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ إِلَى أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ مِنَ السَّلَفِ وَهُوَ كَذِبٌ ظَاهِرٌ وَمَا سَبَقَهُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْحَدِيثِ حَتَّى مِنْ مُشَبِّهَةِ الْمُحَدِّثِينَ كَالدَّارِمِىِّ الْمُجَسِّمِ.

## الْبَقَاءُ

(**يَجِبُ الْبَقَاءُ لِلَّهِ تَعَالَى بِمَعْنَى أَنَّهُ لا يَلْحَقُهُ فَنَاءٌ لِأَنَّهُ لَمَّا ثَبَتَ وُجُوبُ قِدَمِهِ تَعَالَى عَقْلًا وَجَبَ لَهُ الْبَقَاءُ**) وَاسْتَحَالَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ (**لِأَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ الْعَدَمُ لَانْتَفَى عَنْهُ الْقِدَمُ**) وَجَازَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْحَوَادِثِ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ حَادِثٌ هَذَا هُوَ الْبُرْهَانُ الْعَقْلِىُّ عَلَى وُجُوبِ الْبَقَاءِ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا الدَّلِيلُ مِنَ الْمَنْقُولِ فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ أَىْ ذَاتُ رَبِّكَ. وَالْبَقَاءُ الَّذِى هُوَ وَاجِبٌ لِلَّهِ هُوَ الْبَقَاءُ الذَّاتِىُّ أَىْ لَيْسَ بِإِيجَابِ شَىْءٍ غَيْرِهِ لَهُ (**فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْبَاقِى لِذَاتِهِ لا بَاقِىَ لِذَاتِهِ غَيْرُهُ وَأَمَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَبَقَاؤُهُمَا**) الثَابِتُ بِالإِجْمَاعِ (**لَيْسَ**) بَقَاءً (**بِالذَّاتِ**) لِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَادِثَتَانِ وَالْحَادِثُ لا يَكُونُ بَاقِيًا لِذَاتِهِ فَبَقَاءُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَيْسَ بِذَاتَيْهِمَا (**بَلْ لِأَنَّ اللَّهَ شَاءَ لَهُمَا الْبَقَاءَ فَالْجَنَّةُ بِاعْتِبَارِ ذَاتِهَا يَجُوزُ عَلَيْهَا الْفَنَاءُ وَكَذَلِكَ النَّارُ بِاعْتِبَارِ ذَاتِهَا يَجُوزُ عَلَيْهَا الْفَنَاءُ**) عَقْلًا لِكَوْنِهِمَا حَادِثَتَيْنِ.

## السَّمْعُ

(**وَهُوَ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ**) قَدِيمَةٌ (**ثَابِتَةٌ لِذَاتِ اللَّهِ**) تَتَعَلَّقُ بِالْمَسْمُوعَاتِ وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ تَتَعَلَّقُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ مِنَ الأَصْوَاتِ وَغَيْرِهَا وَهُوَ الْقَوْلُ الْمُعْتَمَدُ (**فَهُوَ يَسْمَعُ الأَصْوَاتَ بِسَمْعٍ أَزَلِىٍّ أَبَدِىٍّ لا كَسَمْعِنَا لَيْسَ بِأُذُنٍ وَصِمَاخٍ فَهُوَ تَعَالَى لا يَعْزُبُ أَىْ لا يَغِيبُ عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِىَ أَىْ عَلَيْنَا وَبَعُدَ أَىْ عَنَّا كَمَا يَعْلَمُ بِغَيْرِ قَلْبٍ**) فَسَمْعُ اللَّهِ تَعَالَى أَزَلِىٌّ وَمَسْمُوعَاتُهُ الَّتِى هِىَ مِنْ قَبِيلِ الصَّوْتِ حَادِثَةٌ فَهُوَ يَسْمَعُ كَلامَهُ الأَزَلِىَّ بِسَمْعٍ أَزَلِىٍّ وَيَسْمَعُ كَلامَ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَصْوَاتَهُمْ بِسَمْعٍ أَزَلِىٍّ لَيْسَ بِسَمْعٍ يَحْدُثُ فِى ذَاتِهِ عِنْدَ وُجُودِ الْحَادِثَاتِ (**وَدَلِيلُ وُجُوبِ السَّمْعِ لَهُ عَقْلًا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِالسَّمْعِ لَكَانَ مُتَّصِفًا بِالصَّمَمِ وَهُوَ نَقْصٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ مُحَالٌ فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ يَسْمَعُ بِأُذُنٍ فَقَدْ أَلْحَدَ وَكَفَرَ**) وَقَدْ وَقَعَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ عِلْمَ التَّنْزِيهِ مِمَّنِ اقْتَصَرَ عَلَى حِفْظِ الْقُرْءَانِ مِنْ دُونِ تَلَقٍّ لِعِلْمِ الدِّينِ تَفَهُّمًا مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ تَلَقَّوْا مِمَّنْ قَبْلَهُمْ فِى التَّشْبِيهِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَهُ ءَاذَانٌ فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ أَلَيْسَ قَالَ الرَّسُولُ لَلَّهُ أَشَدُّ ءَاذَانًا فَقِيلَ لَهُ أَنْتَ حَرَّفْتَ الْحَدِيثَ فَالْحَدِيثُ »**أَذَنًا**« بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالذَّالِ وَلَيْسَ ءَاذَانًا فَقَدْ ظَنَّ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ عَالِمٌ فَتَجَرَّأَ عَلَى تَحْرِيفِ هَذَا الْحَدِيثِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ الصَّوَابُ، وَالأَذَنُ فِى اللُّغَةِ الِاسْتِمَاعُ كَمَا فِى الْمِصْبَاحِ الْمُنِيرِ.

**الْبَصَرُ**

(**يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى عَقْلًا الْبَصَرُ أَىِ الرُّؤْيَةُ**) وَهُوَ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْمُبْصَرَاتِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَصَرُهُ لَيْسَ مُخْتَصًّا بِالْجَوَاهِرِ وَمَا يَقُومُ بِالْجَوَاهِرِ مِنَ الْمَرْئِيَّاتِ بَلِ اللَّهُ يَرَى كُلَّ مَوْجُودٍ بِلا اسْتِثْنَاءٍ وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الْمُعْتَمَدُ وَكِلا الرَّأْيَيْنِ لَيْسَ فِيهِ ضَرَرٌ (**فَهُوَ يَرَى بِرُؤْيَةٍ أَزَلِيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ الْمَرْئِيَّاتِ جَمِيعَهَا فَيَرَى ذَاتَهُ**) الأَزَلِىَّ وَيَرَى الْحَادِثَاتِ (**بِغَيْرِ حَدَقَةٍ وَجَارِحَةٍ لِأَنَّ الْحَوَاسَّ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ثُبُوتِ الْبَصَرِ لَهُ عَقْلًا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ بَصِيرًا رَائِيًا لَكَانَ أَعْمَى وَالْعَمَى أَىْ عَدَمُ الرُّؤْيَةِ نَقْصٌ عَلَى اللَّهِ وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ مُسْتَحِيلٌ. وَدَلِيلُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ السَّمْعِىُّ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى تَعْدَادِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى »السَّمِيعُ الْبَصِيرُ« وَهُوَ فِى حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِىُّ**) فِى سُنَنِهِ (**وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ**).

## الْكَلامُ

يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى (**الْكَلامُ**) وَ(**هُوَ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ هُوَ مُتَكَلِّمٌ بِهَا ءَامِرٌ نَاهٍ وَاعِدٌ مُتَوَعِّدٌ**) وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا لَكَانَ أَبْكَمَ وَالْبَكَمُ نَقْصٌ وَالنَّقْصُ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ وَأَمَّا دَلِيلُهُ النَّقْلِىُّ النُّصُوصُ الْقُرْءَانِيَّةُ وَالْحَدِيثِيَّةُ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ أَىْ أَسْمَعَهُ كَلامَهُ الأَزَلِىَّ الأَبَدِىَّ فَفَهِمَ مِنْهُ مُوسَى مَا فَهِمَ فَتَكْلِيمُ اللَّهِ أَزَلِىٌّ وَمُوسَى وَسَمَاعُهُ لِكَلامِ اللَّهِ حَادِثَانِ. وَكَلامُهُ تَعَالَى الذَّاتِىُّ (**لَيْسَ**) حَادِثًا (**كَكَلامِ غَيْرِهِ بَلْ أَزَلِىٌّ بِأَزَلِيَّةِ الذَّاتِ لا يُشْبِهُ كَلامَ الْخَلْقِ وَلَيْسَ بِصَوْتٍ يَحْدُثُ مِنِ انْسِلالِ الْهَوَاءِ أَوِ اصْطِكَاكِ الأَجْرَامِ وَلا بِحَرْفٍ يَنْقَطِعُ بِإِطْبَاقِ شَفَةٍ أَوْ تَحْرِيكِ لِسَانٍ**) وأَمَّا كَلامُ الإِنْسَانِ فَهُوَ صَوْتٌ يَعْتَمِدُ عَلَى مَخَارِجَ وَمَقَاطِعَ وَيُبْتَدَأُ وَيُخْتَتَمُ وَيَكُونُ بِلُغَاتٍ وَحُرُوفٍ (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ كَلامَ اللَّهِ الأَزَلِىَّ**) الأَبَدِىَّ (**بِغَيْرِ حَرْفٍ وَلا صَوْتٍ كَمَا يَرَى الْمُؤْمِنُونَ ذَاتَ اللَّهِ فِى الآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا وَلا عَرَضًا لِأَنَّ الْعَقْلَ لا يُحِيلُ سَمَاعَ مَا لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلا صَوْتٍ وَكَلامُهُ تَعَالَى الذَّاتِىُّ لَيْسَ حُرُوفًا مُتَعَاقِبَةً**) يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا (**كَكَلامِنَا، وَإِذَا قَرَأَ الْقَارِئُ مِنَّا كَلامَ اللَّهِ فَقِرَاءَتُهُ حَرْفٌ وصَوْتٌ لَيْسَتْ أَزَلِيَّةً. وَقَدْ نُقِلَ هَذَا التَّفْصِيلُ عَنْ أَبِى حَنِيفَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مِنَ السَّلَفِ أَدْرَكَ شَيْئًا مِنَ الْمِائَةِ الأُولَى ثُمَّ تُوُفِّىَ سَنَةَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ هِجْرِيَّةً قَالَ »وَاللَّهُ يَتَكَلَّمُ لا بِآلَةٍ وَحَرْفٍ وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِآلَةٍ وَحَرْفٍ« فَلْيُفْهَمْ ذَلِكَ. وَلَيْسَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ الْمُشَبِّهَةُ بِأَنَّ السَّلَفَ مَا كَانُوا يَقُولُونَ بِأَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَإِنَّمَا هَذَا بِدْعَةُ الأَشَاعِرَةِ وَهَذَا الْكَلامُ مِنْ أَبِى حَنِيفَةَ ثَابِتٌ ذَكَرَهُ فِى إِحْدَى رَسَائِلِهِ الْخَمْسِ**) الَّتِي هِىَ صَحِيحَةُ النِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ الْمُحَدِّثُ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ مُرْتَضَى الزَّبِيدِىُّ وَذَلِكَ فِى شَرْحِهِ عَلَى إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ فِى أَوَائِلِ الْجُزْءِ الثَّانِى قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ ذِكْرِ اخْتِلافِ النَّاسِ فِى نِسْبَتِهَا إِلَيْهِ. وَمِنْ أَشَدِّ الْمُشَبِّهَةِ تَعَلُّقًا بِقَوْلِهِمُ الْفَاسِدِ ابْنُ تَيْمِيَةَ فَإِنَّهُ قَالَ فِى كِتَابِهِ مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى إِنَّ كَلامَ اللَّهِ حُرُوفٌ مُتَعَاقِبَةٌ يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَتَخَلَّلُهُ سُكُوتٌ وَكَذَلِكَ قَالَ إِرَادَةُ اللَّهِ تَحْدُثُ شَيْئًا فَشَيْئًا فَجَعَلَ اللَّهَ تَعَالَى مُتَّصِفًا بِصِفَتَيْنِ حَادِثَتَيْنِ فَيَكُونُ هُوَ نَسَبَ الْحُدُوثَ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ مَنْ يَقُومُ بِهِ صِفَةٌ حَادِثَةٌ فَهُوَ حَادِثٌ وَقَدْ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ فِى الْفِقْهِ الأَكْبَرِ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ صِفَةَ اللَّهِ حَادِثَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ وَكَذَلِكَ مَنْ شَكَّ فِى ذَلِكَ أَوْ تَوَقَّفَ اهـ (**وَالْقُرْءَانُ لَهُ** **إِطْلاقَانِ يُطْلَقُ عَلَى اللَّفْظِ الْمُنَزَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى الْكَلامِ الذَّاتِىِّ الأَزَلِىِّ الَّذِى لَيْسَ هُوَ بِحَرْفٍ وَلا صَوْتٍ وَلا لُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ وَلا غَيْرِهَا. فَإِنْ قُصِدَ بِهِ الْكَلامُ الذَّاتِىُّ فَهُوَ أَزَلِىٌّ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلا صَوْتٍ وَإِنْ قُصِدَ بِهِ وَبِسَائِرِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ اللَّفْظُ الْمُنَزَّلُ فَمِنْهُ مَا هُوَ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ وَمِنْهُ مَا هُوَ بِاللُّغَةِ السُّرْيَانِيَّةِ وَهَذِهِ اللُّغَاتُ وَغَيْرُهَا مِنَ اللُّغَاتِ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً فَخَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَصَارَتْ مَوْجُودَةً وَاللَّهُ تَعَالَى كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَىْءٍ وَكَانَ مُتَكَلِّمًا قَبْلَهَا وَلَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا وَكَلامُهُ الَّذِى هُوَ صِفَتُهُ أَزَلِىٌّ أَبَدِىٌّ وَهُوَ كَلامٌ وَاحِدٌ وَهَذِهِ الْكُتُبُ الْمُنَزَّلَةُ كُلُّهَا عِبَارَاتٌ عَنْ ذَلِكَ الْكَلامِ الذَّاتِىِّ الأَزَلِىِّ الأَبَدِىِّ وَلا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْعِبَارَةِ حَادِثَةً كَوْنُ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ حَادِثًا أَلا تَرَى أَنَّنَا إِذَا كَتَبْنَا عَلَى لَوْحٍ أَوْ جِدَارٍ »اللَّه« فَقِيلَ هَذَا اللَّهُ فَهَلْ مَعْنَى هَذَا أَنَّ أَشْكَالَ الْحُرُوفِ الْمَرْسُومَةَ هِىَ ذَاتُ اللَّهِ لا يَتَوَهَّمُ هَذَا عَاقِلٌ إِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ عِبَارَةٌ عَنِ الإِلَهِ الَّذِى هُوَ مَوْجُودٌ مَعْبُودٌ خَالِقٌ لِكُلِّ شَىْءٍ وَمَعَ هَذَا لا يُقَالَ الْقُرْءَانُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مَخْلُوقٌ**) وَالتَّلَفُظُّ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ حَرَامٌ وَمَنْ كَفَّرَ مِنَ السَّلَفِ الْمُعْتَزِلَةَ لِقَوْلِهِمُ الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ فَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ لا تَعْتَقِدُ أَنَّ لِلَّهِ كَلامًا هُوَ صِفَةٌ لَهُ بَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ يَخْلُقُهُ فِى غَيْرِهِ كَالشَّجَرَةِ الَّتِى سَمِعَ مُوسَى عِنْدَهَا فَكَفَّرُوهُمْ لِذَلِكَ (**لَكِنْ يُبَيَّنُ فِى مَقَامِ التَّعْلِيمِ أَنَّ اللَّفْظَ الْمُنَزَّلَ لَيْسَ قَائِمًا بِذَاتِ اللَّهِ بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ لِأَنَّهُ حُرُوفٌ يَسْبِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَمَا كَانَ كَذَلِكَ**) فَهُوَ (**حَادِثٌ مَخْلُوقٌ قَطْعًا لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَصْنِيفِ مَلَكٍ وَلا بَشَرٍ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ الْكَلامِ الذَاتِىِّ الَّذِى لا يُوصَفُ بِأَنَّهُ عَرَبِىٌّ وَلا بِأَنَّهُ عِبْرانِىٌّ وَلا بِأَنَّهُ سُرْيَانِىٌّ**) فَإِنْ قِيلَ إِذَا لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ الْمُنَزَّلُ عَيْنَ كَلامِ اللَّهِ الذَّاتِىِّ فَكَيْفَ كَانَ نُزُولُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ فَالْجَوَابُ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّ جِبْرِيلَ وَجَدَهُ مَكْتُوبًا فِى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَأَنْزَلَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَةً عَلَيْهِ لا مَكْتُوبًا فِى صُحُفٍ وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ أَىْ مَقْرُوءُ جِبْرِيلَ فَلَوْ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ الْمُنَزَّلُ عَيْنَ كَلامِ اللَّهِ الذَّاتِىِّ لَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ أَىْ جِبْرِيلَ لِأَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الْمُرَادُ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ بِاتِّفَاقِ الْمُفَسِّرِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَوْتًا بِهَيْئَةِ أَلْفَاظِ الْقُرْءَانِ فَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِىِّ قَالَهُ الْقُونَوِىُّ شَارِحُ الطَّحَاوِيَّةِ فِى الْقَلائِدِ شَرْحِ الْعَقَائِدِ (**وَكُلٌّ يُطْلَقُ عَلَيْهِ كَلامُ اللَّهِ أَىْ أَنَّ صِفَةَ الْكَلامِ الْقَائِمَةَ بِذَاتِ اللَّهِ يُقَالُ لَهَا كَلامُ اللَّهِ وَاللَّفْظُ الْمُنَزَّلُ الَّذِى هُوَ عِبَارَةٌ عَنْهُ يُقَالُ لَهُ كَلامُ اللَّهِ وَالإِطْلاقَانِ مِنْ بَابِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ إِمَّا لُغَوِيَّةٌ**) وَالْمُرَادُ بِهَا أَنَّ اللَّفْظَ إِذَا كَانَ يُسْتَعْمَلُ لِمَعْنًى وَاحِدٍ أَوْ لِأَكْثَرَ مِنْ مَعْنًى فَإِذَا اسْتُعْمِلَ فِى مَعْنَاهُ الْحَقِيقِىِّ يُقَالُ لَهُ حَقِيقَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَإِنْ نُقِلَ إِلَى مَعْنًى ءَاخَرَ فَذَلِكَ الْمَعْنَى الآخَرُ مَجَازٌ بِالنِّسْبَةِ لِهَذَا اللَّفْظِ (**وَإِمَّا شَرْعِيَّةٌ**) وَالْمُرَادُ بِهَا أَنَّ حَمَلَةَ الشَّرْعِ أَحْيَانًا يَسْتَعْمِلُونَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ فِى مَعْنًى مَعْرُوفٍ عِنْدَهُمُ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ فَهَذَا الإِطْلاقُ الَّذِى اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ يُقَالُ لَهُ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ بِحَيْثُ إِذَا أُطْلِقَ هَذَا اللَّفْظُ يَتَبَادَرُ مِنْهُ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِى تَعَارَفَهُ حَمَلَةُ الشَّرْعِ (**وَإِمَّا عُرْفِيَّةٌ**) وَالْمُرَادُ بِهَا فِى عُرْفِ النَّاسِ وَعَادَاتِهِمْ مِثَالُ ذَلِكَ كَلِمَةُ الدَّابَّةِ فِى الأَصْلِ مَعْنَاهَا كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ إِنْسَانٍ وَبَهَائِمَ وَحَشَرَاتٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ ثُمَّ النَّاسُ جَعَلُوهُ لِلْحِمَارِ وَشِبْهِ ذَلِكَ فَعَلَى الْحَقِيقَةِ الْعُرْفِيَّةِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَعْنَاهَا الْحِمَارُ وَشِبْهُ ذَلِكَ (**وَإِطْلاقُ الْقُرْءَانِ عَلَى اللَّفْظِ الْمُنَزَّلِ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ فَلْيُعْلَمْ ذَلِكَ وَتَقْرِيبُ ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّ لَفْظَ الْجَلالَةِ »اللَّه« عِبَارَةٌ عَنْ ذَاتٍ أَزَلِىٍّ أَبَدِىٍّ فَإِذَا قُلْنَا نَعْبُدُ اللَّهَ فَذَلِكَ الذَّاتُ هُوَ الْمَقْصُودُ وَإِذَا كُتِبَ هَذَا اللَّفْظُ فَقِيلَ مَا هَذَا يُقَالُ اللَّهُ بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الذَّاتِ الأَزَلِىِّ الأَبَدِىِّ لا بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ هِىَ الذَّاتُ الَّذِى نَعْبُدُهُ**).

## الإِرَادَةُ

(**اعْلَمْ أَنَّ الإِرَادَةَ وَهِىَ الْمَشِيئَةُ وَاجِبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَهِىَ صِفَةٌ**) قَدِيمَةٌ (**أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ**) قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ أَىْ ثَابِتَةٌ لِذَاتِهِ (**يُخَصِّصُ اللَّهُ بِهَا الْجَائِزَ الْعَقْلِىَّ بِالْوُجُودِ بَدَلَ**) أَنْ يَبْقَى فِى (**الْعَدَمِ**) لِأَنَّ الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةَ كَانَتْ مَعْدُومَةً ثُمَّ دَخَلَتْ فِى الْوُجُودِ لِتَخْصِيصِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا بِوُجُودِهَا فَلَوْلا تَخْصِيصُ اللَّهِ تَعَالَى لَمَا وُجِدَ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ شَىْءٌ (**وَبِصِفَةٍ دُونَ صِفَةٍ**) فَتَخْصِيصُ الإِنْسَانِ بِصُورَتِهِ وَشَكْلِهِ الَّذِى هُوَ قَائِمٌ بِتَخْصِيصِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ كَانَ فِى الْعَقْلِ جَائِزًا أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَهَذَا الشَّكْلِ (**وَبِوَقْتٍ دُونَ ءَاخَرَ**) فَتَخْصِيصُ الإِنْسَانِ بِوُجُودِهِ فِى الْوَقْتِ الَّذِى وُجِدَ فِيهِ دُونَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ هُوَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. فَالْوَاحِدُ مِنَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَوْجَدَ نَفْسَهُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ وَلا هُوَ أَوْجَدَ نَفْسَهُ فِى هَذَا الزَّمَنِ الَّذِى وُجِدَ فِيهِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِتَخْصِيصِ مُخَصِّصٍ وَهُوَ الْمَوْجُودُ الأَزَلِىُّ الْمُسَمَّى اللَّه. وَالْبُرْهَانُ النَّقْلِىُّ عَلَى وُجُوبِ الإِرَادَةِ لِلَّهِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى **﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ أَىْ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُوجِدُ وَيَفْعَلُ الْمُكَوَّنَاتِ بِإِرَادَتِهِ الأَزَلِيَّةِ (**وَ**)أَمَّا (**بُرْهَانُ وُجُوبِ الإِرَادَةِ لِلَّهِ**) مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ (**أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا لَمْ يُوجَدْ شَىْءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لِأَنَّ الْعَالَمَ مُمْكِنُ الْوُجُودِ فَوُجُودُهُ لَيْسَ وَاجِبًا لِذَاتِهِ عَقْلًا وَالْعَالَمُ مَوْجُودٌ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ مَا وُجِدَ إِلَّا بِتَخْصِيصِ مُخَصِّصٍ لِوُجُودِهِ وَتَرْجِيحِهِ لَهُ عَلَى عَدَمِهِ فَثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ مُرِيدٌ شَاءٍ ثُمَّ الإِرَادَةُ بِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ شَامِلَةٌ لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ جَمِيعِهَا الْخَيْرِ مِنْهَا وَالشَّرِّ فَكُلُّ مَا دَخَلَ فِى الْوُجُودِ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ وَمِنْ كُفْرٍ أَوْ مَعَاصٍ أَوْ طَاعَةٍ فَبِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقَعَ وَحَصَلَ**) وَلَوْلا تَخْصِيصُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْحَسَنَاتِ بِالْوُجُودِ مَا وُجِدَتْ وَكَذَلِكَ الْكُفْرِيَّاتُ وَالْمَعَاصِى لَوْلا تَخْصِيصُ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا بِالْوُجُودِ مَا وُجِدَتْ. وَلَيْسَ خَلْقُ الْقَبِيحِ قَبِيحًا مِنَ اللَّهِ وَإِرَادَةُ وُجُودِ الْقَبِيحِ لَيْسَ قَبِيحًا مِنَ اللَّهِ إِنَّمَا الْقَبِيحُ فِعْلُهُ وَإِرَادَتُهُ مِنَ الْخَلْقِ كَمَا أَنَّ خَلْقَ اللَّهِ لِلْخِنْزِيرِ لَيْسَ قَبِيحًا مِنْهُ إِنَّمَا الْخِنْزِيرُ قَبِيحٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْقَبِيحَةِ. فَاللَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ فِى فِعْلِهِ مُنَزَّهٌ عَنِ السَّفَهِ فَهُوَ خَلَقَ الأَعْمَالَ السَّفِيهَةَ وَالأَشْخَاصَ السُّفَهَاءَ (**وَهَذَا كَمَالٌ فِى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ شُمُولَ الْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ لائِقٌ بِجَلالِ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَقَعُ فِى مِلْكِهِ مَا لا يَشَاءُ لَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلَ الْعَجْزِ وَالْعَجْزُ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ**) فَكُلُّ شَىْءٍ يَحْصُلُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَعِلْمِهِ لَكِنَّ الْخَيْرَ يَحْصُلُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَعِلْمِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ أَمَّا الشَّرُّ فَيَحْصُلُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَعِلْمِهِ لا بِمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ (**وَالْمَشِيئَةُ تَابِعَةٌ لِلْعِلْمِ أَىْ أَنَّهُ مَا عَلِمَ حُدُوثَهُ فَقَدْ شَاءَ حُدُوثَهُ وَمَا عَلِمَ أَنَّهُ لا يَكُونُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَكُونَ وَلَيْسَتِ الْمَشِيئَةُ تَابِعَةً لِلأَمْرِ بِدَلِيلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ**) عَلَيْهِ السَّلامُ بِالْوَحْىِ الْمَنَامِىِّ (**بِذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَلَمْ يَشَأْ لَهُ ذَلِكَ**) فَلَمَّا أَرَادَ تَنْفِيذَ مَا أُمِرَ بِهِ فَدَى اللَّهُ تَعَالَى إِسْمَاعِيلَ بِكَبْشٍ مِنَ الْجَنَّةِ جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ فَلَمْ يَذْبَحْ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ فَلَوْ كَانَ الأَمْرُ مُرَادِفًا دَائِمًا لِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ لَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ذَبَحَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ (**فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَأْمُرُ بِمَا لَمْ يَشَأْ وُقُوعَهُ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَمْ يَشَأْ كَمَا أَنَّهُ عَلِمَ بِوُقُوعِ شَىْءٍ مِنَ الْعَبْدِ**) كَالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِى (**وَنَهَاهُ عَنْ فِعْلِهِ**).

## الْقُدْرَةُ

(**يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى الْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ**) وَهِىَ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَقُدْرَةُ اللَّهِ يَتَأَتَّى بِهَا الإِيجَادُ وَالإِعْدَامُ أَىْ يُوجِدُ بِهَا الْمَعْدُومَ مِنَ الْعَدَمِ وَيُعْدِمُ بِهَا الْمَوْجُودَ. وَالْبُرْهَانُ الْعَقْلِىُّ عَلَى وُجُوبِهَا لِلَّهِ تَعَالَى هُوَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا لَكَانَ عَاجِزًا وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا لَمْ يُوجَدْ شَىْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتُ مَوْجُودَةٌ بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْعَجْزُ نَقْصٌ وَالنَّقْصُ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ إِذْ مِنْ شَرْطِ الإِلَهِ الْكَمَالُ. وَأَمَّا الْبُرْهَانُ النَّقْلِىُّ فَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ صِفَةِ الْقُدْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَى فِى الْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ فِى عِدَّةِ مَوَاضِعَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ وَالْقُوَّةُ هِىَ الْقُدْرَةُ وَلا يَجُوزُ التَّعْبِيرُ عَنِ اللَّهِ بِالْقُوَّةِ كَقَوْلِ سَيِّد قُطُب فِى تَفْسِيرِهِ الْقُوَّةُ الْخَالِقَةُ وَهَذَا إِلْحَادٌ لِأَنَّهُ جَعَلَ اللَّهَ صِفَةً فَلْيُحْذَرْ مِنْ تَقْلِيدِهِ فِى ذَلِكَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (**وَالْمُرَادُ بِالشَّىْءِ هُنَا الْجَائِزُ الْعَقْلِىُّ**) وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ الْمُمْكِنُ الْعَقْلِىُّ وَهُوَ مَا يَصِحُّ وُجُودُهُ تَارَةً وَعَدَمُهُ تَارَةً أُخْرَى (**فَخَرَجَ بِذَلِكَ الْمُسْتَحِيلُ الْعَقْلِىُّ لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْوُجُودِ فَلَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِتَعَلُّقِ** **الْقُدْرَةِ**) لِذَلِكَ يَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ هَلِ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ أَوْ عَلَى أَنْ يُعْدِمَ نَفْسَهُ فَلا يُقَالُ إِنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ ذَلِكَ وَلا يُقَالُ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ يُقَالُ قُدْرَةُ اللَّهِ لا تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلاتِ الْعَقْلِيَّةِ (**وَخَالَفَ فِى ذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَادِرٌ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِذْ لَوْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ لَكَانَ عَاجِزًا**) وَهَذَا كُفْرٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ لِأَنَّ مَعْنَى كَلامِهِ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الأَزَلِىُّ حَادِثًا لِأَنَّ الَّذِى يَنْحَلُّ مِنْهُ شَىْءٌ يَكُونُ حَادِثًا مَخْلُوقًا وَاللَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ (**وَهَذَا الَّذِى قَالَهُ غَيْرُ لازِمٍ لِأَنَّ اتِّخَاذَ الْوَلَدِ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ وَالْمُحَالُ الْعَقْلِىُّ لا يَدْخُلُ تَحْتَ الْقُدْرَةِ**) فَلا يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا وَلا يُقَالُ إِنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ ذَلِكَ بَلْ يَكْفُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ (**وَعَدَمُ تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ بِالشَّىْءِ تَارَةً يَكُونُ لِقُصُورِهَا عَنْهُ وَذَلِكَ فِى الْمَخْلُوقِ**) فَالْمُرَادُ بِهِ مَثَلًا كَمَا إِذَا قُلْنَا الإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنْ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِمَعْنَى إِبْرَازِهِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَذَلِكَ لِأَنَّ قُدْرَتَهُ قَاصِرَةٌ عَنْ ذَلِكَ (**وَتَارَةً يَكُونُ لِعَدَمِ قَبُولِ ذَلِكَ الشَّىْءِ الدُّخُولَ فِى الْوُجُودِ أَىْ حُدُوثَ الْوُجُودِ لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلًا عَقْلِيًّا أَوْ لِعَدَمِ قَبُولِ ذَلِكَ الشَّىْءِ الْعَدَمَ لِكَوْنِهِ وَاجِبًا عَقْلِيًّا**) وَهُوَ اللَّهُ وَصِفَاتُهُ (**وَالْعَجْزُ هُوَ الأَوَّلُ**) أَىْ عَدَمُ تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ بِالشَّىْءِ لِقُصُورِهَا عَنْهُ وَهُوَ (**الْمَنْفِىُّ عَنْ قُدْرَتِهِ تَعَالَى لا الثَّانِى**) وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ لا الثَّانِى أَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ عَاجِزٌ عَنْ كَذَا أَوْ كَذَا وَإِنَّمَا مُرَادُهُ بِهِ أَنَّهُ إِنْ قِيلَ مَثَلًا هَلْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ أَنْ يُقَالَ فِى الْجَوَابِ قُدْرَةُ اللَّهِ لا تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلاتِ الْعَقْلِيَّةِ (**فَلا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ وَلا عَاجِزٌ**) عَنْهُ (**قَالَ بَعْضُهُمْ كَمَا لا يُقَالُ عَنِ الْحَجَرِ عَالِمٌ وَلا جَاهِلٌ**) لِأَنَّ مُصَحِّحَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ الْحَيَاةُ وَلا يَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ الْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ وَلا نَفْيِهِمَا فَلا يَكُونُ مُخَالِفًا لِقَاعِدَةِ النَّقِيضَانِ لا يَجْتَمِعَانِ وَلا يَرْتَفِعَانِ فِى مَحَلٍّ وَاحِدٍ (**وَكَذَلِكَ يُجَابُ عَلَى قَوْلِ بَعْضِ الْمُلْحِدِينَ »هَلِ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ« وَهَذَا فِيهِ تَجْوِيزُ الْمُحَالِ الْعَقْلِىِّ وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَزَلِىٌّ**) لِأَنَّ الإِلَهَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ أَزَلِيًّا أَىْ وُجُودُهُ أَزَلِيًّا لَيْسَ لَهُ ابْتِدَاءٌ (**وَلَوْ كَانَ لَهُ مِثْلٌ لَكَانَ أَزَلِيًّا وَالأَزَلِىُّ لا يُخْلَقُ لِأَنَّهُ مَوْجُودٌ فَكَيْفَ يُخْلَقُ الْمَوْجُودُ**) فَكَلامُ هَذَا السَّائِلِ يَنْحَلُّ هَكَذَا أَىْ مُؤَدَّاهُ هَلْ يَخْلُقُ الأَزَلِىُّ أَزَلِيًّا مِثْلَهُ وَالأَزَلِىُّ لا يُقَالُ فِيهِ يُخْلَقُ لِأَنَّهُ مَا سَبَقَهُ الْعَدَمُ وَهَذَا السُّؤَالُ دَلِيلٌ عَلَى سَخَافَةِ عَقْلِ سَائِلِهِ (**أَمَّا الْمُسْتَحِيلُ الْعَقْلِىُّ فَعَدَمُ قَبُولِهِ الدُّخُولَ فِى الْوُجُودِ ظَاهِرٌ وَأَمَّا الْوَاجِبُ الْعَقْلِىُّ فَلا يَقْبَلُ حُدُوثَ الْوُجُودِ لِأَنَّ وُجُودَهُ أَزَلِىٌّ، فَرْقٌ بَيْنَ الْوُجُودِ وَبَيْنَ الدُّخُولِ فِى الْوُجُودِ فَالْوُجُودُ يَشْمَلُ الْوُجُودَ الأَزَلِىَّ وَالْوُجُودَ الْحَادِثَ أَمَّا الدُّخُولُ فِى الْوُجُودِ فَهُوَ الْوُجُودُ الْحَادِثُ. فَالْوَاجِبُ الْعَقْلِىُّ اللَّهُ وَصِفَاتُهُ فَاللَّهُ وَاجِبٌ عَقْلِىٌّ وُجُودُهُ أَزَلِىٌّ وَصِفَاتُهُ أَزَلِيَّةٌ وَلا يُقَالُ لِلَّهِ وَلا لِصِفَاتِهِ دَاخِلٌ فِى الْوُجُودِ لِأَنَّ وُجُودَهُمَا أَزَلِىٌّ فَقَوْلُنَا إِنَّ الْوَاجِبَ الْعَقْلِىَّ لا يَقْبَلُ الدُّخُولَ فِى الْوُجُودِ صَحِيحٌ لَكِنْ يَقْصُرُ عَنْهُ أَفْهَامُ الْمُبْتَدِئِينَ فِى الْعَقِيدَةِ أَمَّا عِنْدَ مَنْ مَارَسَ فَهِىَ وَاضِحَةُ الْمُرَادِ**).

## الْعِلْمُ

(**اعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ قَدِيمٌ أَزَلِىٌّ كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ أَزَلِىٌّ**) فَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ جَوْهَرًا يَحُلُّ بِهِ الْعَرَضُ فَعِلْمُنَا عَرَضٌ يَحُلُّ بِأَجْسَامِنَا وَيَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ بِعِلْمِهِ الأَزَلِىِّ كُلَّ شَىْءٍ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لا يَكُونُ وَلا يَقْبَلُ عِلْمُهُ الزِّيَادَةَ وَلا النُّقْصَانَ فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحِيطٌ عِلْمًا بِالْكَائِنَاتِ الَّتِى تَحْدُثُ إِلَى مَا لا نِهَايَةَ لَهُ حَتَّى مَا يَحْدُثُ فِى الدَّارِ الآخِرَةِ الَّتِى لا انْقِطَاعَ لَهَا يَعْلَمُ ذَلِكَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا. وَأَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِىُّ عَلَى صِفَةِ الْعِلْمِ فَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَوْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا لَكَانَ جَاهِلًا وَالْجَهْلُ نَقْصٌ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقْصِ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ النَّقْلُ فَالنُّصُوصُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾. وَعِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى أَعَمُّ مِنَ الإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ فَالإِرَادَةُ وَالْقُدْرَةُ تَتَعَلَّقَانِ بِالْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ أَمَّا عِلْمُهُ يَتَعَلَّقُ بِالْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمُسْتَحِيلاتِ وَبِالْوَاجِبِ الْعَقْلِىِّ (**فَلَمْ يَزَلِ**) اللَّهُ (**عَالِمًا بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَا يُحْدِثُهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَلا يَتَّصِفُ بِعِلْمٍ حَادِثٍ لِأَنَّهُ لَوْ جَازَ اتِّصَافُهُ بِالْحَوَادِثِ لَانْتَفَى عَنْهُ الْقِدَمُ لِأَنَّ مَا كَانَ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا وَمَا أَوْهَمَ تَجَدُّدَ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الآيَاتِ الْقُرْءَانِيَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ ذَلِكَ**) بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِمْ مِنْ مُقَاوَمَةِ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكُفَّارِ بِإِيجَابِ مُقَاوَمَةِ وَاحِدٍ لِاثْنَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ رَحْمَةً بِهِمْ لِلضَّعْفِ الَّذِى فِيهِمْ (**وَقَوْلُهُ ﴿وَعَلِمَ﴾ لَيْسَ رَاجِعًا لِقَوْلِهِ ﴿الآنَ﴾ بَلِ الْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى خَفَّفَ عَنْكُمُ الآنَ لِأَنَّهُ عَلِمَ بِعِلْمِهِ السَّابِقِ فِى الأَزَلِ أَنَّهُ يَكُونُ فِيكُمْ ضَعْفٌ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ مَعْنَاهُ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**) بِمَا نَشَاءُ مِنَ الْبَلايَا (**حَتَّى نُمَيِّزَ أَىْ نُظْهِرَ لِلْخَلْقِ مَنْ يُجَاهِدُ**) فِى سَبِيلِ اللَّهِ (**وَيَصْبِرُ**) عَلَى الْمَشَقَّاتِ مَعَ إِخْلاصِ النِّيَّةِ (**مِنْ غَيْرِهِمْ**) الَّذِينَ لا يَصْبِرُونَ (**وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا قَبْلُ كَمَا نَقَلَ الْبُخَارِىُّ ذَلِكَ عَنْ أَبِى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ الْمُثَنَّى وَهَذَا شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾**) أَىْ لِيُظْهِرَ لِعِبَادِهِ مَنْ هُوَ الْخَبِيثُ وَمَنْ هُوَ الطَّيِّبُ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا مَنْ هُوَ الْخَبِيثُ وَمَنْ هُوَ الطَّيِّبُ ثُمَّ عَلِمَ.

## الْحَيَاةُ

(**يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةُ فَهُوَ حَىٌّ لا كَالأَحْيَاءِ إِذْ حَيَاتُهُ**) صِفَةٌ (**أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ لَيْسَتْ**) كَحَيَاةِ غَيْرِهِ (**بِرُوحٍ**) وَلَحْمٍ (**وَدَمٍ. وَالدَّلِيلُ**) الْعَقْلِىُّ (**عَلَى وُجُوبِ حَيَاتِهِ وُجُودُ هَذَا الْعَالَمِ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا لَمْ يُوجَدْ شَىءٌ مِنَ الْعَالَمِ لَكِنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ ثَابِتٌ بِالْحِسِّ وَالضَّرُورَةِ بِلا شَكٍّ**) فَيَجِبُ اتِّصَافُهُ بِهَا لِأَنَّ مَنْ لَيْسَ حَيًّا لا يَتَّصِفُ بِالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ وَلَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى غَيْرَ مُتَّصِفٍ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَكَانَ مُتَّصِفًا بِالضِّدِّ وَذَلِكَ نَقْصٌ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقْصِ. وَالْبُرْهَانُ النَّقْلِىُّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ءَايَاتٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ**﴾.

## الْوَحْدَانِيَّةُ

(**مَعْنَى الْوَحْدَانِيَّةِ أَنَّهُ**) أَيِ اللَّه لَيْسَ لَهُ ثَانٍ وَ(**لَيْسَ ذَاتًا**) مُرَكَّبًا (**مُؤَلَّفًا مِنْ أَجْزَاءٍ**) كَالأَجْسَامِ، فَالْعَرْشُ وَمَا دُونَهُ مِنَ الأَجْسَامِ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَجْزَاءٍ فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مُنَاسَبَةٌ وَمُشَابَهَةٌ، فَلا نَظِيرَ لَهُ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ وَلا فِي صِفَاتِهِ وَلا فِي أَفْعَالِهِ (**فَلا يُوجَدُ ذَاتٌ مِثْلُ ذَاتِهِ وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ صِفَةٌ كَصِفَتِهِ أَوْ فِعْلٌ كَفِعْلِهِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَحْدَانِيَّةَ الْعَدَدِ إِذِ الْوَاحِدُ فِي الْعَدَدِ لَهُ نِصْفٌ وَأَجْزَاءٌ أَيْضًا، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ لا شَبِيهَ لَهُ. وَبُرْهَانُ**) أَيْ دَلِيلُ (**وَحْدَانِيَّتِهِ**) الْعَقْلِيُّ (**هُوَ أَنَّهُ لا بُدَّ لِلصَّانِعِ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَيًّا قَادِرًا عَالِمًا مُرِيدًا مُخْتَارًا**) فَلَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا قَادِرًا عَالِمًا مُرِيدًا مُخْتَارًا لَكَانَ مُتَّصِفًا بِنَقِيضِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا لَكَانَ مَيِّتًا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا لَكَانَ عَاجِزًا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا لَكَانَ جَاهِلًا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا مُخْتَارًا لَكَانَ مُضْطَرًّا مَجْبُورًا وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لا يَكُونُ إِلَهًا (**فَإِذَا ثَبَتَ وَصْفُ الصَّانِعِ بِمَا ذَكَرْنَاهُ قُلْنَا لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَيًّا قَادِرًا عَالِمًا مُرِيدًا مُخْتَارًا وَالْمُخْتَارَانِ يَجُوزُ اخْتِلافُهُمَا فِي الِاخْتِيَارِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَيْرُ مُجْبَرٍ عَلَى مُوَافَقَةِ الآخَرِ فِي اخْتِيَارِهِ، وَإِلَّا لَكَانَا مَجْبُورَيْنِ وَالْمَجْبُورُ لا يَكُونُ إِلَهًا، فَإِذَا صَحَّ هَذَا فَلَوْ أَرَادَ أَحَدُهُمَا خِلافَ مُرَادِ الآخَرِ فِي شَىْءٍ كَأَنْ أَرَادَ أَحَدُهُمَا حَيَاةَ شَخْصٍ وَأَرَادَ الآخَرُ مَوْتَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَتِمَّ مُرَادُهُمَا أَوْ لا يَتِمَّ مُرَادُهُمَا أَوْ يَتِمَّ مُرَادُ أَحَدِهِمَا وَلا يَتِمَّ مُرَادُ الآخَرِ وَمُحَالٌ تَمَامُ مُرَادَيْهِمَا لِتَضَادِّهِمَا أَىْ إِنْ أَرَادَ أَحَدُهُمَا حَيَاةَ شَخْصٍ وَأَرَادَ الآخَرُ مَوْتَهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّخْصُ حَيًّا وَمَيِّتًا فِى ءَانٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ مُرَادُهُمَا فَهُمَا عَاجِزَانِ وَالْعَاجِزُ لا يَكُونُ إِلَهًا، وَإِنْ تَمَّ مُرَادُ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَتِمَّ مُرَادُ الآخَرِ فَإِنَّ الَّذِى لَمْ يَتِمَّ مُرَادُهُ عَاجِزٌ وَلا يَكُونُ الْعَاجِزُ إِلَهًا وَلا قَدِيمًا وَهَذِهِ الدِّلالَةُ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْمُوَحِّدِينَ تُسَمَّى بِدِلالَةِ التَّمَانُعِ**) وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِىُّ أَيْضًا عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ هُوَ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا وَكَانَ مُتَعَدِّدًا لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُنْتَظِمًا لَكِنَّ الْعَالَمَ مُنْتَظِمٌ فَوَجَبَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ. وَأَمَّا الدَّلِيلُ النَّقْلِىُّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ قَالَ تَعَالَى ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ وَ(**قَالَ تَعَالَى**) أَيْضًا (**﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾**) وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا**﴾ أَىْ لَوْ كَانَ لَهُمَا، هُنَا فِى بِمَعْنَى اللَّامِ أَىْ لِلأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ﴿**ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ**﴾ أَىْ غَيْرُ اللَّهِ ﴿**لَفَسَدَتَا**﴾ أَىِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أَىْ مَا كَانَتَا تَسْتَمِرَّانِ عَلَى انْتِظَامٍ. وَمِنَ الأَحَادِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**كَانَ إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ** أَىِ اسْتَيْقَظَ **قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**« رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِى الْمُسْتَدْرَكِ وَابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ.

## الْقِيَامُ بِالنَّفْسِ

(**اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى قِيَامِهِ بِنَفْسِهِ هُوَ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ فَلا يَحْتَاجُ**) إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِذِ الِاحْتِيَاجُ لِلْغَيْرِ عَلامَةُ الْحُدُوثِ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى لا يَنْتَفِعُ بِطَاعَةِ الطَّائِعِينَ وَلا يَنْضَرُّ بِعِصْيَانِ الْعُصَاةِ وَكُلُّ شَىْءٍ سِوَى اللَّهِ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ لا يَسْتَغْنِى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَمَّا اللَّهُ فَلا يَحْتَاجُ (**إِلَى مُخَصِّصٍ لَهُ بِالْوُجُودِ لِأَنَّ الِاحْتِيَاجَ إِلَى الْغَيْرِ يُنَافِى قِدَمَهُ وَقَدْ ثَبَتَ وُجُوبُ قِدَمِهِ وَبَقَائِهِ**).

## الْمُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ

(**يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ مُخَالِفًا لِلْحَوَادِثِ بِمَعْنَى أَنَّهُ لا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ**) وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِىُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ لَجَازَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْخَلْقِ مِنَ التَّغَيُّرِ وَالتَّطَوُّرِ وَالْعَجْزِ وَالضَّعْفِ وَالصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَلَوْ جَازَ عَلَيْهِ ذَلِكَ لَاحْتَاجَ إِلَى مَنْ يُغَيِّرُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَالْمُحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ لا يَكُونُ إِلَهًا فَوَجَبَ أَنَّهُ لا يُشْبِهُ شَيْئًا، وَالْبُرْهَانُ النَّقْلِىُّ لِوُجُوبِ مُخَالَفَتِهِ تَعَالَى لِلْحَوَادِثِ ءَايَاتٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ**﴾ وَهُوَ أَوْضَحُ دَلِيلٍ نَقْلِىٍّ فِى ذَلِكَ جَاءَ فِى الْقُرْءَانِ لِأَنَّ هَذِهِ الآيَةَ تُفْهِمُ التَّنْزِيهَ الْكُلِّىَّ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَ فِيهَا لَفْظَ شَىْءٍ فِى سِيَاقِ النَّفْىِ وَالنَّكِرَةُ إِذَا أُورِدَتْ فِى سِيَاقِ النَّفْىِ فَهِىَ لِلشُّمُولِ فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفَى بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ عَنْ نَفْسِهِ مُشَابَهَةَ الأَجْرَامِ وَالأَجْسَامِ وَالأَعْرَاضِ (**فَلَيْسَ هُوَ بِجَوْهَرٍ يَشْغَلُ حَيِّزًا وَلا عَرَضٍ. وَالْجَوْهَرُ مَا لَهُ تَحَيُّزٌ وَقِيَامٌ بِذَاتِهِ كَالأَجْسَامِ وَالْعَرَضُ مَا لا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ كَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَالِاجْتِمَاعِ وَالِافْتِرَاقِ وَالأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالرَّوَائِحِ**) فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ كَالْجِرْمِ الَّذِى يَدْخُلُهُ الْمِقْدَارُ وَالْمِسَاحَةُ وَالْحَدُّ فَهُوَ لَيْسَ بِمَحْدُودٍ ذِى مِقْدَارٍ وَمَسَافَةٍ وَمَنْ قَالَ فِى اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ لَهُ حَدًّا فَقَدْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ لِأَنَّ كُلَّ الأَجْرَامِ لَهَا حَدٌّ إِمَّا حَدٌّ صَغِيرٌ وَإِمَّا حَدٌّ كَبِيرٌ وَذَلِكَ يُنَافِى الأُلُوهِيَّةَ وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ كَانَ ذَا حَدٍّ وَمِقْدَارٍ لَاحْتَاجَ إِلَى مَنْ جَعَلَهُ بِذَلِكَ الْحَدِّ وَالْمِقْدَارِ كَمَا تَحْتَاجُ الأَجْرَامُ إِلَى مَنْ جَعَلَهَا بِحُدُودِهَا وَمَقَادِيرِهَا لِأَنَّ الشَّىْءَ لا يَخْلُقُ نَفْسَهُ عَلَى مِقْدَارِهِ وَلا يَصِحُّ فِى الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ هُوَ جَعَلَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ الْحَدِّ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ لا يَكُونُ إِلَهًا لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ الإِلَهِ الِاسْتِغْنَاءَ عَنْ كُلِّ شَىْءٍ (**وَلِذَلِكَ قَالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ فِى بَعْضِ رَسَائِلِهِ فِى عِلْمِ الْكَلامِ »أَنَّى يُشْبِهُ الْخَالِقُ مَخْلُوقَهُ« مَعْنَاهُ لا يَصِحُّ عَقْلًا وَلا نَقْلًا أَنْ يُشْبِهَ الْخَالِقُ مَخْلُوقَهُ وَ**)يَشْمَلُ نَفْىُ مُشَابَهَةِ اللَّهِ لِخَلْقِهِ تَنْزِيهَهُ تَعَالَى عَنِ الْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ (**قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِىُّ »إِنَّ الَّذِى يَجِبُ عَلَيْنَا وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْلَمَهُ أَنَّ رَبَّنَا لَيْسَ بِذِى صُورَةٍ وَلا هَيْئَةٍ فَإِنَّ الصُّورَةَ تَقْتَضِى الْكَيْفِيَّةَ وَهِىَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ صِفَاتِهِ مَنْفِيَّةٌ« رَوَاهُ عَنْهُ الْبَيْهَقِىُّ فِى الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. وَقَدْ تُطْلَقُ الْكَيْفِيَّةُ بِمَعْنَى الْحَقِيقَةِ كَمَا فِى قَوْلِ بَعْضِهِمْ [الْبَسِيط]**

**كَيْفِيَّةُ الْمَرْءِ لَيْسَ الْمَرْءُ يُدْرِكُهَا فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الْجَبَّارِ فِى الْقِدَمِ**

**وَمُرَادُ هَذَا الْقَائِلِ الْحَقِيقَةُ. وَهَذَا الْبَيْتُ ذَكَرَهُ الزَّرْكَشِىُّ وَابْنُ الْجَوْزِىِّ وَغَيْرُهُمَا**( وَمَعْنَاهُ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا كَانَ لا يُحِيطُ عِلْمًا بِكُلِّ مَا فِيهِ وَكَذَا حَقِيقَتُهُ لا يُحِيطُ بِهَا عِلْمًا فَكَيْفَ يُحِيطُ عِلْمًا بِحَقِيقَةِ الْجَبَّارِ الأَزَلِىِّ الَّذِى لا يُشْبِهُ الْعَالَمَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لا يُحِيطُ عِلْمًا بِاللَّهِ لِأَنَّهُ لا يَعْرِفُ اللَّهَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ (**وَ**)قَدْ (**قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِىُّ »وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِى الْبَشَرِ**) أَىْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْبَشَرِ (**فَقَدْ كَفَرَ«. وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِى حَدِيثِ »خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ« رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ**) وَهَذَا الْحَدِيثُ مَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ الإِجْمَالُ فَيُقَالُ بِاعْتِبَارِ الإِجْمَالِ الصَّحَابَةُ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ لِأَنَّ فِيهِمْ مَنْ لا يَلْحَقُهُ بِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ أَحَدٌ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَى هُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُ بَلْ كَانَ فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ مَنْ كَانَ فِيهَا أَىْ مِنْ بَعْضِ الأَفْرَادِ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءَ وَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى لَيْسَ بِالنَّسَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾. فَكَيْفَ يُسَاوَى بَيْنَ صَحَابِىٍّ قَالَ الرَّسُولُ فِيهِ لَمَّا مَاتَ فِى الْغَزْوِ مَعَهُ وَكَانَ مُوَكَّلًا بِثَقَلِ النَّبِىِّ خَادِمًا لَهُ »**هُوَ فِى النَّارِ**« فَنَظَرُوا فَوَجَدُوا مَعَهُ شَمْلَةً سَرَقَهَا مِنَ الْغَنِيمَةِ وَبَيْنَ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ الرَّسُولَ. فَمَا أَشَدَّ فَسَادَ قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الصَّحَابَةِ خَيْرٌ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ (**وَالْقَرْنُ** **الْمُرَادُ بِهِ مِائَةُ سَنَةٍ كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بنُ عَسَاكِرَ فِى كِتَابِهِ تَبْيِينُ كَذِبِ الْمُفْتَرِى الَّذِى أَلَّفَهُ فِى التَّنْوِيهِ بِأَبِى الْحَسَنِ الأَشْعَرِىِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ**).

## صِفَاتُ اللَّهِ كُلُّهَا كَامِلَةٌ

(**صِفَاتُ اللَّهِ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ لِأَنَّ الذَّاتَ أَزَلِىٌّ فَلا تَحْصُلُ لَهُ صِفَةٌ لَمْ تَكُنْ فِى الأَزَلِ**) وَلا تَقْبَلُ صِفَاتُهُ التَّغَيُّرَ وَالتَّطَوُّرَ لِأَنَّ التَّغَيُّرَ وَالتَّطَوُّرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ عَلامَةُ الْحُدُوثِ (**أَمَّا صِفَاتُ الْخَلْقِ فَهِىَ حَادِثَةٌ تَقْبَلُ التَّطَوُّرَ مِنْ كَمَالٍ إِلَى أَكْمَلَ**) فَالإِنْسَانُ يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ وَالتَّغَيُّرَ مِنَ الْكَمَالِ إِلَى النَّقْصِ وَالْعَكْس أَمَّا اللَّهُ تَعَالَى لا يَزْدَادُ وَلا يَنْقُصُ فَصِفَاتُ اللَّهِ لا تَقْبَلُ التَّطَوُّرَ مِنْ كَمَالٍ إِلَى أَكْمَلَ وَعِلْمُ اللَّهِ لا يَزْدَادُ وَلا يَنْقُصُ بَلْ عِلْمُهُ كَامِلٌ كَمَا سَائِرُ صِفَاتِهِ يَعْلَمُ بِهِ كُلَّ شَىْءٍ (**فَلا يَتَجَدَّدُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى شَىْءٌ**) بَلْ هُوَ عَالِمٌ فِى الأَزَلِ بِكُلِّ شَىْءٍ فَالتَّغَيُّرُ يَحْصُلُ فِى الْمَعْلُومِ الْحَادِثِ لا فِى عِلْمِ اللَّهِ الأَزَلِىِّ (**وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ بِعِلْمِهِ الأَزَلِىِّ وَقُدْرَتِهِ الأَزَلِيَّةِ وَمَشِيئَتِهِ الأَزَلِيَّةِ. فَالْمَاضِى وَالْحَاضِرُ وَالْمُسْتَقْبَلُ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ أَحَاطَ بِهِ بِعِلْمِهِ الأَزَلِىِّ**) أَىْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كَانَ فِى الْمَاضِى وَمَا يَكُونُ فِى الْوَقْتِ الْحَاضِرِ وَمَا سَيَكُونُ فِى الْمُسْتَقْبَلِ حَتَّى الأَشْيَاءَ الَّتِى تَتَجَدَّدُ فِى الآخِرَةِ اللَّهُ عَلِمَ بِهَا فِى الأَزَلِ حَتَّى أَنْفَاسَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ الَّتِى تَتَجَدَّدُ بِلا انْقِطَاعٍ اللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ بِتَفْصِيلِهَا (**وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ سَوْفَ يَعْلَمُ الْمُجَاهِدِينَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِمْ بِالِامْتِحَانِ وَالِاخْتِبَارِ وَهَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَلْ مَعْنَى الآيَةِ حَتَّى نُمَيِّزَ أَىْ حَتَّى نُظْهِرَ لِلْعِبَادِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ. وَيَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْتَسِبُ عِلْمًا جَدِيدًا. وَصِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى كُلُّهَا كَامِلَةٌ قَالَ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾**) وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ الأَسْمَاءُ الَّتِى تَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ فَاللَّهُ لا يُوصَفُ إِلَّا بِصِفَةِ كَمَالٍ فَمَا كَانَ مِنَ الأَسْمَاءِ لا يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمَهُ كَمَا يُسَمِّيهِ بَعْضُ النَّاسِ »ءَاه« فَهَذَا لا يَجُوزُ لِأَنَّ كَلِمَةَ ءَاه وَضَعَهَا الْعَرَبُ لِتَدُلَّ عَلَى الشِّكَايَةِ وَالتَّوَجُّعِ وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِىُّ فِى سُنَنِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ »**إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ وَإِذَا قَالَ ءَاه ءَاه فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ**« أَىْ يَدْخُلُ إِلَى فَمِهِ وَيَسْخَرُ مِنْهُ. وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ ءَاه لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ أَنَّ الْفُقَهَاءَ قَالُوا إِنَّ مَنْ قَالَ ءَاه فِى الصَّلاةِ عَامِدًا بَطَلَتْ صَلاتُهُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ لا يُبْطِلُ الصَّلاةَ فَلَوْ كَانَ ءَاه مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ لَمَا أَبْطَلَ الصَّلاةَ. وَأَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى يُطْلَقُ عَلَيْهَا صِفَاتُ اللَّهِ وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ اللَّهِ إِلَّا لَفْظَ الْجَلالَةِ لا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الصِّفَةُ ثُمَّ إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى قِسْمَانِ قِسْمٌ لا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ وَقِسْمٌ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ اللَّهُ وَالرَّحْمٰنُ وَالْقُدُّوسُ وَالْخَالِقُ وَالرَّزَّاقُ وَمَالِكُ الْمُلْكِ وَذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ وَالْمُحْيِى وَالْمُمِيتُ لا يُسَمَّى بِهِ إِلَّا اللَّهُ أَمَّا أَكْثَرُ الأَسْمَاءِ فَيُسَمَّى بِهِ غَيْرُ اللَّهِ أَيْضًا فَيَجُوزُ أَنْ يُسَمِّىَ الشَّخْصُ ابْنَهُ رَحِيمًا وَالْمَلِكَ كَذَلِكَ وَالسَّلامَ كَذَلِكَ (**وَ**)قَدْ (**قَالَ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾**) أَىْ لِلَّهِ الْوَصْفُ الَّذِى لا يُشْبِهُ وَصْفَ غَيْرِهِ. أَمَّا اتِّفَاقُ اللَّفْظِ فَلا يَعْنِى اتِّفَاقَ الْمَعْنَى فَاللَّهُ تَعَالَى يُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الَّتِى تَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ وَالَّتِى لا تَكُونُ لِغَيْرِهِ (**فَيَسْتَحِيلُ فِى حَقِّهِ تَعَالَى أَىُّ نَقْصٍ**) كَالْجَهْلِ وَالْعَجْزِ (**وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**) فَقَدْ أَسْنَدَ اللَّهُ فِيهِ الْمَكْرَ إِلَى نَفْسِهِ وَمَكْرُ اللَّهِ لَيْسَ كَمَكْرِ الْعِبَادِ (**فَالْمَكْرُ مِنَ الْخَلْقِ خُبْثٌ وَخِدَاعٌ لإِيصَالِ الضَّرَرِ إِلَى الْغَيْرِ**) بِطَرِيقَةٍ خَفِيَّةٍ (**بِاسْتِعْمَالِ حِيلَةٍ وَأَمَّا**) الْمَكْرُ (**مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُجَازَاةُ الْمَاكِرِينَ بِالْعُقُوبَةِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرُونَ**) فَيُوصِلُ الضَّرَرَ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ ذَلِكَ الْعَبْدُ وَلا يَظُنُّ وَلا يَحْسبُ أَنَّ الضَّرَرَ يَأْتِيهِ مِنْ هُنَا (**وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى إِنَّ اللَّهَ أَقْوَى فِى إِيصَالِ الضَّرَرِ إِلَى الْمَاكِرِينَ مِنْ كُلِّ مَاكِرٍ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ فَالْمَكْرُ بِمَعْنَى الِاحْتِيَالِ**) مَذْمُومٌ وَهُوَ (**مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ**) أَمَّا مَكْرُ اللَّهِ فَلا يُذَمُّ لِأَنَّ اللَّهَ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ لا يَكُونُ ظَالِمًا إِنِ انْتَقَمَ مِنْ عِبَادِهِ الظَّالِمِينَ بِمَا شَاءَ (**وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أَىْ يُجَازِيهِمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ**) وَهَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِى الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَمَّا يَجْتَمِعُونَ بِأَمْثَالِهِمْ يَتَكَلَّمُونَ بِبُغْضِ الإِسْلامِ وَكَرَاهِيَتِهِ اللَّهُ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ وَهَذِهِ الْمُجَازَاةُ سَمَّاهَا اسْتِهْزَاءً. وَالْمُنَافِقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الإِسْلامَ فِى قُلُوبِهِمْ وَيَتَظَاهَرُونَ بِالإِسْلامِ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنْ قُلُوبُهُمْ فِيهَا شَكٌّ أَوْ إِنْكَارٌ (**وَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِإِثْبَاتِ مَا وَرَدَ فِى الْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْعَيْنِ وَالرِّضَا وَالْغَضَبِ وَغَيْرِهِ عَلَى أَنَّهَا صِفَاتٌ يَعْلَمُهَا اللَّهُ لا عَلَى أَنَّهَا جَوَارِحُ وَانْفِعَالاتٌ كَأَيْدِينَا وَوُجُوهِنَا وَعُيُونِنَا وَغَضَبِنَا**) فَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ يَدٌ لا كَأَيْدِينَا وَوَجْهٌ لا كَوُجُوهِنَا وَعَيْنٌ لا كَأَعْيُنِنَا وَلا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ اللَّهُ جَالِسٌ لا كَجُلُوسِنَا لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَرِدْ لا فِى الْقُرْءَانِ وَلا فِى الْحَدِيثِ وَلا عَنِ الأَئِمَّةِ وَالْجُلُوسُ لا يُوصَفُ بِهِ إِلَّا الْمَخْلُوقُ قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ »**مَا أَطْلَقَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَطْلَقْنَاهُ عَلَيْهِ وَمَا لا فَلا**«. فَالْوَجْهُ وَالْيَدُ وَالْعَيْنُ إِذَا إِنْسَانٌ أَنْكَرَ وَاحِدَةً مِنْهَا لا نُكَفِّرُهُ إِلَّا إِذَا كَانَ اطَّلَعَ فِى الْقُرْءَانِ عَلَيْهَا وَمَعَ ذَلِكَ أَنْكَرَهَا فَعِنْدَهَا نُكَفِّرُهُ أَىْ إِنْ أَنْكَرَ أَصْلَ الإِضَافَةِ مَعَ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْجَوَارِحِ بَعْدَ أَنِ اطَّلَعَ فِى الْقُرْءَانِ عَلَى ذَلِكَ فَهَذَا يُكَفَّرُ. فَالْعَيْنُ تَأْتِى بِمَعْنَى الْحِفْظِ كَمَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا**﴾، وَالْيَدُ تَأْتِى بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ وَالْقُدْرَةُ هِىَ الْقُوَّةُ كَمَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ وَتَأْتِى بِمَعْنَى الْعَهْدِ كَمَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ أَىْ عَهْدُ اللَّهِ فَوْقَ عُهُودِهِمْ أَىْ ثَبَتَ عَلَيْهِمْ عَهْدُ اللَّهِ لِأَنَّ مُعَاهَدَتَهُمْ لِلرَّسُولِ تَحْتَ شَجَرَةِ الرِّضْوَانِ فِى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ لا يَفِرُّوا مُعَاهَدَةٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِى أَمَرَ نَبِيَّهُ بِهَذِهِ الْمُبَايَعَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْضَبُ وَيَرْضَى لا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْءَانُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾ وَفِى حَقِّ الْكُفَّارِ ﴿**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ**﴾ وَالْغَضَبُ إِذَا وُصِفَ اللَّهُ بِهِ يَكُونُ بِمَعْنَى إِرَادَةِ الِانْتِقَامِ أَمَّا الرِّضَا فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ إِرَادَةِ إِنْعَامِهِ عَلَى عِبَادِهِ أَوْ عَنْ نَفْسِ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الرَّحْمَةِ أَيْضًا. فَالْخَلَفُ وَبَعْضُ السَّلَفِ أَرْجَعُوا الصِّفَتَيْنِ إِلَى الإِرَادَةِ أَمَّا السَّلَفُ فَيَقُولُونَ اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى بِلا كَيْفٍ وَكِلا الْقَوْلَيْنِ صَحِيحٌ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْجَوَارِحِ وَالاِنْفِعَالاتِ (**فَإِنَّ الْجَوَارِحَ**) وَالاِنْفِعَالاتِ (**مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. قَالُوا لَوْ كَانَ لِلَّهِ عَيْنٌ بِمَعْنَى الْجَارِحَةِ وَالْجِسْمِ لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ فَضْلًا عَنْ مِثْلٍ وَاحِدٍ وَلَجَازَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى الْمُحْدَثَاتِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ وَالتَّغَيُّرِ وَالتَّطَوُّرِ وَلَكَانَ ذَلِكَ خُرُوجًا مِنْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ الْعَقْلِىِّ عَلَى اسْتِحَالَةِ التَّغَيُّرِ وَالتَّحَوُّلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ عَلَى اللَّهِ لِأَنَّ الدَّلائِلَ الْعَقْلِيَّةَ عَلَى حُدُوثِ الْعَالَمِ طُرُوءُ صِفَاتٍ لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ وَالتَّحَوُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَلا يَصِحُّ إِهْمَالُ الْعَقْلِ لِأَنَّ الشَّرْعَ لا يَأْتِى إِلَّا بِمُجَوَّزَاتِ الْعَقْلِ أَىْ إِلَّا بِمَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ لِأَنَّهُ شَاهِدُ الشَّرْعِ فَالْعَقْلُ يَقْضِى بِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَانِيَّاتِ أَىِ الأَحْوَالَ الْعَارِضَةَ لِلْجِسْمِ مُحْدَثَةٌ لا مَحَالَةَ وَأَنَّهَا مُحْتَاجَةٌ لِمُحْدِثٍ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْمُتَّصِفُ بِهَا لَهُ مُحْدِثٌ وَلا تَصِحُّ الأُلُوهِيَّةُ لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ**).

## سَبَبُ نُزُولِ الإِخْلاصِ

(**قَالَتِ الْيَهُودُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »صِفْ لَنَا رَبَّكَ«. قَدْ كَانَ سُؤَالُهُمْ تَعَنُّتًا أَىْ عِنَادًا لا حُبًّا لِلْعِلْمِ وَاسْتِرْشَادًا بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ الإِخْلاصِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أَىِ الَّذِى لا يَقْبَلُ التَّعَدُّدَ وَالْكَثْرَةَ وَلَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِى الذَّاتِ أَوِ الصِّفَاتِ أَوِ الأَفْعَالِ**) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ**﴾ أَىْ لا تُشَبِّهُوهُ بِخَلْقِهِ فَاللَّهُ تَعَالَى لا شَبِيهَ لَهُ فِى ذَاتِهِ (**وَلَيْسَ لِأَحَدٍ صِفَةٌ كَصِفَاتِهِ بَلْ قُدْرَتُهُ تَعَالَى قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ**) وَلَيْسَتْ مُتَعَدِّدَةً بِتَعَدُّدِ الأَشْيَاءِ (**يَقْدِرُ بِهَا عَلَى كُلِّ شَىْءٍ**) خَلَقَ بِهَا كُلَّ الْحَادِثَاتِ (**وَعِلْمُهُ وَاحِدٌ**) أَزَلِىٌّ أَبَدِىٌّ (**يَعْلَمُ بِهِ كُلَّ شَىْءٍ**) يَعْلَمُ بِهِ الأَزَلِىَّ كَذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَيَعْلَمُ بِهِ الْحَادِثَاتِ أَمَّا قُدْرَتُهُ فَشَامِلَةٌ لِلْحَادِثِ، وَ(**قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أَىِ الَّذِى تَفْتَقِرُ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ مَعَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْ كُلِّ مَوْجُودٍ وَالَّذِى يُقْصَدُ عِنْدَ الشِّدَّةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا**) وَفِى اللُّغَةِ الصَّمَدُ السَّيِّدُ الْمَقْصُودُ، الشَّخْصُ الَّذِى هُوَ سَيِّدٌ أَىْ عَالِى الْقَدْرِ فِى النَّاسِ مُعْتَبَرٌ فِيهِمْ هَذَا فِى اللُّغَةِ يُسَمَّى صَمَدًا لِذَلِكَ الصَّمَدُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ بِهِ بَلْ يَجُوزُ تَسْمِيَةُ غَيْرِهِ بِهِ (**وَلا يَجْتَلِبُ**) اللَّهُ (**بِخَلْقِهِ نَفْعًا لِنَفْسِهِ**) أَىْ لا يَنْتَفِعُ بِخَلْقِهِ (**وَلا يَدْفَعُ بِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ضَرًّا**) أَىْ لا يَدْفَعُ ضَرَرًا بِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ فَهُمْ لا يَنْفَعُونَهُ وَلا يَضُرُّونَهُ قَالَ تَعَالَى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ وَ(**قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ نَفْىٌ لِلْمَادِّيَّةِ وَالِانْحِلالِ وَهُوَ أَنْ يَنْحَلَّ مِنْهُ شَىْءٌ أَوْ أَنْ يَحُلَّ هُوَ فِى شَىْءٍ**) أَىْ أَنَّهُ لَيْسَ أَبًا وَلا ابْنًا فَقَوْلُهُ ﴿**لَمْ يَلِدْ**﴾ يُعْطِى هَذَا الْمَعْنَى أَىْ أَنَّهُ لا يَنْحَلُّ مِنْهُ شَىْءٌ أَىْ لا يَجُوزُ أَنْ يَنْفَصِلَ مِنْهُ شَىْءٌ كَمَا يَنْفَصِلُ عَنِ الرَّجُلِ وَلَدُهُ، وَقَوْلُهُ ﴿**وَلَمْ يُولَدْ**﴾ يُعْطِى أَنَّهُ لا يَحُلُّ هُوَ فِى شَىْءٍ (**وَمَا وَرَدَ فِى كِتَابِ مَوْلِدِ الْعَرُوسِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ نُورِ وَجْهِهِ فَقَالَ لَهَا كُونِى مُحَمَّدًا فَكَانَتْ مُحَمَّدًا فَهَذِهِ مِنَ الأَبَاطِيلِ الْمَدْسُوسَةِ**) الَّتِى أَدْخَلَهَا بَعْضُ النَّاسِ عَلَى الإِسْلامِ لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تُوهِمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ أَجْزَاءٌ وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَعْضٌ وَجُزْءٌ وَعَنْ أَنْ يَنْحَلَّ مِنْهُ شَىْءٌ (**وَحُكْمُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى التَّكْفِيرُ قَطْعًا وَكَذَلِكَ الَّذِى يَعْتَقِدُ فِى الْمَسِيحِ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ**) رُوحٌ مُنْفَصِلٌ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ. قَالَ تَعَالَى ﴿**وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا**﴾ (**وَلَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ لِابْنِ الْجَوْزِىِّ رَحِمَهُ اللَّهُ**) الَّذِى كَانَ مُحَدِّثًا فَقِيهًا مُفَسِّرًا بَلْ هَذَا الْكِتَابُ مُلْصَقٌ بِهِ (**وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَيْهِ إِلَّا الْمُسْتَشْرِقُ بُروكلْمَان**) وَهُوَ رَجُلٌ أَفْرَنْجِىٌّ كَافِرٌ تَعَلَّمَ لُغَةَ الْعَرَبِ وَصَارَ يَنْظُرُ فِى مُؤَلَّفَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ وَدَلِيلٍ هَذَا لِفُلانٍ وَ(**قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أَىْ لا نَظِيرَ لَهُ**) فَلا يُشْبِهُ شَيْئًا (**بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ**).

## الآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ وَالْمُتَشَابِهَاتُ

(**لِفَهْمِ هَذَا الْمَوْضُوعِ كَمَا يَنْبَغِى يَجِبُ مَعْرِفَةُ أَنَّ الْقُرْءَانَ تُوجَدُ فِيهِ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ**) وَهِىَ الَّتِى دِلالَتُهَا عَلَى الْمُرَادِ وَاضِحَةٌ (**وَءَايَاتٌ مُتَشَابِهَاتٌ**) وَهِىَ الَّتِى دِلالَتُهَا عَلَى الْمُرَادِ غَيْرُ وَاضِحَةٍ (**قَالَ تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾**) وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ أَىِ الزَّيْعِ أَىِ ابْتِغَاءَ الإِيقَاعِ فِى الأَمْرِ الْمَحْظُورِ لِأَنَّ الْمُشَبِّهَةَ غَرَضُهُمْ فِى جِدَالِهِمْ أَنْ يُوقِعُوا السُّنِّىَّ فِى اعْتِقَادِهِمُ الْبَاطِلِ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ هُمْ أَهْلُ الأَهْوَاءِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ الْمُتَشَابِهُ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا مَا لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ كَوَجْبَةِ الْقِيَامَةِ وَالثَّانِى يَعْلَمُهُ أَيْضًا الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ كَمَعْنَى الِاسْتِوَاءِ الْمَذْكُورِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ فَإِنَّ الرَّاسِخِينَ فَسَّرُوهُ بِالْقَهْرِ. وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الآيَاتِ الْقُرْءَانِيَّةَ أَغْلَبُهَا مُحْكَمَةٌ وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمُحْكَمَاتِ أُمَّ الْكِتَابِ أَىْ أُمَّ الْقُرْءَانِ لِأَنَّهَا الأَصْلُ الَّذِى تُرَدُّ إِلَيْهَا الْمُتَشَابِهَاتُ وَ(**الآيَاتُ الْمُحْكَمَةُ هِىَ مَا لا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ بِحَسَبِ وَضْعِ اللُّغَةِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا أَوْ مَا عُرِفَ الْمُرَادُ بِهِ بِوُضُوحٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾**) أَىْ مِثْلًا أَيْ لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ وَلا شَبِيهٌ وَهَذِهِ الآيَاتُ لا يَجُوزُ تَأْوِيلُهَا أَيْ إِخْرَاجُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا لِأَنَّ إِخْرَاجَ النَّصِّ عَنْ ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ نَقْلِىٍّ أَوْ عَقْلِىٍّ عَبَثٌ لا يَجُوزُ فِى كَلامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلا فِى كَلامِ نَبِيِّهِ كَمَا قَالَ الرَّازِىُّ. وَلا يُخَالِفُ تَقْسِيمَ الآيَاتِ إِلَى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ قَوْلُهُ تَعَالَى **﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ**﴾ وَقَوْلُهُ ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِإِحْكَامِهِ إِتْقَانُهُ وَعَدَمُ تَطَرُّقِ النَّقْصِ وَالِاخْتِلافِ إِلَيْهِ وَبِتَشَابُهِهِ كَوْنُهُ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِى الْحَقِّ وَالصِّدْقِ وَالإِعْجَازِ.

## الآيَاتُ الْمُتَشَابِهَةُ

(**وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ مَا لَمْ تَتَّضِحْ دِلالَتُهُ**) أَىِ الَّذِى دِلالَتُهُ عَلَى الْمُرَادِ غَيْرُ وَاضِحَةٍ (**أَوْ**) كَانَ (**يَحْتَمِلُ**) بِحَسَبِ وَضْعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ (**أَوْجُهًا عَدِيدَةً وَاحْتَاجَ**) لِمَعْرِفَةِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهُ (**إِلَى**) نَظَرِ أَهْلِ (**النَّظَرِ**) وَالْفَهْمِ الَّذِينَ لَهُمْ دِرَايَةٌ بِالنُّصُوصِ وَمَعَانِيهَا وَلَهُمْ دِرَايَةٌ بِلُغَةِ الْعَرَبِ (**لِحَمْلِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُطَابِقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾**) وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ جَالِسٌ عَلَى الْعَرْشِ وَلا أَنَّهُ مُسْتَقِرٌّ عَلَيْهِ وَلا أَنَّ اللَّهَ بِإِزَاءِ الْعَرْشِ بَلْ كُلُّ هَذَا لا يَلِيقُ بِاللَّهِ، نَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى اسْتِوَاءً عَلَى الْعَرْشِ يَلِيقُ بِهِ وَلا نَعْتَقِدُ بِشَىْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الْجُلُوسِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَالْمُحَاذَاةِ (**وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**) وَهَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِى يَعْلَمُ مَعْنَاهُ الرَّاسِخُونَ (**أَىْ أَنَّ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ كَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَصْعَدُ إِلَى مَحَلِّ كَرَامَتِهِ**) أَىِ الْمَكَانِ الَّذِى هُوَ مُشَرَّفٌ عِنْدَ اللَّهِ (**وَهُوَ السَّمَاءُ**) لِأَنَّهَا مَسْكَنُ الْمَلائِكَةِ (**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ**) الَّذِى يَشْمَلُ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ كَنَحْوِ الصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ (**يَرْفَعُهُ أَىِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**) كَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ التَّوْحِيدِ (**يَرْفَعُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ**) وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ أَىْ يَتَقَبَّلُهُ (**وَهَذَا**) التَّفْسِيرُ (**مُنْطَبِقٌ وَمُنْسَجِمٌ مَعَ الآيَةِ الْمُحْكَمَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾**) وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ لَهُ حَيِّزٌ يَتَحَيَّزُ فِيهِ وَيَسْكُنُهُ (فَتَفْسِيرُ الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ يَجِبُأَنَّ يُرَدَّ إِلَى الآيَاتِ الْمُحْكَمَةِ) والْ**مَعْنَى أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَسِّرَ الْمُتَشَابِهَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ** وَ(هَذَا فِى الْمُتَشَابِهِ الَّذِى يَجُوزُ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَعْلَمُوهُ) **كَتَفْسِيرِ الِاسْتِوَاءِ بِالْقَهْرِ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِلْمُحْكَمَاتِ كَذَلِكَ تَفْسِيرُ** ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ **بِمَحَلِّ كَرَامَتِهِ وَهِىَ السَّمَاءُ مُوَافِقٌ لِلْمُحْكَمَاتِ** (وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ الَّذِى أُرِيدَ بِقَوْلِهِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ الْوَقْفِ عَلَى لَفْظِ الْجَلالَةِ فَهُوَ مَا كَانَ مِثْلَ وَجْبَةِ الْقِيَامَةِ) **أَىِ الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ الَّذِى تَقَعُ فِيهِ الْقِيَامَةُ** (وَخُرُوحِ الدَّجَّالِ عَلَى التَّحْدِيدِ) فَ**لا يَعْلَمُهُمَا عَلَى التَّحْدِيدِ إِلَّا اللَّهُ** **لا يَعْلَمُهُمَا أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ** **لا الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ وَلا غَيْرُهُمْ بِدَلِيلِ قَوْلِ الرَّسُولِ لِجِبْرِيلَ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ أَىِ الْقِيَامَةِ** »مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ« **وَهُوَ جُزْءٌ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِى أَخْرَجَهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ حِبَّانَ، فَإِذَا كَانَ جِبْرِيلُ وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَعْلَمَانِ ذَلِكَ فَغَيْرُهُمَا أَوْلَى بِأَنْ لا يَعْلَمَ** (**فَلَيْسَ**) هَذَا (**مِنْ قَبِيلِ ءَايَةِ الاِسْتِوَاءِ**) ﴿**الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُهُ بَعْضُ عِبَادِ اللَّهِ لَكِنْ لا يُقْطَعُ بِأَنَّ مُرَادَ اللَّهِ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ الْقَهْرُ إِنَّمَا يُظَنُّ ظَنًّا رَاجِحًا. وَيَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ قِرَاءَةُ الْوَقْفِ عَلَى لَفْظِ الْجَلالَةِ تُحْمَلُ عَلَى الْمُتَشَابِهِ الَّذِى لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَقِرَاءَةُ الْوَصْلِ تُحْمَلُ عَلَى الْقِسْمِ الَّذِى يُطْلِعُ اللَّهُ بَعْضَ عِبَادِهِ عَلَى تَأْوِيلِهِ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ **فَلا تَنَاقُضَ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ** (وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »اعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ) **أَىِ الْقُرْءَانِ** (وَءَامِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ«) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، **أَىْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَوَهَّمُوا أَنَّ مَعَانِيَهَا مِنْ مَعَانِى الأَجْسَامِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْعُلَمَاءِ عَنِ الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ** »أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ« **رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ فِى الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ،** وَحَدِيثُ ابْنِ حِبَّانَ (ضَعِيفٌ ضَعْفًا خَفِيفًا. وَقَدْ بَيَّنَ أَبُو نَصْرٍ الْقُشَيْرِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الشَّنَاعَةَ الَّتِى تَلْزَمُ نُفَاةَ التَّأْوِيلِ وَأَبُو نَصْرٍ الْقُشَيْرِىُّ هُوَ الَّذِى وَصَفَهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ الطَّبْسِىُّ بِإِمَامِ الأَئِمَّةِ كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِى كِتَابِهِ تَبْيِينُ كَذِبِ الْمُفْتَرِى. قَالَ الْمُحَدِّثُ اللُّغَوِىُّ الْفَقِيهُ الْحَنَفِىُّ مُرْتَضَى الزَّبِيدِىُّ فِى شَرْحِهِ الْمُسَمَّى إِتْحَافَ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ نَقْلًا عَنْ كِتَابِ التَّذْكِرَةِ الشَّرْقِيَّةِ لِأَبِى نَصْرٍ الْقُشَيْرِىِّ مَا نَصُّهُ وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾) **أَىْ أَنَّ الْمُتَشَابِهَ الَّذِى لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ** (إِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ وَقْتَ قِيَامِ السَّاعَةِ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ سَأَلُوا النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا وَمَتَى وُقُوعُهَا فَالْمُتَشَابِهُ**) أَىْ هُنَا (**إِشَارَةٌ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ فَلَيْسَ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الأُمُورِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِهَذَا قَالَ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ﴾ أَىْ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا قِيَامَ السَّاعَةِ، وَكَيْفَ يَسُوغُ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ فِى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لا سَبِيلَ لِمَخْلُوقٍ إِلَى مَعْرِفَتِهِ**) أَىْ لا يَلِيقُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ فِى الْقُرْءَانِ يُوجَدُ مَا لا سَبِيلَ لِمَخْلُوقٍ إِلَى مَعْرِفَتِهِ (**وَلا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ أَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْقَدْحِ) أَىِ الْجَرْحِ (**فِى**) أُمُورِ (**النُّبُوَّاتِ وَ**)**فِيهِ مَا يَتَضَمَّنُ (**أَنَّ النَّبِىَّ مَا عَرَفَ تَأْوِيلَ مَا وَرَدَ فِى صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَدَعَا الْخَلْقَ إِلَى عِلْمِ مَا لا يُعْلَمُ**) أَىْ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ لا يَعْرِفُ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِلْمِ مَا لا يُعْلَمُ** ثُمَّ (أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ فَإِذًا عَلَى زَعْمِهِمْ يَجِبُ أَنْ يَقُولُوا كَذَبَ حَيْثُ قَالَ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ وَإِلَّا فَأَيْنَ هَذَا الْبَيَانُ) **مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ جَاءَهُمْ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِالْقُرْءَانِ سَيَقُولُونَ كَيْفَ يَقُولُ أُنْزِلَ عَلَىَّ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ أَىْ ظَاهِرٍ ثُمَّ نَحْنُ لا نَعْرِفُ كَيْفَ صَارَ إِذًا مُبِينًا إِنْ كَانَ لا يُعْلَمُ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ** (وَإِذَا كَانَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ فَكَيْفَ يَدَّعِى أَنَّهُ مِمَّا لا تَعْلَمُهُ الْعَرَبُ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ الشَّىْءُ عَرَبِيًّا فَمَا قَوْلٌ فِى مَقَالٍ مَآلُهُ إِلَى تَكْذِيبِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ) **مَعْنَاهُ هَذَا يُؤَدِّى إِلَى تَكْذِيبِ اللَّهِ فِى كَلامِهِ** (ثُمَّ كَانَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَوْ كَانَ فِى كَلامِهِ وَفِيمَا يُلْقِيهِ إِلَى أُمَّتِهِ شَىْءٌ لا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى لَكَانَ لِلْقَوْمِ أَنْ يَقُولُوا بَيِّنْ لَنَا أَوَّلًا مَنْ تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَمَا الَّذِى تَقُولُ فَإِنَّ الإِيمَانَ بِمَا لا يُعْلَمُ أَصْلُهُ غَيْرُ مُتَأَتٍّ) أَىْ **لا يُمْكِنُ،** **هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَالُوا لَهُ هَذَا لا يُمْكِنُ** (**وَنِسْبَةُ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنَّهُ دَعَا إِلَى رَبٍّ مَوْصُوفٍ بِصِفَاتٍ لا تُعْقَلُ أَمْرٌ عَظِيمٌ لا يَتَخَيَّلُهُ مُسْلِمٌ**) أَىْ **لا** **يُعْقَلُ أَنْ يَدْعُوَ الرَّسُولُ إِلَى الإِيمَانِ بِرَبٍّ لا تُعْقَلُ صِفَاتُهُ** (فَإِنَّ الْجَهْلَ بِالصِّفَاتِ يُؤَدِّى إِلَى الْجَهْلِ بِالْمَوْصُوفِ) أَيْ **لَوْ كَانَ اللَّهُ لا تُعْلَمُ صِفَاتُهُ مَعْنَاهُ أَنَّ الذَّاتَ أَيْضًا غَيْرُ مَعْلُومٍ** (وَالْغَرَضُ أَنْ يَسْتَبِينَ مَنْ مَعَهُ مُسْكَةٌ**) أَىْ شَىْءٌ (**مِنَ الْعَقْلِ أَنَّ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ »اسْتِوَاؤُهُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لا يُعْقَلُ مَعْنَاهَا) **مَعْنَاهُ اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ لَيْسَ شَيْئًا مَعْلُومًا عَلَى هَذَا الرَّأْىِ الْفَاسِدِ** **وَالْقُرْءَانُ مَذْكُورٌ فِيهِ أَنَّهُ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُبِينٍ وَهَذَا لا يَتَّفِقُ مَعَ هَذَا** (**وَ**)إِذَا قَالَ قَائِلٌ (الْيَدُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لا يُعْقَلُ مَعْنَاهَا وَالْقَدَمُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لا يُعْقَلُ مَعْنَاهَا« تَمْوِيهٌ**) أَىْ يَكُونُ هَذَا تَمْوِيهًا (**ضِمْنَهُ تَكْيِيفٌ وَتَشْبِيهٌ وَدُعَاءٌ إِلَى الْجَهْلِ وَقَدْ وَضَحَ الْحَقُّ لِذِى عَيْنَيْنِ وَلَيْتَ شِعْرِى هَذَا الَّذِى يُنْكِرُ التَّأْوِيلَ يَطْرُدُ**) أَىْ يُجْرِى** (هَذَا الإِنْكَارَ فِى كُلِّ شَىْءٍ وَفِى كُلِّ ءَايَةٍ أَمْ يَقْنَعُ بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ فِى صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى) **مَعْنَاهُ هَذَا الَّذِى يُنْكِرُ التَّأْوِيلَ هَلْ يُعَمِّمُ هَذَا الإِنْكَارَ فِى كُلِّ شَىْءٍ وَفِى كُلِّ ءَايَةٍ أَمْ فِى صِفَاتِ اللَّهِ فَقَطْ يَمْنَعُ وَيَنْفِى** (فَإِنِ امْتَنَعَ مِنَ التَّأْوِيلِ أَصْلًا) أَىْ مُطْلَقًا فِى الصِّفَاتِ وَفِى غَيْرِ الصِّفَاتِ (فَقَدْ أَبْطَلَ الشَّرِيعَةَ وَالْعُلُومَ) لِأَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ كَمَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ الرِّيحِ ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾ فَهَلْ تِلْكَ الرِّيحُ دَمَّرَتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ هَلْ دَمَّرَتِ الْجَنَّةَ وَجَهَنَّمَ إِنَّمَا دَمَّرَتِ الأَشْيَاءَ الَّتِى هِىَ عَادَةً يَعِيشُونَ فِيهَا (إِذْ مَا مِنْ ءَايَةٍ**) مِنَ الآيَاتِ الَّتِى اخْتُلِفَ فِيهَا مِنْ حَيْثُ التَّأْوِيلُ وَتَرْكُهُ (**وَخَبَرٍ إِلَّا وَيَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَتَصَرُّفٍ فِى الْكَلامِ) **إِلَّا الْمُحْكَمَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى** ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ **مِمَّا وَرَدَ فِى صِفَاتِ اللَّهِ وَقَوْلِهِ** ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ**﴾ مِمَّا وَرَدَ فِى الأَحْكَامِ (**لِأَنَّ ثَمَّ أَشْيَاءَ لا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهَا**) وَلا يَجُوزُ حَمْلُهَا عَلَى الظَّاهِرِ (**لا خِلافَ بَيْنَ الْعُقَلاءِ فِيهِ إِلَّا الْمُلْحِدَةَ الَّذِينَ قَصْدُهُمُ التَّعْطِيلُ لِلشَّرَائِعِ وَالِاعْتِقَادُ لِهَذَا يُؤَدِّى إِلَى إِبْطَالِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالشَّرْعِ**) أَىِ الَّذِى يَدَّعِى التَّمَسُّكَ بِالشَّرْعِ وَيَنْفِى التَّأْوِيلَ يُنَاقِضُ نَفْسَهُ لِأَنَّ قَوْلَهُ بِنَفْىِ التَّأْوِيلِ يَنْقُضُ قَوْلَهُ بِالتَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ (وَإِنْ قَالَ يَجُوزُ التَّأْوِيلُ عَلَى الْجُمْلَةِ) **أَىِ الْمَوَاضِعِ الَّتِى يُحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلِهَا** (إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ وَبِصِفَاتِهِ فَلا تَأْوِيلَ فِيهِ، فَهَذَا مَصِيرٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّانِعِ) أَىِ الْخَالِقِ (وَصِفَاتِهِ يَجِبُ التَّقَاصِى) أَىِ الْبُعْدُ (**عَنْهُ وَهَذَا لا يَرْضَى بِهِ مُسْلِمٌ. وَسِرُّ الأَمْرِ أَنَّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنِ التَّأْوِيلِ مُعْتَقِدُونَ حَقِيقَةَ التَّشْبِيهِ غَيْرَ أَنَّهُمْ يُدَلِّسُونَ**) **أَىْ يُمَوِّهُونَ عَلَى النَّاسِ** (**وَيَقُولُونَ**) بِاللِّسَانِ (لَهُ يَدٌ لا كَالأَيْدِى وَقَدَمٌ لا كَالأَقْدَامِ) **وَفِى الِاعْتِقَادِ يَعْتَقِدُونَ الْجَارِحَةَ** (**وَ**)**يَقُولُونَ بِاللَّفْظِ اسْتِوَاءُ اللَّهِ** (**اسْتِوَاءٌ بِالذَّاتِ لا كَمَا نَعْقِلُ فِيمَا بَيْنَنَا**) **وَفِى الِاعْتِقَادِ يَعْتَقِدُونَ الْجِسْمَ الَّذِى تَعْرِفُهُ النُّفُوسُ** (**فَلْيَقُلِ الْمُحَقِّقُ**) **يَعْنِى أَهْلَ الْحَقِّ أَهْلَ الْفَهْمِ** (**هَذَا كَلامٌ**) فِيهِ إِشْكَالٌ وَ(لا بُدَّ مِنِ اسْتِبْيَانٍ قَوْلُكُمْ نُجْرِى الأَمْرَ عَلَى الظَّاهِرِ وَلا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ تَنَاقُضٌ، إِنْ أَجْرَيْتَ) أَىْ حَمَلْتَ الآيَةَ (عَلَى الظَّاهِرِ فَظَاهِرُ السِّيَاقِ**) وَكَذَا فِى الأَصْلِ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ السَّاقِ (**فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هُوَ الْعُضْوُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ وَالْعَظْمِ وَالْعَصَبِ وَالْمُخِّ**)** فَقَدْ أَثْبَتَّ لِلَّهِ **هَذَا الْعُضْوَ الَّذِى نَعْرِفُهُ مِنْ أَنْفُسِنَا**، **وَالْمُخُّ هُوَ السَّائِلُ الَّذِى فِى دَاخِلِ الْعَظْمِ**. **وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى** ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ أَىْ يُكْشَفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ وَهَوْلٍ شَدِيدٍ أَىْ عَنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ بَالِغٍ فِى الصُّعُوبَةِ أَمَّا الْمُشَبِّهَةُ يَقُولُونَ ﴿**عَنْ سَاقٍ**﴾ أَىِ اللَّهُ تَعَالَى يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ (فَإِنْ أَخَذْتَ بِهَذَا الظَّاهِرِ وَالْتَزَمْتَ بِالإِقْرَارِ بِهَذِهِ الأَعْضَاءِ فَهُوَ الْكُفْرُ) لِأَنَّ **الَّذِى يَعْتَقِدُ فِى اللَّهِ الْجِسْمَ كَافِرٌ** (وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْكَ الأَخْذُ بِهَا) أَىْ إِنْ كُنْتَ لا تَقُولُ ذَلِكَ (فَأَيْنَ الأَخْذُ بِالظَّاهِرِ. أَلَسْتَ قَدْ تَرَكْتَ الظَّاهِرَ وَعَلِمْتَ تَقَدُّسَ الرَّبِّ تَعَالَى عَمَّا يُوهِمُ الظَّاهِرُ فَكَيْفَ يَكُونُ أَخْذًا بِالظَّاهِرِ وَإِنْ قَالَ الْخَصْمُ هَذِهِ الظَّوَاهِرُ لا مَعْنَى لَهَا أَصْلًا فَهُوَ حُكْمٌ بِأَنَّهَا مُلْغَاةٌ**) أَىْ لَغْوٌ (**وَ**)ذَلِكَ مَعْنَاهُ حُكْمٌ بِأَنَّهُ (**مَا كَانَ فِى إِبْلاغِهَا إِلَيْنَا فَائِدَةٌ وَهِىَ هَدَرٌ) **أَىْ لا قِيمَةَ وَلا اعْتِبَارَ لَهَا** (**وَهَذَا مُحَالٌ**) لِأَنَّ الْقُرْءَانَ لا يَكُونُ لَغْوًا (وَفِى لُغَةِ الْعَرَبِ مَا شِئْتَ مِنَ التَّجَوُّزِ) **أَىِ ارْتِكَابِ الْمَجَازِ** (وَالتَّوَسُّعِ فِى الْخِطَابِ وَكَانُوا يَعْرِفُونَ مَوَارِدَ الْكَلامِ وَيَفْهَمُونَ الْمَقَاصِدَ فَمَنْ تَجَافَى عَنِ التَّأْوِيلِ فَذَلِكَ لِقِلَّةِ فَهْمِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ) **أَىْ مَنْ تَرَكَ التَّأْوِيلَ التَّفْصِيلِىَّ وَالإِجْمَالِىَّ وَتَمَسَّكَ بِالظَّاهِرِ هَلَكَ وَخَرَجَ عَنْ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ أَمَّا الَّذِى لا يَحْمِلُ هَذِهِ الآيَاتِ عَلَى الظَّوَاهِرِ بَلْ يَقُولُ لَهَا مَعَانٍ لا أَعْلَمُهَا تَلِيقُ بِاللَّهِ غَيْرُ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ مَثَلًا اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ لَهُ مَعْنًى غَيْرُ الْجُلُوسِ وَغَيْرُ الِاسْتِقْرَارِ غَيْرُ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ لَكِنْ لا أَعْلَمُهُ** فَهَذَا سَلِمَ وَكَذَلِكَ الَّذِى **يَقُولُ اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ قَهْرُهُ لِلْعَرْشِ** **فَذَاكَ تَأْوِيلٌ إِجْمَالِىٌّ وَهَذَا تَأْوِيلٌ تَفْصِيلِىٌّ** (وَمَنْ أَحَاطَ بِطُرُقٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ) **أَىْ وَسِعَتْ مَعْرِفَتُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ الَّتِى نَزَلَ بِهَا الْقُرْءَانُ فَإِنَّهُ يَفْهَمُ الْمَعْنَى الْمَجَازِىَّ وَالْمَعْنَى الْحَقِيقِىَّ. فَمَنْ عَرَفَ تَمَامَ لُغَةِ الْعَرَبِ يَفْهَمُ أَنَّهُ لا تُحْمَلُ الآيَاتُ الْمُتَشَابِهَةُ عَلَى الظَّاهِرِ** وَ(**هَانَ عَلَيْهِ مَدْرَكُ الْحَقَائِقِ**) **أَىْ هَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مِنْ أَيْنَ تُعْرَفُ الْحَقَائِقُ** (وَقَدْ قِيلَ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾) **عَلَى قِرَاءَةِ تَرْكِ الْوَقْفِ عَلَى لَفْظِ الْجَلالَةِ** (فَكَأَنَّهُ قَالَ وَالرَّاسِخُونَ) أَىِ الْمُتَمَكِّنُونَ (فِى الْعِلْمِ أَيْضًا يَعْلَمُونَهُ) أَىْ يَعْلَمُونَ مَعْنَى الْمُتَشَابِهِ الَّذِى لَيْسَ عِلْمُهُ خَاصًّا بِاللَّهِ (وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ) ﴿**كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ أَىِ الْمُحْكَمَاتُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالْمُتَشَابِهَاتُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. (فَإِنَّ الإِيمَانَ بِالشَّىْءِ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بَعْدَ الْعِلْمِ أَمَّا مَا لا يُعْلَمُ فَالإِيمَانُ بِهِ غَيْرُ مُتَأَتٍّ) أَىْ غَيْرُ مُمْكِنٍ. فَلَوْ قِيلَ الْخَلْقُ لا يَعْلَمُونَ مَا مَعْنَى ﴿**الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْقُرْءَانَ نَزَلَ بِمَا لا يَعْلَمُهُ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ النَّبِىَّ إِلَيْهِمْ فَيَكُونُ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِىَّ بِمَا لا سَبِيلَ إِلَى عِلْمِهِ وَهَذَا لا يَلِيقُ بَلْ يَكْفُرُ قَائِلُ مِثْلِ هَذَا الْكَلامِ لِأَنَّ الْحُجَّةَ تَقُومُ عَلَيْهِمْ إِذَا بَلَّغَهُمُ الرَّسُولُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمُوهُ (وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ »أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِى الْعِلْمِ« انْتَهَى كَلامُ الْحَافِظِ الزَّبِيدِىِّ مِمَّا نَقَلَهُ عَنْ أَبِى نَصْرٍ الْقُشَيْرِىِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. فَهُنَا مَسْلَكَانِ كُلٌّ مِنْهُمَا صَحِيحٌ الأَوَّلُ مَسْلَكُ السَّلَفِ وَهُمْ أَهْلُ الْقُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَى) قَرْنِ الصَّحَابَةِ وَهُوَ قَرْنُ الرَّسُولِ وَقَرْنِ التَّابِعِينَ وَقَرْنِ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ (**أَىْ أَكْثَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ يُؤَوِّلُونَهَا**) أَىِ الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةَ (**تَأْوِيلًا إِجْمَالِيًّا بِالإِيمَانِ بِهَا وَاعْتِقَادِ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ الْجِسْمِ بَلْ أَنَّ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِجَلالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ بِلا تَعْيِينٍ**) أَىْ بِلا تَعْيِينِ مَعْنًى مُعَيَّنٍ لَهَا مَعَ نَفْىِ تَشْبِيهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ كَآيَةِ ﴿**الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ وَ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ وَحَدِيثِ النُّزُولِ بِأَنْ يَقُولُوا بِلا كَيْفٍ أَوْ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ أَىْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بِهَيْئَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ كَالْجُلُوسِ وَالِاسْتِقْرَارِ وَالْجَوَارِحِ وَالطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمْقِ وَالْمِسَاحَةِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَالِانْفِعَالِ مِمَّا هُوَ صِفَةٌ حَادِثَةٌ (**بَلْ رَدُّوا تِلْكَ الآيَاتِ إِلَى الآيَاتِ الْمُحْكَمَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾ وَهُوَ كَمَا قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِىُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »ءَامَنْتُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ« يَعْنِى رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ لا عَلَى مَا قَدْ تَذْهَبُ إِلَيْهِ الأَوْهَامُ وَالظُّنُونُ مِنَ الْمَعَانِى الْحِسِّيَّةِ الْجِسْمِيَّةِ الَّتِى لا تَجُوزُ فِى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى**) وَ**كَلامُ الشَّافِعِىِّ يُؤَيِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَغْلَبُ السَّلَفِ يَعْنِى لا تُحْمَلُ هَذِهِ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِى يُؤَدِّى إِلَى تَجْسِيمِ اللَّهِ بَلْ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِى مَا أَرَادَ** (**ثُمَّ نَفْىُ التَّأْوِيلِ التَّفْصِيلِىِّ عَنِ السَّلَفِ كَمَا زَعَمَ بَعْضٌ مَرْدُودٌ بِمَا فِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ فِى كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْءَانِ وَعِبَارَتُهُ هُنَاكَ »سُورَةُ الْقَصَصِ ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إِلَّا مُلْكَهُ وَيُقَالُ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ« اهـ**) وَالْبُخَارِىُّ مِنَ السَّلَفِ وَقَدْ فَسَّرَ قَوْلَ اللَّهِ ﴿**كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ فَقَالَ »إِلَّا مُلْكَهُ« أَىْ إِلَّا سُلْطَانَهُ (**فَمُلْكُ اللَّهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ الأَزَلِيَّةِ**) الأَبَدِيَّةِ لا يَفْنَى (**لَيْسَ كَالْمُلْكِ الَّذِى يُعْطِيهِ لِلْمَخْلُوقِينَ**) فَمُلْكُ الْمُلُوكِ الْكُفَّارِ كَنُمْرُودَ وَفِرْعَوْنَ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْمُلْكَ الَّذِى هُوَ غَيْرُ أَبَدِىٍّ يَفْنَى وَمُلْكُ أَحْبَابِ اللَّهِ كَسُلَيْمَانَ وَذِى الْقَرْنَيْنِ يَفْنَى أَمَّا مُلْكُ اللَّهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ فَالْعَالَمُ يَهْلِكُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عَلَى الْعَالَمِ سُلْطَانٌ وَسُلْطَانُ اللَّهِ لا يَهْلِكُ. وَمَعْنَى مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ أَىِ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ فَإِنَّهَا تَبْقَى قَالَ تَعَالَى ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ**﴾. وَلْيُعْلَمْ أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ قَالَ بِهِ قَبْلَ الْبُخَارِىِّ سُفْيَانُ الثَّوْرِىُّ فِى تَفْسِيرِهِ (**وَفِيهِ**) أَىْ فِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ (**غَيْرُ هَذَا الْمَوْضِعِ كَتَأْوِيلِ الضَّحِكِ الْوَارِدِ**) فِى حَقِّ اللَّهِ (**فِى الْحَدِيثِ بِالرَّحْمَةِ**) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِى شَرْحِ الْبُخَارِىِّ مَا نَصُّهُ »قَالَ أَىِ الْخَطَّابِىُّ وَقَدْ تَأَوَّلَ الْبُخَارِىُّ الضَّحِكَ فِى مَوْضِعٍ ءَاخَرَ عَلَى مَعْنَى الرَّحْمَةِ وَهُوَ قَرِيبٌ وَتَأْوِيلُهُ عَلَى مَعْنَى الرِّضَا أَقْرَبُ «اهـ (**وَصَحَّ أَيْضًا التَّأْوِيلُ التَّفْصِيلِىُّ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَهُوَ مِنَ السَّلَفِ فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ إِنَّمَا جَاءَتْ قُدْرَتُهُ**) أَىِ الأُمُورُ الْعَظِيمَةُ الَّتِى خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ هَذِهِ الأُمُورُ هِىَ أَثَرُ الْقُدْرَةِ، بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَأْتِى حِينَ يَحْضُرُ الْمَلَكُ أَىِ الْمَلائِكَةُ صُفُوفًا لِعُظْمِ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى يُحِيطُوا بِالإِنْسِ وَالْجِنِّ وَلا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ أَىْ بِإِذْنٍ مِنَ اللَّهِ وَحُجَّةٍ فَمَنَ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفَارِقَ هَذَا الْمَكَانَ. ذَلِكَ الْيَوْمَ تَظْهَرُ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ جَهَنَّمُ الَّتِى مَسَافَتُهَا بَعِيدَةٌ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلائِكَةِ يَجُرُّونَ عُنُقًا مِنْهَا أَىْ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ جَهَنَّمَ حَتَّى يَرَاهُ الْكُفَّارُ فَيَفْزَعُوا وَهُمْ فِى الْمَوْقِفِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى مَكَانِهِ هَذَا شَىْءٌ وَاحِدٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَتَأْوِيلُ الإِمَامِ أَحْمَدَ لِلآيَةِ (**صَحَّحَ سَنَدَهُ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِىُّ الَّذِى قَالَ فِيهِ الْحَافِظُ صَلاحُ الدِّينِ الْعَلائِىُّ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ الْبَيْهَقِىِّ وَالدَّارَقُطْنِىِّ مِثْلُهُمَا وَلا مَنْ يُقَارِبُهُمَا**) أَىْ فِى عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَالْبَيْهَقِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تُوُفِّىَ فِى مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِىِّ تَقْرِيبًا وَكَانَ مَعْرُوفًا بِجَلالَتِهِ فِى عِلْمِ الْحَدِيثِ وَرُسُوخِ قَدَمِهِ فِى مَعْرِفَةِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ كَانَ مُحَدِّثَ عَصْرِهِ (**أَمَّا قَوْلُ الْبَيْهَقِىِّ ذَلِكَ فَفِى كِتَابِ مَنَاقِبِ أَحْمَدَ وَأَمَّا قَوْلُ الْحَافِظِ أَبِى سَعِيدٍ الْعَلائِىِّ فِى الْبَيْهَقِىِّ وَالدَّارَقُطْنِىِّ فَذَلِكَ فِى كِتَابِهِ الْوَشْيُ الْمُعْلَمُ وَأَمَّا الْحَافِظُ أَبُو سَعِيدٍ فَهُوَ الَّذِى يَقُولُ فِيهِ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ »شَيْخُ مَشَايِخِنَا« [وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهِجْرِىِّ]. وَهُنَاكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ذَكَرُوا فِى تَآلِيفِهِمْ أَنَّ أَحْمَدَ أَوَّلَ مِنْهُمُ الْحَافِظُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ الْجَوْزِىِّ الَّذِى**) تُوُفِّىَ فِى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ وَ(**هُوَ أَحَدُ أَسَاطِينِ**) أَىْ أَعْمِدَةِ (**الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِىِّ لِكَثْرَةِ اطِّلاعِهِ عَلَى نُصُوصِ الْمَذْهَبِ وَأَحْوَالِ أَحْمَدَ**). وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى الْمُصَنِّفُ الْكَلامَ عَنْ مَسْلَكِ السَّلَفِ قَالَ (**الثَّانِى مَسْلَكُ الْخَلَفِ وَهُمْ يُؤَوِّلُونَهَا**) أَىِ الآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةَ (**تَفْصِيلًا بِتَعْيِينِ مَعَانٍ لَهَا مِمَّا تَقْتَضِيهِ لُغَةُ الْعَرَبِ وَلا يَحْمِلُونَهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا أَيْضًا كَالسَّلَفِ وَلا بَأْسَ بِسُلُوكِهِ وَلا سِيَّمَا عِنْدَ الْخَوْفِ مِنْ تَزَلْزُلِ الْعَقِيدَةِ حِفْظًا مِنَ التَّشْبِيهِ**) فَالسَّلَفُ وَالْخَلَفُ مُتَّفِقَانِ عَلَى عَدَمِ الْحَمْلِ عَلَى الظَّاهِرِ لَكِنْ أُولَئِكَ لَمْ يُعَيِّنُوا إِنَّمَا قَالُوا بِلا كَيْفٍ وَهَؤُلاءِ عَيَّنُوا مَعْنًى (**مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِى تَوْبِيخِ إِبْلِيسَ ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الْمُرَادُ بِالْيَدَيْنِ الْعِنَايَةُ وَالْحِفْظُ**) وَهَذَا تَأْوِيلٌ تَفْصِيلِىٌّ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْخَلَفِ فَدَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**بِيَدَىَّ**﴾ عَلَى أَنَّ ءَادَمَ خُلِقَ مُشَرَّفًا مُكَرَّمًا بِخِلافِ إِبْلِيسَ وَلا يَجُوزُ أَنْ نَحْمِلَ كَلِمَةَ بِيَدَىَّ عَلَى مَعْنَى الْجَارِحَةِ، لَوْ كَانَتْ لَهُ جَارِحَةٌ لَكَانَ مِثْلَنَا وَلَوْ كَانَ مِثْلَنَا لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْلُقَنَا لِذَلِكَ نَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْخَلَفِ أَىْ خَلَقْتُهُ بِعِنَايَتِى بِحِفْظِى مَعْنَاهُ عَلَى وَجْهِ الإِكْرَامِ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ أَىْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِيَّةِ خَلَقَ ءَادَمَ أَىْ أَرَادَ لَهُ الْمَقَامَ الْعَالِىَ وَالْخَيْرَ الْعَظِيمَ. أَمَّا إِبْلِيسُ مَا خَلَقَهُ بِعِنَايَتِهِ لِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ فِى الأَزَلِ أَنَّهُ خَبِيثٌ هَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ إِبْلِيسَ وَءَادَمَ.

**تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مِنْ رُّوحِنَا﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مِنْ رُّوحِى﴾**

(**لِيُعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ فَلَيْسَ رُوحًا وَلا جَسَدًا**) وَلا يَجُوزُ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ رُوحًا لِأَنَّ الرُّوحَ حَادِثٌ (**وَمَعَ ذَلِكَ أَضَافَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَ عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَفْسِهِ عَلَى مَعْنَى الْمِلْكِ وَالتَّشْرِيفِ لا لِلْجُزْئِيَّةِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مِنْ رُّوحِنَا﴾ وَكَذَلِكَ فِى حَقِّ ءَادَمَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿مِنْ رُّوحِى﴾**) فَإِنْ قِيلَ كُلُّ الأَرْوَاحِ مِلْكٌ لِلَّهِ وَخَلْقٌ لَهُ فَمَا فَائِدَةُ الإِضَافَةِ قِيلَ فَائِدَةُ الإِضَافَةِ الدِّلالَةُ عَلَى شَرَفِهِمَا عِنْدَ اللَّهِ. الشَّىْءُ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ إِمَّا بِمَعْنَى أَنَّهُ خَلْقٌ لَهُ هُوَ خَلَقَهُ وَكَوَّنَهُ وَيُضَافُ إِلَى اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ صِفَتُهُ فَإِذَا قُلْنَا قُدْرَةُ اللَّهِ عِلْمُ اللَّهِ هَذِهِ الإِضَافَةُ إِضَافَةُ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ أَمَّا إِذَا قُلْنَا نَاقَةُ اللَّهِ بَيْتُ اللَّهِ هَذِهِ إِضَافَةُ الْمِلْكِ وَالتَّشْرِيفِ فَالْكَعْبَةُ نُسَمِّيهَا بَيْتَ اللَّهِ وَكُلُّ مَسْجِدٍ كَذَلِكَ (**فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا﴾ أَمَرْنَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَنْفُخَ فِى مَرْيَمَ الرُّوحَ الَّتِى هِىَ مِلْكٌ لَنَا وَمُشَرَّفَةٌ عِنْدَنَا لِأَنَّ الأَرْوَاحَ قِسْمَانِ أَرْوَاحٌ مُشَرَّفَةٌ وَأَرْوَاحٌ خَبِيثَةٌ وَأَرْوَاحُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الْقِسْمِ الأَوَّلِ فَإِضَافَةُ رُوحِ عِيسَى وَرُوحِ ءَادَمَ إِلَى نَفْسِهِ**) لَيْسَ عَلَى مَعْنَى الْجُزْئِيَّةِ بَلْ (**إِضَافَةُ** **مِلْكٍ وَتَشْرِيفٍ**) حَتَّى نَعْرِفَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَى عِيسَى وَءَادَمَ مَنْزِلَةً عِنْدَهُ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رُوحٌ فَالرُّوحُ مَخْلُوقَةٌ تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِى الْكَعْبَةِ ﴿بَيْتِىَ﴾ فَهِىَ إِضَافَةُ مِلْكٍ لِلتَّشْرِيفِ**) لِيُفْهِمَنَا أَنَّ لِلْكَعْبَةِ عِنْدَهُ مَقَامًا عَالِيًا وَأَنَّهَا مُشَرَّفَةٌ عِنْدَهُ (**لا إِضَافَةُ صِفَةٍ أَوْ مُلابَسَةٍ لِاسْتِحَالَةِ الْمُلامَسَةِ أَوِ الْمُمَاسَّةِ بَيْنَ اللَّهِ وَالْكَعْبَةِ**) وَالْمُلابَسَةُ هِىَ عَلاقَةٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ بِمَعْنَى الِاتِّصَالِ وَنَحْوِهِ، إِذَا كَانَ شَىْءٌ مُتَّصِلًا بِشَىْءٍ قَدْ يُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْعَلاقَةِ، إِذَا أُرِيدَ الإِخْبَارُ عَنْ سَكَنِ زَيْدٍ وَإِقَامَتِهِ بِأَرْضٍ فَقِيلَ فُلانٌ بَلَدُهُ الْبَصْرَةُ فَالْمُلابَسَةُ بَيْنَ زَيْدٍ وَالْبَصْرَةِ هِىَ السَّكَنُ وَالإِقَامَةُ فَإِضَافَةُ الْبَيْتِ إِلَى اللَّهِ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ (**وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾ لَيْسَ إِلَّا لِلدِّلالَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْعَرْشِ الَّذِى هُوَ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ لِأَنَّ الْعَرْشَ لَهُ مُلابَسَةٌ لِلَّهِ بِالْجُلُوسِ عَلَيْهِ أَوْ بِمُحَاذَاتِهِ مِنْ غَيْرِ جُلُوسٍ لَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشِهِ بِاتِّصَالٍ وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ مُحَاذٍ لِلْعَرْشِ بِوُجُودِ فَرَاغٍ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَرْشِ إِنْ قُدِّرَ ذَلِكَ الْفَرَاغُ وَاسِعًا أَوْ قَصِيرًا كُلُّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ وَإِنَّمَا مَزِيَّةُ الْعَرْشِ أَنَّهُ كَعْبَةُ الْمَلائِكَةِ الْحَافِّينَ مِنْ حَوْلِهِ كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ شُرِّفَتْ بِطَوَافِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا. وَمِنْ خَوَاصِّ الْعَرْشِ أَنَّهُ لَمْ يُعْصَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ لِأَنَّ مَنْ حَوْلَهُ كُلُّهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَعْصُونَ اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَرْشَ لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ بِالْمُلُوكِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الأَسِرَّةَ الْكِبَارَ لِيَجْلِسُوا عَلَيْهَا وَمَنِ اعْتَقَدَ هَذَا لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ**) كَذَلِكَ إِضَافَةُ صُورَةِ ءَادَمَ إِلَى اللَّهِ لَيْسَتْ مِنْ بَابِ الْجُزْئِيَّةِ فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ رُوحٌ فَاقْتَطَعَ مِنْ ذَاتِهِ الَّذِى هُوَ رُوحٌ قِطْعَةً فَجَعَلَهَا ءَادَمَ فَكَأَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ وَلَدَ ءَادَمَ وَمَنْ قَالَ إِنَّ مَعْنَى خَلَقَ اللَّهُ ءَادَمَ عَلَى صُورَتِهِ أَىْ صُورَةٍ تُشْبِهُ اللَّهَ فَقَدْ كَفَرَ أَيْضًا فَلَمْ يَبْقَ تَفْسِيرٌ صَحِيحٌ لِلْحَدِيثِ إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِضَافَةُ الْمِلْكِ إِلَى مَالِكِهِ بِمَعْنَى التَّشْرِيفِ أَوْ أَنْ يُقَالَ عَلَى مَا هُوَ الْغَالِبُ عِنْدَ السَّلَفِ خَلَقَ اللَّهُ ءَادَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلا كَيْفٍ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ الْمُمَاسَّةَ لِاسْتِحَالَتِهَا فِى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى**) لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّى إِلَى جَعْلِ ذَاتِ اللَّهِ مُقَدَّرًا مَحْدُودًا مُتَنَاهِيًا.

**تَفْسِيرُ الآيَةِ ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾**

(**يَجِبُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرُ هَذِهِ الآيَةِ بِغَيْرِ الِاسْتِقْرَارِ وَالْجُلُوسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ**) كَالْمُحَاذَاةِ (**وَيَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ فَيَجِبُ تَرْكُ الْحَمْلِ عَلَى الظَّاهِرِ بَلْ يُحْمَلُ عَلَى مَحْمِلٍ مُسْتَقِيمٍ فِى الْعُقُولِ فَتُحْمَلُ لَفْظَةُ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْقَهْرِ**) أَوْ يُقَالُ اسْتَوَى اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِهِ أَوْ يُقَالُ ﴿**الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ بِلا كَيْفٍ، وَمَعْنَى قَهْرِ اللَّهِ لِلْعَرْشِ الَّذِى هُوَ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ أَنَّ الْعَرْشَ تَحْتَ تَصَرُّفِ اللَّهِ هُوَ خَلَقَهُ وَهُوَ يَحْفَظُهُ يَحْفَظُ عَلَيْهِ وُجُودَهُ وَلَوْلا حِفْظُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ لَهَوَى إِلَى الأَسْفَلِ فَتَحَطَّمَ فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ أَوْجَدَهُ ثُمَّ هُوَ حَفِظَهُ وَأَبْقَاهُ هَذَا مَعْنَى قَهَرَ الْعَرْشَ. وَيُرْوَى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ إِحْدَى زَوْجَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُرْوَى عَنْ سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ وَيُرْوَى عَنْ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ أَنَّهُمْ فَسَرُّوا اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ بِقَوْلِهِمْ الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَلا يُقَالُ كَيْفَ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ. وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ »الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ« مَعْلُومٌ وُرُودُهُ فِى الْقُرْءَانِ أَىْ بِأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِهِ، وَمَعْنَى »وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ« أَيِ الشَّكْلُ وَالْهَيْئَةُ وَالْجُلُوسُ وَالِاسْتِقْرَارُ هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ أَىْ لا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَلا تَجُوزُ عَلَى اللَّهِ لِأَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الأَجْسَامِ وَسُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الِاسْتِوَاءِ فَقَالَ »**اسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ لا كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ**«. وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ الإِمَامِ مَالِكٍ بِإِسْنَادٍ قَوِىٍّ جَيِّدٍ جَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِى فَتْحِ الْبَارِى أَنَّهُ قَالَ فِى اسْتِوَاءِ اللَّهِ »**اسْتَوَى كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَلا يُقَالُ كَيْفَ وَكَيْفُ عَنْهُ مَرْفُوعٌ**« وَلا يَصِحُّ عَنْ مَالِكٍ وَلا عَنْ غَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفِيَّةُ مَجْهُولَةٌ فَهَذِهِ الْعِبَارَةُ لَمْ تَثْبُتْ مِنْ حَيْثُ الإِسْنَادُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ وَهِىَ مُوهِمَةٌ مَعْنًى فَاسِدًا وَهُوَ أَنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ هُوَ اسْتِوَاءٌ لَهُ هَيْئَةٌ وَشَكْلٌ لَكِنْ نَحْنُ لا نَعْلَمُهُ وَهِىَ كَثِيرَةُ الدَّوَرَانِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُشَبِّهَةِ وَالْوَهَّابِيَّةِ لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالِاسْتِوَاءِ الْجُلُوسُ وَالِاسْتِقْرَارُ أَىْ عِنْدَ أَغْلَبِهِمْ وَعِنْدَ بَعْضِهِمُ الْمُحَاذَاةُ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ غَيْرِ مُمَاسَّةٍ وَلا يَدْرُونَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْكَيْفُ الْمَنْفِىُّ عَنِ اللَّهِ عِنْدَ السَّلَفِ. وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الِاسْتِوَاءَ فِى لُغَةِ الْعَرَبِ لَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ مَعْنًى كَمَا قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بنُ الْعَرَبِىِّ وَمِنْ مَعَانِيهِ الِاسْتِقْرَارُ وَالتَّمَامُ وَالِاعْتِدَالُ وَالِاسْتِعْلاءُ وَالْعُلُوُّ وَالِاسْتِيلاءُ وَغَيْرُ ذَلِكَ (**فَفِى لُغَةِ الْعَرَبِ يُقَالُ اسْتَوَى فُلانٌ عَلَى الْمَمَالِكِ إِذَا احْتَوَى عَلَى مَقَالِيدِ الْمُلْكِ وَاسْتَعْلَى عَلَى الرِّقَابِ**) أَىِ اسْتَوْلَى عَلَى الأَشْخَاصِ أَىْ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ (**كَقَوْلِ الشَّاعِرِ [الرَّجَز]**

**قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ**)

وَالْمَعْنَى سَيْطَرَ عَلَى الْعِرَاقِ وَمَلَكَهَا مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَإِرَاقَةِ دِمَاءٍ (**وَفَائِدَةُ تَخْصِيصِ الْعَرْشِ بِالذِّكْرِ أَنَّهُ أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى حَجْمًا**) وَهُوَ مَحْدُودٌ لا يَعْلَمُ حَدَّهُ إِلَّا اللَّهُ (**فَيُعْلَمُ**) مِنْ قَوْلِنَا قَهَرَ الْعَرْشَ (**شُمُولُ مَا دُونَهُ**) بِالْقَهْرِ (**مِنْ بَابِ الأَوْلَى**) وَبِئْسَ مُعْتَقَدُ ابْنِ تَيْمِيَةَ فَإِنَّهُ قَالَ اللَّهُ مَحْدُودٌ لَكِنْ لا يَعْلَمُ حَدَّهُ إِلَّا هُوَ اهـ فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ بِالْعَرْشِ وَلا يُفِيدُهُ قَوْلُهُ فى اللَّهِ إِنَّ لَهُ حَدًّا لَكِنْ لا يَعْلَمُ حَدَّهُ إِلَّا هُوَ (**قَالَ الإِمَامُ عَلِىٌّ »إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعَرْشَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَلَمْ يَتَّخِذْهُ مَكَانًا لِذَاتِهِ« رَوَاهُ الإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْفَقِيهُ اللُّغُوِىُّ أَبُو مَنْصُورٍ التَّمِيمِىُّ فِى كِتَابِهِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْفِرَقِ**) فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ تَقُولُونَ خَلَقَهُ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَنَحْنُ لا نَرَاهُ نَقُولُ الْمَلائِكَةُ الْحَافُّونَ حَوْلَهُ يَرَوْنَهُ وَالْمَلائِكَةُ لَمَّا يَنْظُرُونَ إِلَى عِظَمِ الْعَرْشِ يَزْدَادُونَ خَوْفًا وَيَزْدَادُونَ عِلْمًا بِكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ لِهَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشَ (**أَوْ يُقَالُ اسْتَوَى اسْتِوَاءً يَعْلَمُهُ هُوَ**) مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَسِّرَهُ بِالْقَهْرِ أَوْ نَحْوِهِ (**مَعَ تَنْزِيهِهِ عَنِ اسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ كَالْجُلُوسِ وَالِاسْتِقْرَارِ**) فَيَكُونُ أَوَّلَ تَأْوِيلًا إِجْمَالِيًّا (**وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يُجِيزُونَ عَلَى اللَّهِ الْقُعُودَ عَلَى الْعَرْشِ وَالِاسْتِقْرَارَ عَلَيْهِ**) وَهُمُ الْوَهَّابِيَّةُ وَقَبْلَهُمْ أُنَاسٌ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ (**مُفَسِّرِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ بِالْجُلُوسِ أَوِ الْمُحَاذَاةِ مِنْ فَوْقٍ وَمُدَّعِينَ أَنَّهُ لا يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إِلَّا فِى مَكَانٍ**) يَقُولُونَ كَيْفَ يَكُونُ مَوْجُودٌ بِلا مَكَانٍ وَالْمَوْجُودُ لا بُدَّ لَهُ مِنَ مَكَانٍ، اللَّهُ مَوْجُودٌ إِذًا لَهُ مَكَانٌ (**وَحُجَّتُهُمْ**) هَذِهِ (**دَاحِضَةٌ**) بَاطِلَةٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْوُجُودِ التَّحَيُّزُ فِى الْمَكَانِ أَلَيْسَ اللَّهُ كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَكُلِّ مَا سِوَاهُ بِشَهَادَةِ حَدِيثِ »**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَىْءٌ غَيْرُهُ**« فَالْمَكَانُ غَيْرُ اللَّهِ وَالْجِهَاتُ وَالْحَجْمُ غَيْرُ اللَّهِ فَإِذًا صَحَّ وُجُودُهُ تَعَالَى شَرْعًا وَعَقْلًا قَبْلَ الْمَكَانِ وَالْجِهَاتِ بِلا مَكَانٍ وَلا جِهَةٍ فَكَيْفَ يَسْتَحِيلُ عَلَى زَعْمِ هَؤُلاءِ وُجُودُهُ تَعَالَى بِلا مَكَانٍ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ وَالْجِهَاتِ. وَمُصِيبَةُ هَؤُلاءِ أَنَّهُمْ قَاسُوا الْخَالِقَ عَلَى الْمَخْلُوقِ قَالُوا كَمَا لا يُعْقَلُ وُجُودُ إِنْسَانٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَجْسَامِ بِلا مَكَانٍ يَسْتَحِيلُ وُجُودُ اللَّهِ بِلا مَكَانٍ فَهَلَكُوا (**وَمُدَّعِينَ أَيْضًا أَنَّ قَوْلَ السَّلَفِ اسْتَوَى بِلا كَيْفٍ مُوَافِقٌ لِذَلِكَ وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ الْكَيْفَ الَّذِى نَفَاهُ السَّلَفُ هُوَ الْجُلُوسُ وَالِاسْتِقْرَارُ وَالتَّحَيُّزُ فِى الْمَكَانِ وَالْمُحَاذَاةُ وَكُلُّ الْهَيْئَاتِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ وَانْتِقَالٍ**) وَالْمُحَاذَاةُ مَعْنَاهُ كَوْنُ الشَّىْءٍ فِى مُقَابِلِ شَىْءٍ فَنَحْنُ حِينَ نَكُونُ تَحْتَ سَطْحٍ فَنَحْنُ فِى مُحَاذَاتِهِ وَحِينَ نَكُونُ فِى الْفَضَاءِ نَكُونُ فِى مُحَاذَاةِ السَّمَاءِ وَالسَّمَاءُ الأُولَى تُحَاذِى السَّمَاءَ الَّتِى فَوْقَهَا وَالْكُرْسِىُّ يُحَاذِى الْعَرْشَ وَالْعَرْشُ يُحَاذِى الْكُرْسِىَّ مِنْ تَحْتٍ وَاللَّهُ تَعَالَى لا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا عَلَى الْعَرْشِ مُحَاذِيًا لَهُ فَلا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَالِسًا عَلَيْهِ وَلا أَنْ يَكُونَ مُضْطَجِعًا عَلَيْهِ وَلا أَنْ يَكُونَ فِى مُحَاذَاتِهِ إِذِ الْمُحَاذِى إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُسَاوِيًا لِلْمُحَاذَى وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْهُ وَكُلُّ هَذَا لا يَصِحُّ إِلَّا لِلشَّىْءِ الَّذِى لَهُ جِرْمٌ وَمِسَاحَةٌ وَالَّذِى لَهُ جِرْمٌ وَمِسَاحَةٌ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ رَكَّبَهُ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ (**وَالَّذِى يَدْحَضُ شُبَهَهُمْ**) وَيَكْسِرُهُمْ (**أَنْ يُقَالَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ أَوِ الْمَكَانَ هَلْ كَانَ مَوْجُودًا أَمْ لا فَمِنْ ضَرُورَةِ الْعَقْلِ أَنْ يَقُولَ بَلَى**) فَيُقَالُ إِذًا وُجُودُهُ بِلا مَكَانٍ صَحِيحٌ لِأَنَّكُمُ اعْتَرَفْتُمْ أَنَّهُ قَبْلَ الْمَكَانِ كَانَ مَوْجُودًا بِلا مَكَانٍ وَنَحْنُ نَقُولُ وَالآنَ هُوَ مَوْجُودٌ بِلا مَكَانٍ (**فَيَلْزَمُهُ لَوْ صَحَّ قَوْلُهُ لا يُعْلَمُ مَوْجُودٌ إِلَّا فِى مَكَانٍ أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَقُولَ الْمَكَانُ وَالْعَرْشُ وَالْعَالَمُ قَدِيمٌ وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ الرَّبُّ تَعَالَى مُحْدَثٌ وَهَذَا مَآلُ**) أَىْ نِهَايَةُ كَلامِ (**الْجَهَلَةِ الْحَشْوِيَّةِ**) وَهُمُ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ الْمَكَانَ فَيُقَالُ لَهُمْ (**لَيْسَ الْقَدِيمُ بِالْمُحْدَثِ وَالْمُحْدَثُ بِالْقَدِيمِ« اهـ**) أَىِ الْقَدِيمُ لا يَكُونُ مُحْدَثًا وَالْمُحْدَثُ لا يَكُونُ قَدِيمًا وَالْمُحْدَثُ هُوَ الْمَخْلُوقُ أَىِ الَّذِى لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا ثُمَّ صَارَ مَوْجُودًا وَهُوَ الْعَالَمُ (**وَقَالَ الْقُشَيْرِىُّ أَيْضًا فِى التَّذْكِرَةِ الشَّرْقِيَّةِ »فَإِنْ قِيلَ أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فَيَجِبُ الأَخْذُ بِظَاهِرِهِ**) فَنَقُولُ إِنَّهُ هُنَاكَ وَنُثْبِتُ أَنَّهُ سَاكِنٌ عَلَى الْعَرْشِ قَاعِدٌ عَلَيْهِ أَوْ مُسْتَقِرٌّ (**قُلْنَا اللَّهُ يَقُولُ أَيْضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾ فَيَنْبَغِى أَيْضًا**) عَلَى زَعْمِكُمْ (**أَنْ نَأْخُذَ بِظَاهِرِ هَذِهِ الآيَاتِ حَتَّى يَكُونَ**) عَلَى كَلامِكُمْ (**عَلَى الْعَرْشِ وَعِنْدَنَا وَمَعَنَا وَمُحِيطًا بِالْعَالَمِ مُحْدِقًا بِهِ بِالذَّاتِ**) كَالدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ بِمَا فِيهَا (**فِى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَ**)الشَّىْءُ (**الْوَاحِدُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ بِذَاتِهِ فِى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ بِكُلِّ مَكَانٍ**) وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَبِى نَصْرٍ الْقُشَيْرِىِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ حُجَّةٌ مُفْحِمَةٌ قَاطِعَةٌ. (**قَالَ الْقُشَيْرِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ**) أَيْضًا إِنْ (**قَالُوا**) يَعْنِى الْمُشَبِّهَةَ (**قَوْلُهُ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يَعْنِى بِالْعِلْمِ**) أَىْ عَالِمٌ بِنَا أَيْنَمَا كُنَّا وَلَيْسَ مَعْنَاهُ عَلَى الظَّاهِرِ أَنَّهُ مَعَ هَذَا وَمَعَ هَذَا (**وَ**)إِنْ قَالُوا (**﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾ إِحَاطَةَ الْعِلْمِ قُلْنَا وَقَوْلُهُ ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قَهَرَ وَحَفِظَ وَأَبْقَى« انْتَهَى يَعْنِى أَنَّهُمْ قَدْ أَوَّلُوا هَذِهِ الآيَاتِ وَلَمْ يَحْمِلُوهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا فَكَيْفَ يَعِيبُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ تَأْوِيلَ ءَايَةِ الِاسْتِوَاءِ بِالْقَهْرِ فَمَا هَذَا التَّحَكُّمُ**) أَىْ مَا هَذِهِ الدَّعْوَى الَّتِى بِلا دَلِيلٍ (**ثُمَّ قَالَ الْقُشَيْرِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ »وَلَوْ أَشْعَرَ مَا قُلْنَا تَوَهُّمَ غَلَبَتِهِ لَأَشْعَرَ قَوْلُهُ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بِذَلِكَ أَيْضًا حَتَّى يُقَالَ كَانَ مَقْهُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْعِبَادِ**) أَىْ إِنْ قَالُوا قَهَرَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُغَالَبًا أَىْ أَنَّهُ كَانَ يَتَشَاجَرُ وَيَتَغَالَبُ مَعَ غَيْرِهِ فَلا يَصِحُّ هَذَا التَّأْوِيلُ نَقُولُ لَهُمْ هُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ ﴿**وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ إِذًا يَلْزَمُ عَلَى قَوْلِكُمْ هُنَا أَنْ يَكُونَ مُغَالَبًا ثُمَّ غَلَبَ (**هَيْهَاتَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلْعِبَادِ وُجُودٌ قَبْلَ خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ بَلْ لَوْ كَانَ الأَمْرُ عَلَى مَا تَوَهَّمَهُ الْجَهَلَةُ مِنْ أَنَّهُ اسْتِوَاءٌ بِالذَّاتِ لَأَشْعَرَ ذَلِكَ بِالتَّغَيُّرِ وَاعْوِجَاجٍ سَابِقٍ عَلَى وَقْتِ الِاسْتِوَاءِ فَإِنَّ الْبَارِئَ تَعَالَى كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ الْعَرْشِ وَمَنْ أَنْصَفَ عَلِمَ أَنَّ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ الْعَرْشُ بِالرَّبِّ اسْتَوَى**) أَىْ تَمَّ وُجُودُهُ وَبَقِىَ بِإِيـجَادِ اللَّهِ لَهُ وَإِبْقَائِهِ (**أَمْثَلُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ الرَّبُّ بِالْعَرْشِ اسْتَوَى**) لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يُشْعِرُ بِالنَّقْصِ وَالنَّقْصُ عَلَى اللَّهِ مُسْتَحِيلٌ (**فَالرَّبُّ إِذًا مَوْصُوفٌ بِالْعُلُوِّ وَفَوْقِيَّةِ الرُّتْبَةِ وَالْعَظَمَةِ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْكَوْنِ فِى الْمَكَانِ وَعَنِ الْمُحَاذَاةِ« اهـ**) أَىِ الْمُقَابَلَةِ (**قَالَ الْقُشَيْرِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ »وَقَدْ نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الرَّعَاعِ**) أَىِ السُّفَهَاءِ (**لَوْلا اسْتِنْزَالُهُمْ لِلْعَوَامِّ بِمَا يَقْرُبُ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَيُتَصَوَّرُ فِى أَوْهَامِهِمْ لَأَجْلَلْتُ هَذَا الْكِتَابَ عَنْ تَلْطِيخِهِ بِذِكْرِهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ نَأْخُذُ بِالظَّاهِرِ وَنُجْرِى الآيَاتِ الْمُوهِمَةَ تَشْبِيهًا وَالأَخْبَارَ الْمُوهِمَةَ حَدًّا وَعُضْوًا عَلَى الظَّاهِرِ وَلا يَجُوزُ أَنْ نُطَرِّقَ التَّأْوِيلَ إِلَى شَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ**) فَأَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ حَرَكَةٌ وَتَرَدُّدٌ فِى الْجِهَاتِ وَأَنَّ لَهُ أَعْضَاءَ لِأَنَّهُمْ يُورِدُونَ هَذِهِ الآيَاتِ وَيَقُولُونَ نَحْنُ نَأْخُذُ بِالظَّاهِرِ (**وَيَتَمَسَّكُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا يَعْلَمُ** **تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وَهَؤُلاءِ** **وَالَّذِى أَرْوَاحُنَا بِيَدِهِ أَضَرُّ عَلَى الإِسْلامِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ لِأَنَّ ضَلالاتِ الْكُفَّارِ ظَاهِرَةٌ يَتَجَنَّبُهَا الْمُسْلِمُونَ وَهَؤُلاءِ أَتَوُا الدِّينَ وَالْعَوَامَّ مِنْ طَرِيقٍ يَغْتَرُّ بِهِ الْمُسْتَضْعَفُونَ فَأَوْحَوْا إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ بِهَذِهِ الْبِدَعِ وَأَحَلُّوا فِى قُلُوبِهِمْ وَصْفَ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِالأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ وَالرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ وَالِاتِّكَاءِ وَالِاسْتِلْقَاءِ وَالِاسْتِوَاءِ بِالذَّاتِ وَالتَّرَدُّدِ**) أَىِ التَّنَقُّلِ (**فِى الْجِهَاتِ قَالَ الْقُشَيْرِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ »فَمَنْ أَصْغَى إِلَى ظَاهِرِهِمْ يُبَادِرُ بِوَهْمِهِ إِلَى تَخَيُّلِ الْمَحْسُوسَاتِ**) وَهِىَ الأَشْيَاءُ الَّتِى نَرَاهَا بِأَعْيُنِنَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ (**فَاعْتَقَدَ الْفَضَائِحَ فَسَالَ بِهِ السَّيْلُ وَهُوَ لا يَدْرِى« اهـ**) فَهَؤُلاءِ الْمُشَبِّهَةُ يُوهِمُونَ النَّاسَ أَنَّ اللَّهَ مِثْلُ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الْبَشَرِ وَالضَّوْءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ (**فَتَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ »إِنَّ التَّأْوِيلَ غَيْرُ جَائِزٍ« خَبْطٌ وَجَهْلٌ وَهُوَ مَحْجُوجٌ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَبَّاسٍ »اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ وَتَأْوِيلَ الْكِتَابِ« رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بِأَلْفَاظٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَوَّلُهُ عِنْدَ الْبُخَارِىِّ**) وَالْحَدِيثُ مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّسُولَ دَعَا لَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ تَأْوِيلَ الْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ، هَذَا الْحَدِيثُ يَكْسِرُهُمْ فَيُقَالُ لَهُمْ كَيْفَ تُنْكِرُونَ التَّأْوِيلَ وَالرَّسُولُ دَعَا لِابْنِ عَبَّاسٍ بِالتَّأْوِيلِ فَلَوْ كَانَ غَيْرَ جَائِزٍ يَكُونُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى زَعْمِكُمْ دَعَا بِدُعَاءٍ غَيْرِ جَائِزٍ (**قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْجَوْزِىِّ**) الْحَنْبَلِىُّ (**فِى كِتَابِهِ الْمَجَالِسُ »وَلا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ دُعَاءَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا« اهـ وَشَدَّدَ النَّكِيرَ وَالتَّشْنِيعَ عَلَى مَنْ يَمْنَعُ التَّأْوِيلَ وَوَسَّعَ الْقَوْلَ فِى ذَلِكَ فَلْيُطَالِعْهُ مَنْ أَرَادَ زِيَادَةَ التَّأَكُّدِ**) وَغَيْرَهُ مِنْ كُتُبِهِ كَكِتَابِهِ دَفْعُ شُبَهِ التَّشْبِيهِ بِأَكُفِّ التَّنْزِيهِ وَكِتَابِهِ أَخْبَارُ الصِّفَاتِ فَإِنَّ فِيهَا تَشْنِيعًا كَبِيرًا عَلَى الْحَنَابِلَةِ الَّذِينَ يُجَسِّمُونَ اللَّهَ وَيَنْسُبُونَ التَّجْسِيمَ لِأَحْمَدَ وَهُوَ بَرِىءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَيَكْفِى فِى تَفْنِيدِ ذَلِكَ مَا قَالَهُ صَاحِبُ الْخِصَالِ مِنَ الْحَنَابِلَةِ قَالَ أَحْمَدُ »**مَنْ قَالَ اللَّهُ جِسْمٌ لا كَالأَجْسَامِ كَفَرَ**« اهـ فَهُمْ كَاذِبُونَ فِى انْتِسَابِهِمْ لِأَحْمَدَ (**وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ فَوْقِيَّةُ الْقَهْرِ دُونَ الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ أَىْ لَيْسَ فَوْقِيَّةَ الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ لَيْسَ مَجِىءَ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ وَالزَّوَالِ وَإِفْرَاغِ مَكَانٍ وَمَلْءِ ءَاخَرَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ وَمَنِ اعْتَقَدَ ذَلِكَ يَكْفُرُ**) وَمَعْنَاهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَلائِكَةِ الْمَجِىءُ الْمَحْسُوسُ الَّذِى هُوَ حَرَكَةٌ وَانْتِقَالٌ فَهَذِهِ الآيَةُ فِيهَا اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ لِمَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ (**فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ وَكُلَّ مَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ فَلا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحَرَكَةِ وَلا بِالسُّكُونِ، وَالْمَعْنِىُّ بِقَوْلِهِ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أَىْ أَثَرٌ مِنْ ءَاثَارِ قُدْرَتِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ إِنَّمَا جَاءَتْ قُدْرَتُهُ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ فِى مَنَاقِبِ أَحْمَدَ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ**).

**تَفْسِيرُ مَعِيَّةِ اللَّهِ الْمَذْكُورَةِ فِى الْقُرْءَانِ**

(**وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ الإِحَاطَةُ بِالْعِلْمِ**) أَىْ مُحِيطٌ بِكُمْ عِلْمًا لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْخَلْقِ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ لِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِأَحْوَالِ الْجَمِيعِ بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِأَحْوَالِ الْكَافِرِينَ (**وَتَأْتِى الْمَعِيَّةُ أَيْضًا بِمَعْنَى النُّصْرَةِ وَالْكِلاءَةِ**) وَهِىَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ الأَتْقِيَاءِ (**كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾**) وَمَعْنَى الآيَةِ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ يَخَافُونَهُ أَىْ يَنْصُرُهُمْ وَيَحْفَظُهُمْ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ يَمْشِى وَيَنْتَقِلُ مَعَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَرَ الأَوْلِيَاءَ وَحَفِظَهُمْ مِنْ أَنْ يُغْرِقَهُمُ الشَّيْطَانُ فِى الْمَعَاصِى. وَمَا أَقْبَحَ قَوْلَ ابْنِ تَيْمِيَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً وَمَعَنَا حَقِيقَةً. هَذَا مَعَ أَنَّهُ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِى الرِّسَالَةِ الْكُبْرَى الْحَمَوِيَّةِ إِنَّ اللَّهَ بِقَدْرِ الْعَرْشِ لا أَصْغَرَ وَلا أَكْبَرَ اهـ وَقَدْ صَدَقَ قَوْلُ الْحَافِظِ أَبِى زُرْعَةَ الْعِرَاقِىِّ فِيهِ عِلْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ عَقْلِهِ اهـ أَىْ مَحْفُوظَاتُهُ أَكْبَرُ مِنْ فَهْمِهِ أَىْ أَنَّهُ فَاسِدُ الْفَهْمِ كَثِيرُ الْحِفْظِ. (**وَلَيْسَ الْمَعْنِىُّ بِهَا**) أَىْ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ (**الْحُلُولَ وَالِاتِّصَالَ وَيَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الِاتِّصَالِ وَالِانْفِصَالِ بِالْمَسَافَةِ فَلا يُقَالُ إِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالْعَالَمِ وَلا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ بِالْمَسَافَةِ لِأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ مِنْ صِفَاتِ الْحَجْمِ وَالْحَجْمُ هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ الأَمْرَيْنِ وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلا لَيْسَ بِحَادِثٍ**) وَقَدْ (**نَفَى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ﴾**) وَحِينَمَا يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ فِى الآخِرَةِ بَعْدَمَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرَوْنَهُ بِلا مَسَافَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لا يَرَوْنَهُ حَجْمًا لَطِيفًا وَلا حَجْمًا كَثِيفًا وَلا بِمَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ أَوْ بَعِيدَةٍ (**وَلا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْكِبَرِ حَجْمًا وَلا بِالصِّغَرِ وَلا بِالطُّولِ وَلا بِالْقِصَرِ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَوَادِثِ وَيَجِبُ طَرْدُ كُلِّ فِكْرَةٍ عَنِ الأَذْهَانِ تُفْضِى إِلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْدِيدِهِ**) فَكُلُّ شَىْءٍ يُوهِمُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ حَجْمٌ وَمِسَاحَةٌ وَكَمِيَّةٌ يَجِبُ إِخْرَاجُهُ مِنَ الْقَلْبِ لِأَنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. فَالْحَجْمُ حَادِثٌ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا فَكُلُّ الْخَوَاطِرِ الَّتِى تُؤَدِّى إِلَى جَعْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذَا مِقْدَارٍ وَشَكْلٍ وَهَيْئَةٍ تُنْبَذُ وَتُطْرَدُ فَالْمُؤْمِنُ يَتْرُكُ هَذِهِ الْخَوَاطِرَ وَيَنْشَغِلُ بِغَيْرِهَا وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ الأَنْصَارِىُّ »**لا فِكْرَةَ فِى الرَّبِّ**« مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يُدْرِكُهُ الْوَهْمُ لِأَنَّ الْوَهْمَ يُدْرِكُ الأَشْيَاءَ الَّتِى أَلِفَهَا أَوْ هِىَ مِنْ جِنْسِ مَا أَلِفَهُ كَالإِنْسَانِ وَالْغَمَامِ وَالْمَطَرِ وَالشَّجَرِ وَالضَّوْءِ وَالظَّلامِ وَالرِّيحِ وَالظِّلِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ الَّذِى هُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ فِى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**﴾ »**إِلَيْهِ يَنْتَهِى فِكْرُ مَنْ تَفَكَّرَ**« رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الأَنْصَارِىُّ فِى شَرْحِ الإِرْشَادِ. وَ(**كَانَ الْيَهُودُ قَدْ نَسَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى التَّعَبَ فَقَالُوا إِنَّهُ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**) فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ (**اسْتَرَاحَ**) يَوْمَ السَّبْتِ (**فَاسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ وَقَوْلُهُمْ هَذَا كُفْرٌ**) لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ جِسْمًا لَهُ أَعْضَاءٌ وَكَذَلِكَ الْمُشَبِّهَةُ جَعَلَتْهُ جِسْمًا لَهُ أَعْضَاءٌ فَقَالَتْ إِنَّهُ جَالِسٌ عَلَى الْعَرْشِ. فَالْمُشَبِّهَةُ إِخْوَةُ الْيَهُودِ وَإِنْ ظَنُّوا بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ (**وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ وَعَنِ الِانْفِعَالِ كَالإِحْسَاسِ بِالتَّعَبِ وَالآلامِ وَاللَّذَّاتِ**) وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْغَضَبِ بِالِانْفِعَالِ وَالرِّضَا بِالِانْفِعَالِ (**فَالَّذِى تَلْحَقُهُ هَذِهِ الأَحْوَالُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا مَخْلُوقًا يَلْحَقُهُ التَّغَيُّرُ وَهَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ﴾**) أَىْ وَمَا أَصَابَنَا مِنْ تَعَبٍ (**إِنَّمَا يَلْغَبُ مَنْ يَعْمَلُ بِالْجَوَارِحِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجَارِحَةِ**) فَهُوَ يَفْعَلُ بِلا جَارِحَةٍ وَلا حَرَكَةٍ وَلا ءَالَةٍ وَلا مُبَاشَرَةٍ بَلْ بِالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ وَالْعِلْمِ فَلا يَلْغَبُ أَىْ لا يَلْحَقُهُ تَعَبٌ (**قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**) فَالْبَارِئُ مَوْصُوفٌ بِالْبَصَرِ أَىْ بِالرُّؤْيَةِ وَبِالسَّمْعِ أَىْ أَنَّهُ يَسْمَعُ الأَصْوَاتَ لا بِسَمْعٍ حَادِثٍ عِنْدَ حُدُوثِ الأَصْوَاتِ وَيَرَى ذَاتَهُ وَالْمَخْلُوقَاتِ بِرُؤْيَةٍ أَزَلِيَّةٍ لَيْسَتْ بِرُؤْيَةٍ تَحْدُثُ لَهُ عِنْدَ حُدُوثِ الْمَرْئِيَّاتِ وَذَلِكَ لِأَنَّ ذَلِكَ شَأْنُ الْعِبَادِ يَسْمَعُونَ الأَصْوَاتَ بِسَمْعٍ يَحْدُثُ لَهُمْ عِنْدَ حُدُوثِهَا وَيَرَوْنَ الْمُبْصَرَاتِ بِرُؤْيَةٍ تَحْدُثُ لَهُمْ عِنْدَ رُؤْيَتِهَا (**فَاللَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ بِلا كَيْفِيَّةٍ فَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ هُمَا صِفَتَانِ أَزَلِيَّتَانِ بِلا جَارِحَةٍ أَىْ بِلا أُذُنٍ أَوْ حَدَقَةٍ وَبِلا شَرْطِ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ أَوْ جِهَةٍ وَبِدُونِ انْبِعَاثِ شُعَاعٍ مِنَ الْبَصَرِ أَوْ تَمَوُّجِ هَوَاءٍ. وَمَنْ قَالَ لِلَّهِ أُذُنٌ فَقَدْ كَفَرَ وَلَوْ قَالَ لَهُ أُذُنٌ لَيْسَتْ كَآذَانِنَا بِخِلافِ مَنْ قَالَ لَهُ عَيْنٌ لَيْسَتْ كَعُيُونِنَا وَيَدٌ لَيْسَتْ كَأَيْدِينَا**) وَوَجْهٌ لَيْسَ كَوُجُوهِنَا (**بَلْ بِمَعْنَى الصِّفَةِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ لِوُرُودِ إِطْلاقِ الْعَيْنِ وَالْيَدِ**) وَالْوَجْهِ عَلَى اللَّهِ (**فِى الْقُرْءَانِ**) لَكِنْ مَعَ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْجَارِحَةِ (**وَلَمْ يَرِدْ إِطْلاقُ الأُذُنِ عَلَيْهِ**) قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِىُّ »مَا أَطْلَقَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ أَطْلَقْنَاهُ عَلَيْهِ وَمَا لا فَلا«.

**تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**

(**قَالَ تَعَالَى ﴿وَللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾**) أَىْ الْمَشْرِقُ مِلْكٌ لِلَّهِ وَالْمَغْرِبُ مِلْكٌ لِلَّهِ (**﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ الْمَعْنَى فَأَيْنَمَا تُوَجِّهُوا وُجُوهَكُمْ**) أَىْ أَيْنَمَا تَسْتَقْبِلُوا (**فِى صَلاةِ النَّفْلِ**) وَأَنْتُمْ رَاكِبُونَ الدَّابَّةَ (**فِى السَّفَرِ فَثَمَّ قِبْلَةُ اللَّهِ أَىْ فَتِلْكَ الْوِجْهَةُ الَّتِى تَوَجَّهْتُمْ إِلَيْهَا هِىَ قِبْلَةٌ لَكُمْ**) فَالْمُسَافِرُ إِذَا كَانَ رَاكِبًا الدَّابَّةَ يَجُوزُ أَنْ يُصَلِّىَ النَّفْلَ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِى يُرِيدُهَا. فَفِى هَذِهِ الآيَةِ أَطْلَقَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ لَفْظَ الْوَجْهِ فَنَحْنُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَرُدَّ ذَلِكَ (**وَ**)لَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّهُ (**لا يُرَادُ بِالْوَجْهِ**) إِذَا أُطْلِقَ عَلَى اللَّهِ (**الْجَارِحَةُ**) الَّتِى نَعْرِفُهَا (**وَحُكْمُ مَنْ يَعْتَقِدُ الْجَارِحَةَ لِلَّهِ التَّكْفِيرُ**) وَتَكْفِيرُ الْمُجَسِّمِ هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ قَالَهُ الشَّافِعِىُّ وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا فَلا الْتِفَاتَ إِلَى مَا فِى كِتَابِ عِزِّ الدِّينِ ابْنِ عَبْدِ السَّلامِ قَوَاعِدِ الأَحْكَامِ. وَيَكْفِى فِى تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْجَارِحَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ**﴾ (**لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ لَهُ جَارِحَةٌ لَكَانَ مِثْلًا لَنَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَيْنَا مِنَ الْفَنَاءِ. وَقَدْ يُرَادُ بِالْوَجْهِ الْجِهَةُ الَّتِى يُرَادُ بِهَا التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَأَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ »فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا لِوَجْهِ اللَّهِ« وَمَعْنَى ذَلِكَ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا**) لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ وَمُوَافَقَةً وَ(**امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى**) أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ**﴾. وَهَذَا الْمَعْنَى لا يَصِحُّ سِوَاهُ فِى نَحْوِ حَدِيثِ »**أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ إِذَا كَانَتْ فِى قَعْرِ بَيْتِهَا** «فَلَيْسَ لِلْوَجْهِ فِى هَذَا الْحَدِيثِ مَعْنًى إِلَّا طَاعَةُ اللَّهِ فَمَاذَا يَفْعَلُ الْمُجَسِّمُ إِذَا جَاءَ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ أَيُفَسِّرُهُ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِ أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا بِمَعْنَى الْجُزْءِ وَالْحَجْمِ الْمُرَكَّبِ عَلَى الْبَدَنِ وَلا يَجْرُؤُ عَلَى ذَلِكَ هُنَا فَلِمَاذَا يَعْتَقِدُ فِى نَحْوِ ءَايَةِ ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ وَءَايَةِ ﴿**كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ الْحَجْمَ الْمَعْرُوفَ الْمُرَكَّبَ عَلَى الْبَدَنِ. فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ هُوَ الْحَجْمُ فَقَدْ أَلْحَدَ وَكَفَرَ لِأَنَّ الْحَجْمَ مَخْلُوقٌ إِنْ كَانَ كَثِيفًا وَإِنْ كَانَ لَطِيفًا لا بُدَّ لَهُ مِنْ مِقْدَارٍ قَالَ تَعَالَى ﴿**وَكُلُّ شَىْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ أَىْ لَهُ كَمِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ (**وَيَحْرُمُ أَنْ يُقَالَ كَمَا شَاعَ بَيْنَ الْجُهَّالِ »افْتَحِ النَّافِذَةَ لِنَرَى وَجْهَ اللَّهِ« لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى ﴿لَنْ تَرَانِى﴾ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَصْدُ النَّاطِقِينَ بِهِ رُؤْيَةَ اللَّهِ فَهُوَ حَرَامٌ**) لِأَنَّ هَذَا الْكَلامَ يُوهِمُ أَنَّ لِلَّهِ جِهَةً وَأَنَّهُ يُرَى بِالْعَيْنِ فِى الدُّنْيَا وَأَنَّهُ هَذِهِ السَّمَاءُ الدُّنْيَا أَوْ هَذَا الْفَرَاغُ.

**تَفْسِيرُ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**

(**فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَادِى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لِنُورِ الإِيمَانِ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ**) فِى الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا**) يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِى ءَاخِرِ الآيَةِ ﴿**يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ يُفَسِّرُ أَوَّلَ الآيَةِ وَيُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَنَى بِقَوْلِهِ ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أَنَّهُ أَعْطَى الإِيمَانَ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ وَهُمُ الْمَلائِكَةُ وَلِمَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ. الإِيمَانُ هُوَ نُورُ اللَّهِ هَذَا مَعْنَى ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾، وَبَعْضُهُمْ قَالَ ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أَىْ مُنِيرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ (**فَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ نُورًا بِمَعْنَى الضَّوْءِ بَلْ هُوَ الَّذِى خَلَقَ النُّورَ قَالَ تَعَالَى ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أَىْ خَلَقَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ فَكَيْف يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ نُورًا كَخَلْقِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا وَحُكْمُ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نُورٌ أَىْ ضَوْءٌ التَّكْفِيرُ قَطْعًا. وَهَذِهِ الآيَةُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أَصْرَحُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ حَجْمًا كَثِيفًا كَالسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَيْسَ حَجْمًا لَطِيفًا كَالظُّلَمَاتِ وَالنُّورِ فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ** **حَجْمٌ كَثِيفٌ أَوْ لَطِيفٌ فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ وَالآيَةُ شَاهِدَةٌ عَلَى ذَلِكَ. أَكْثَرُ الْمُشَبِّهَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَجْمٌ كَثِيفٌ وَبَعْضُهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَجْمٌ لَطِيفٌ حَيْثُ قَالُوا إِنَّهُ نُورٌ يَتَلأْلَأُ فَهَذِهِ الآيَةُ وَحْدَهَا تَكْفِى لِلرَّدِّ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ. وَهُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الْعَقَائِدِ الْكُفْرِيَّةِ كَاعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذُو لَوْنٍ أَوْ ذُو شَكْلٍ فَلْيَحْذَرِ الإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ جَهْدَهُ عَلَى أَىِّ حَالٍ**).

**مَعْنَى الْقَدَرِ وَالإِيمَانِ بِهِ**

(**قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْقَدَرُ هُوَ تَدْبِيرُ الأَشْيَاءِ**) أَىْ إِيجَادُ اللَّهِ الأَشْيَاءَ (**عَلَى وَجْهٍ مُطَابِقٍ لِعِلْمِ اللَّهِ الأَزَلِىِّ**) أَىْ عَلَى حَسَبِ مَا سَبَقَ فِى عِلْمِهِ الأَزَلِىِّ (**وَ**)وَإِبْرَازُهَا فِى الْوُجُودِ عَلَى حَسَبِ (**مَشِيئَتِهِ الأَزَلِيَّةِ فَيُوجِدُهَا فِى الْوَقْتِ الَّذِى عَلِمَ أَنَّهَا تَكُونُ فِيهِ**) وَيُقَالُ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى الْقَدَرُ هُوَ جَعْلُ كُلِّ شَىْءٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَلْيُعْلَمْ أَنَّ الْقَدَرَ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ صِفَةُ اللَّهِ أَىِ التَّدْبِيرُ وَيُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الْمَقْدُورُ أَىِ الْمَخْلُوقُ وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِحَدِيثِ جِبْرِيلَ »**وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**« لِأَنَّ الْمَقْدُورَ هُوَ الَّذِى يُوصَفُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ (**فَيَدْخُلُ فِى ذَلِكَ عَمَلُ الْعَبْدِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاخْتِيَارِهِ**) فَالإِنْسَانُ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً يُسَمَّى عَمَلُهُ خَيْرًا وَإِنْ عَمِلَ الإِنْسَانُ مَعْصِيَةً يُسَمَّى عَمَلُهُ شَرًّا وَكِلاهُمَا بِخَلْقِهِ تَعَالَى أَمَّا اللَّهُ تَعَالَى فَتَقْدِيرُهُ لا يُسَمَّى شَرًّا تَقْدِيرُهُ حَسَنٌ لَيْسَ فِيهِ شَرٌّ أَمَّا فِعْلُ الْعَبْدِ لِلْقَبِيحِ فَقَبِيحٌ مِنَ الْعَبْدِ وَأَمَّا تَقْدِيرُ اللَّهِ لِلْقَبِيحِ لَيْسَ قَبِيحًا مِنَ اللَّهِ وَكَذَلِكَ خَلْقُهُ لِلْقَبِيحِ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ قَبِيحًا كَمَا أَنَّ إِرَادَتَهُ لِوُجُودِ الشَّرِّ لَيْسَتْ قَبِيحَةً مِنْهُ (**وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ لِجِبْرِيلَ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الإِيمَانِ »الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ «رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِى قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَفِيهَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وُجِدَتْ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ الأَزَلِىِّ**) أَىْ بِإِيجَادِهِ إِيَّاهَا (**وَأَمَّا تَقْدِيرُ اللَّهِ الَّذِى هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ فَهُوَ لا يُوصَفُ بِالشَّرِّ بَلْ تَقْدِيرُ اللَّهِ لِلشَّرِّ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ وَتَقْدِيرُهُ لِلإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ حَسَنٌ مِنْهُ لَيْسَ قَبِيحًا فَإِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى**) أَىْ مَشِيئَتُهُ (**نَافِذَةٌ فِى جَمِيعِ مُرَادَاتِهِ عَلَى حَسَبِ عِلْمِهِ بِهَا**) لا تَتَخَلَّفُ لَيْسَتْ كَمَشِيئَةِ الْعِبَادِ، مَشِيئَةُ الْعِبَادِ تَتَنَفَّذُ فِى بَعْضِ الْحَالاتِ وَلا تَتَنَفَّذُ فِى بَعْضِ الْحَالاتِ وَهَذَا مَعْنَى مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ »**مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**« (**فَمَا عَلِمَ**) اللَّهُ فِى الأَزَلِ (**كَوْنَهُ**) فَقَدْ (**أَرَادَ كَوْنَهُ فِى الْوَقْتِ الَّذِى يَكُونُ فِيهِ**) فَأَعْمَالُنَا الَّتِى سَبَقَ فِى عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهَا تَكُونُ شَاءَ أَنْ تَكُونَ فَلا بُدَّ أَنْ تَكُونَ (**وَمَا عَلِمَ أَنَّهُ لا يَكُونُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ فَلا يَحْدُثُ فِى الْعَالَمِ شَىْءٌ إِلَّا** **بِمَشِيئَتِهِ**) وَمَشِيئَةُ اللَّهِ شَامِلَةٌ لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ الْخَيْرِ مِنْهَا وَالشَّرِّ فَكُلُّ مَا دَخَلَ فِى الْوُجُودِ مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ مِنْ كُفْرٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ فَبِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقَعَ وَحَصَلَ وَهَذَا كَمَالٌ فِى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ شُمُولَ الْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ لائِقٌ بِجَلالِ اللَّهِ فَلَوْ كَانَ يَقَعُ فِى مِلْكِهِ مَا لا يَشَاءُ لَكَانَ ذَلِكَ مُنَافِيًا لِلأُلُوهِيَّةِ (**وَلا يُصِيبُ الْعَبْدَ شَىْءٌ مِنَ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ أَوِ الصِّحَّةِ أَوِ الْمَرَضِ أَوِ الْفَقْرِ أَوِ الْغِنَى أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلا يُخْطِئُ الْعَبْدَ شَىْءٌ قَدَّرَ اللَّهُ وَشَاءَ أَنْ يُصِيبَهُ فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَ بَعْضَ بَنَاتِهِ »مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ« رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِى السُّنَنِ ثُمَّ تَوَاتَرَ وَاسْتَفَاضَ بَيْنَ أَفْرَادِ الأُمَّةِ**) وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ (**وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**) فِى كِتَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ (**عَنْ سَيِّدِنَا عَلِىٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ »إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَخْلُصَ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ**) أَىْ أَنَّهُ لا يَتِمُّ الإِيمَانُ فِى قَلْبِ أَحَدِكُمْ (**حَتَّى يَسْتَيْقِنَ يَقِينًا غَيْرَ شَكٍّ**) أَىْ حَتَّى يَعْتَقِدَ اعْتِقَادًا جَازِمًا لا يُخَالِجُهُ شَكٌّ (**أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ**) إِنْ كَانَ مِنَ الرِّزْقِ أَوِ الْمَصَائِبِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ (**وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ وَيُقِرَّ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ« أَىْ لا يَجُوزُ أَنْ يُؤْمِنَ بِبَعْضِ الْقَدَرِ وَيَكْفُرَ بِبَعْضٍ**) بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِى فِى الْكَوْنِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ضَلالَةٍ أَوْ هُدًى عُسْرٍ أَوْ يُسْرٍ حُلْوٍ أَوْ مُرٍّ كُلُّ ذَلِكَ بِخَلْقِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ حَدَثَ وَكَانَ وَلَوْلا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَاءَهُ وَكَوَّنَهُ وَخَلَقَهُ مَا حَصَلَ (**وَرَوَى أَيْضًا**) فِى كِتَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ (**بِالإِسْنَادِ الصَّحِيحِ أَنَّ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ كَانَ بِالْجَابِيَةِ** وَهِىَ أَرْضٌ مِنَ الشَّامِ **فَقَامَ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ »مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ**) وَمَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِى شَاءَ اللَّهُ لَهُ فِى الأَزَلِ أَنْ يَكُونَ مُهْتَدِيًا لا أَحَدَ يَجْعَلُهُ ضَالًّا (**وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِىَ لَهُ«**) أَىْ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا فَلا هَادِىَ لَهُ أَىْ لا أَحَدَ يَهْدِيهِ وَلا أَحَدَ يَجْعَلُهُ مُهْتَدِيًا (**وَكَانَ عِنْدَهُ كَافِرٌ مِنْ كُفَّارِ الْعَجَمِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالَ بِلُغَتِهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِلُّ أَحَدًا فَقَالَ عُمَرُ لِلتَّرْجُمَانِ مَاذَا يَقُولُ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِلُّ أَحَدًا فَقَالَ عُمَرُ »كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَلَوْلا أَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ هُوَ أَضَلَّكَ وَهُوَ يُدْخِلُكَ النَّارَ إِنْ شَاءَ«**) أَىْ إِنْ شَاءَ أَنْ تَمُوتَ عَلَى كُفْرِكَ هَذَا لا بُدَّ مِنْ دُخُولِكَ النَّارَ. مَعْنَى كَلامِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذَا الِاعْتِقَادَ كُفْرٌ وَضَلالٌ وَهُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِلُّ أَحَدًا أَىْ أَنَّ الإِنْسَانَ يَضِلُّ بِمَشِيئَتِهِ لا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ هُوَ يَخْلُقُ هَذِهِ الضَّلالَةَ لَيْسَ اللَّهُ خَالِقَهَا (**وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ**) فِى حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ (**عَنِ ابْنِ أَخِى الزُّهْرِىِّ عَنْ عَمِّهِ الزُّهْرِىِّ أَنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُحِبُّ قَصِيدَةَ لَبِيدِ بنِ رَبِيعَةَ**) وَيُعْجَبُ بِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ (**الَّتِى مِنْهَا هَذِهِ الأَبْيَاتُ وَهِىَ [الرَّمَل]**)

(**إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِى وَعَجَلْ**

**أَحْمَدُ اللَّهَ فَلا نِدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ**

**مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ**)

(**وَمَعْنَى قَوْلِهِ »إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ« أَىْ خَيْرُ مَا يُعْطَاهُ الإِنْسَانُ**) وَالتَّقْوَى كَلِمَةٌ خَفِيفَةٌ عَلَى اللِّسَانِ لَكِنَّهَا ثَقِيلَةٌ فِى الْعَمَلِ لِأَنَّهَا أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ وَاجْتِنَابُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَهَذَا أَمْرٌ ثَقِيلٌ (**وَمَعْنَى قَوْلِهِ »وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِى وَعَجَلْ« أَىْ أَنَّهُ لا يُبْطِئُ مُبْطِئٌ وَلا يُسْرِعُ مُسْرِعٌ**) أَىْ نَشِيطٌ فِى الْعَمَلِ (**إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَبِإِذْنِهِ**) أَىْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِى يَخْلُقُ فِى الْعَبْدِ الْقُوَّةَ وَالنَّشَاطَ لِلْخَيْرِ وَهُوَ الَّذِى يَخْلُقُ فِيهِ الْكَسَلَ وَالتَّوَانِىَ عَنِ الْخَيْرِ أَىْ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ اللَّذَيْنِ يَحْصُلانِ مِنَ الْخَلْقِ كُلٌّ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ (**وَقَوْلِهِ »أَحْمَدُ اللَّهَ فَلا نِدَّ لَهُ« أَىْ لا مِثْلَ لَهُ. وَقَوْلِهِ »بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ« أَىْ وَالشَّرُّ**) فَاللَّهَ تَعَالَى مَالِكُ الْخَيْرِ وَمَالِكُ الشَّرِّ لا خَالِقَ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ الْعِبَادُ يَخْلُقُونَهُ (**وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ**) لَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ (**عَلَى ذِكْرِ الْخَيْرِ**) دُونَ الشَّرِّ (**مِنْ بَابِ الِاكْتِفَاءِ**) أَىِ اكْتِفَاءً بِذِكْرِ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ الشَّرِّ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَهَذَا عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ يُسَمَّى الِاكْتِفَاءَ أَىْ تَرْكَ ذِكْرِ الشَّىْءِ لِلْعِلْمِ بِهِ بِذِكْرِ مَا يُقَابِلُهُ (**كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أَىْ وَالْبَرْدَ لِأَنَّ السَّرَابِيلَ تَقِى مِنَ الأَمْرَيْنِ لَيْسَ مِنَ الْحَرِّ فَقَطْ**) وَهَذَا فِى لُغَةِ الْعَرَبِ يُقَالُ لَهُ أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ الْبَلاغَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عِنْدَ الْفُصَحَاءِ الْبُلَغَاءِ وَهُوَ أَنْ يُذْكَرَ أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ الدَّاخِلَيْنِ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ اكْتِفَاءً بِأَحَدِهِمَا عَنْ ذِكْرِ الآخَرِ (**وَقَوْلِهِ »مَا شَاءَ فَعَلْ« أَىْ مَا أَرَادَ اللَّهُ حُصُولَهُ لا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ وَمَا أَرَادَ أَنْ لا يَحْصُلَ فَلا يَحْصُلُ وَقَوْلِهِ »مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى« أَىْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ**) فِى الأَزَلِ (**أَنْ يَكُونَ**) مُهْتَدِيًا (**عَلَى الصِّرَاطِ الصَّحِيحِ الْمُسْتَقِيمِ اهْتَدَى**) أَىْ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُهْتَدِيًا أَىْ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَلَى تَقْوَاهُ (**وَقَوْلِهِ »نَاعِمَ الْبَالِ« أَىْ مُطْمَئِنَّ الْبَالِ**) لِلإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِهِ (**وَ**)مَعْنَى (**قَوْلِهِ »وَمَنْ شَاءَ أَضَلّ« أَىْ**) أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (**مَنْ شَاءَ لَهُ**) فِى الأَزَلِ (**أَنْ يَكُونَ ضَالًّا أَضَلَّهُ**) أَىْ خَلَقَ فِيهِ الضَّلالَ وَهَذَا الْكَلامُ مِنْ أُصُولِ الْعَقَائِدِ الَّتِى كَانَ عَلَيْهَا الصَّحَابَةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ. فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ الْهِدَايَةَ لا بُدَّ أَنْ يَهْتَدِىَ، اللَّهُ يُلْهِمُهُ الإِيمَانَ وَالتُّقَى فَيَهْتَدِى بِإِخْتِيَارِهِ لا مَجْبُورًا وَأَمَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِى الأَزَلِ أَنْ يَكُونَ عَلَى خِلافِ ذَلِكَ أَىْ أَنْ يَكُونَ ضَالًّا كَافِرًا أَضَلَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَىْ جَعَلَهُ كَافِرًا فَيَخْتَارُ هَذَا الْعَبْدُ الْكُفْرَ (**وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ عَنِ الشَّافِعِىِّ أَنَّهُ قَالَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ**

**مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ**

**خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ فَفِى الْعِلْمِ يَجْرِى الْفَتَى وَالْمُسِنّ**

**عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ**

**فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَهَذَا قَبِيحٌ وَهَذَا حَسَن**)

فَسَرَّ الشَّافِعِىُّ الْقَدَرَ فِى هَذِهِ الأَبْيَاتِ بِالْمَشِيئَةِ وَهُوَ تَفْسِيرٌ مِنَ الإِمَامِ الشَّافِعِىِّ لِلْقَدَرِ عَلَى وَجْهِ الْبَسْطِ وَالتَّوَسُّعِ وَحَاصِلُهُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَّصِفٌ بِمَشِيئَةٍ أَزَلِيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ لا تَتَغَيَّرُ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ لا يَطْرَأُ عَلَيْهَا الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَجَعَلَ لِلْعِبَادِ مَشِيئَةً حَادِثَةً تَقْبَلُ التَّغَيُّرَ. يَقُولُ الشَّافِعِىُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ مُخَاطِبًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى »مَا شِئْتَ« أَىْ يَا رَبَّنَا »كَانَ« أَىْ مَا سَبَقَتْ بِهِ مَشِيئَتُكَ فِى الأَزَلِ لا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ »وَإِنْ لَمْ أَشَأْ« أَىْ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ أَنَا أَىْ أَنَا الْعَبْدُ حُصُولَهُ لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ نَافِذَةٌ لا تَتَغَيَّرُ وَالْمَعْنَى أَنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ فَهِىَ مَخْلُوقَةٌ حَادِثَةٌ. قَالَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ« مَعْنَاهُ إِنْ أَنَا شِئْتُ حُصُولَ شَىْءٍ بِمَشِيئَتِى الْحَادِثَةِ إِنْ أَنْتَ يَا رَبِّى لَمْ تَشَأْ حُصُولَهُ بِمَشِيئَتِكَ الأَزَلِيَّةِ لا يَحْصُلُ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ« أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبْرِزُ عِبَادَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ عَلَى حَسَبِ مَا سَبَقَ فِى عِلْمِهِ الأَزَلِىِّ. وَقَوْلُهُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »فَفِى الْعِلْمِ يَجْرِى الْفَتَى وَالْمُسِنّ« مَعْنَاهُ أَنَّ سَعْىَ الْفَتَى أَىِ الشَّابِّ وَالْمُسِنِّ أَىِ الْعَجُوزِ كُلٌّ سَعْيُهُ فِى عِلْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَىْ لا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ، هَذَا الْفَتَى الَّذِى هُوَ ذُو قُوَّةٍ وَنَشَاطٍ وَهَذَا الْمُسِنُّ الَّذِى هُوَ ذُو عَجْزٍ وَضَعْفٍ كُلٌّ مِنْهُمَا لا يَحْصُلُ شَىْءٌ مِنْهُ مِنَ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالنَّوَايَا وَالْقُصُودِ وَالإِدْرَاكَاتِ إِلَّا عَلَى حَسَبِ عِلْمِ اللَّهِ الأَزَلِىِّ. قَالَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ« أَىْ هَذَا مَنَنْتَ عَلَيْهِ أَىْ وَفَّقْتَهُ لِلإِيمَانِ وَالْهُدَى وَالصَّلاحِ وَعُلُوِّ الْقَدْرِ فِى الإِيمَانِ، وَمَعْنَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَىْ يَجْعَلُهُ يَصْرِفُ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَمَعْنَى »وَهَذَا خَذَلْتَ« أَىْ وَهَذَا مَا وَفَّقْتَهُ فَلَمْ يَهْتَدِ لِلْحَقِّ وَلَمْ يَقْبَلِ الْحَقَّ، وَمَعْنَى خِذْلانِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَىْ يَجْعَلُهُ يَصْرِفُ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ لِلشَّرِّ. قَالَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ« أَىْ هَذَا أَعَنْتَهُ عَلَى الأَعْمَالِ الَّتِى تُرْضِيكَ وَالآخَرُ مَا أَعَنْتَهُ عَلَى مَا يُرْضِيكَ. وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِ الشَّافِعِىِّ »وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ« أَنَّ اللَّهَ لا يُعِينُ عَلَى الشَّرِّ وَإِنَّمَا يُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ فَقَطْ فَأَهْلُ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ وَهُوَ الْمُعِينُ عَلَى الشَّرِّ وَالإِعَانَةُ التَّمْكِينُ أَىْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِى يُمَكِّنُ الْعَبْدَ لِفِعْلِ الْخَيْرِ وَهُوَ الَّذِى يُمَكِّنُهُ لِفِعْلِ الشَّرِّ صَرَّحَ بِذَلِكَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِى الإِرْشَادِ. قَالَ الشَّافِعِىُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَهَذَا قَبِيحٌ وَهَذَا حَسَن« الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَكُونَ شَقِيًّا أَىْ مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ الأَلِيمِ كَانَ كَذَلِكَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ كَانَ كَذَلِكَ (**فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ الضَّمِيرَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ﴾ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ لا إِلَى الْعَبْدِ كَمَا زَعَمَتِ الْقَدَرِيَّةُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ﴾**) وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا ذَهَبَ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ أَىْ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ أَىْ لِسَمَاعِ كَلامِ اللَّهِ الأَزَلِىِّ خَلَّفَ عَلَى قَوْمِهِ أَخَاهُ هَارُونَ وَكَانَ نَبِيًّا ثُمَّ قَضَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ فَوَجَدَهُمْ قَدْ عَبَدُوا الْعِجْلَ إِلَّا بَعْضًا مِنْهُمْ فَاخْتَارَ مُوسَى وَجَرَّدَ مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ شَخْصًا لِيَأْخُذَهُمْ لِلتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ أَىِ اهْتَزَّتْ بِهِمُ الأَرْضُ فَقَالَ مُوسَى مُتَضَرِّعًا إِلَى اللَّهِ ﴿**رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ**﴾ مَعْنَاهُ هَذَا الأَمْرُ الَّذِى حَدَثَ بِقَوْمِى مِنْ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ فِتْنَتُكَ أَىِ امْتِحَانٌ وَابْتِلاءٌ مِنْكَ تُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ (**وَكَذَلِكَ قَالَتْ طَائِفَةٌ يَنْتَسِبُونَ إِلَى أَمِين شَيْخُو الَّذِينَ زَعِيمُهُمُ الْيَوْمَ عَبْدُ الْهَادِى الْبَانِى الَّذِى هُوَ بِدِمَشْقَ فَقَدْ جَعَلُوا مَشِيئَةَ اللَّهِ تَابِعَةً لِمَشِيئَةِ الْعَبْدِ حَيْثُ إِنَّ مَعْنَى الآيَةِ عِنْدَهُمْ إِنْ شَاءَ الْعَبْدُ الِاهْتِدَاءَ شَاءَ اللَّهُ لَهُ الْهُدَى وَإِنْ شَاءَ الْعَبْدُ أَنْ يَضِلَّ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَكَذَّبُوا بِالآيَةِ ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**) وَهَؤُلاءِ تَبِعُوا الْمُعْتَزِلَةَ فِى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَاسُوا الْخَالِقَ عَلَى الْمَخْلُوقِ فَضَلُّوا وَحَرَّفُوا مَعْنَى الآيَةِ الَّتِى يَحْتَجُّونَ بِهَا وَهِىَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ**﴾ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّنَا إِذَا قُلْنَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِى يُضِلُّ مَنْ شَاءَ لَهُ الضَّلالَةَ مِنْ عِبَادِهِ فَقَدْ نَسَبْنَا الظُّلْمَ إِلَى اللَّهِ قَالُوا كَيْفَ يَشَاءُ اللَّهُ الضَّلالَةَ لَهُ ثُمَّ يُعَاقِبُهُ عَلَى ذَلِكَ، مِنْ هُنَا ضَلُّوا فَقَالُوا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ**﴾ يَشَاءُ أَىِ الْعَبْدُ يُعِيدُونَ الضَّمِيرَ إِلَى ﴿مَنْ﴾ وَ﴿مَنْ﴾ عِنْدَهُمْ وَاقِعٌ عَلَى الْعَبْدِ فَعِنْدَهُمْ مَعْنَى الآيَةِ الْعَبْدُ الَّذِى يَشَاءُ الضَّلالَ يُضِلُّهُ اللَّهُ هَكَذَا هُمْ يُحَرِّفُونَ لَكِنَّ الصَّوَابَ إِعَادَةُ الضَّمِيرِ إِلَى اللَّهِ **﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ**﴾ أَىِ الْعَبْدُ الَّذِى شَاءَ اللَّهُ بِمَشِيئَتِهِ الأَزَلِيَّةِ الأَبَدِيَّةِ أَنْ يَضِلَّ يُضِلُّهُ اللَّهُ، هَذَا مَعْنَى الآيَةِ ﴿**يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ**﴾ إِلَى لَفْظِ الْجَلالَةِ يَعُودُ الضَّمِيرُ. وَأَصْرَحُ ءَايَةٍ فِى إِبْطَالِ عَقِيدَةِ هَذِهِ الْهَادَوِيَّةِ الشَّيْخَوِيَّةِ وَهُمُ الْمُنْتَسِبُونَ إِلَى عَبْدِ الْهَادِى الَّذِى هُوَ تِلْمِيذُ أَمِين شَيْخُو الآيَةُ وَهِىَ ﴿**تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ**﴾ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿**تَشَاءُ**﴾ صَرِيحٌ فِى نِسْبَةِ الْمَشِيئَةِ إِلَى اللَّهِ فَلَوْ كَانَ مَعْنَى الآيَةِ كَمَا زَعَمُوا لَكَانَ لَفْظُ الآيَةِ يَضِلُّ بِهَا مَنْ شَاءُوا أَىِ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ لَكِنْ مُوسَى يُخَاطِبُ اللَّهَ بِقَوْلِهِ ﴿**مَنْ تَشَاءُ**﴾ فَلا مَعْنَى لِلآيَةِ إِلَّا تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ يَا اللَّهُ فَلْتَعْلَمْ هَذِهِ الْفِرْقَةُ أَنَّهَا ضِدُّ الْقُرْءَانِ وَأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنِ الإِسْلامِ (**فَإِنْ حَاوَلَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْءَانِ لِضِدِّ هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ لَهُ الْقُرْءَانُ يَتَصَادَقُ وَلا يَتَنَاقَضُ فَلَيْسَ فِى الْقُرْءَانِ ءَايَةٌ نَقِيضَ ءَايَةٍ وَ**)إِنْ قِيلَ هَذِهِ الآيَةُ نُسِخَتْ بِآيَةٍ أُخْرَى قُلْنَا (**لَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ لِأَنَّ النَّسْخَ لا يَدْخُلُ الْعَقَائِدَ وَلَيْسَ مُوجِبًا لِلتَّنَاقُضِ**) أَىْ لا يُؤَدِّى إِلَى التَّنَاقُضِ (**فَالنَّسْخُ لا يَدْخُلُ فِى الأَخْبَارِ إِنَّمَا هُوَ فِى الأَمْرِ وَالنَّهْىِ. إِنَّمَا النَّسْخُ بَيَانُ انْتِهَاءِ حُكْمِ ءَايَةٍ سَابِقَةٍ بِحُكْمِ ءَايَةٍ لاحِقَةٍ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْفِئَةَ لا تُؤْمِنُ بِالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ**) وَاعْتِقَادُ أَنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَلَيْسَ الْعَكْسُ مِنْ أُصُولِ الِاعْتِقَادِ وَمَنْ خَالَفَ فِى ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ (**وَمِنْ غَبَاوَتِهِمُ الْعَجِيبَةِ أَنَّهُمْ يُفَسِّرُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى فَإِنْ قِيلَ لَهُمْ لَوْ كَانَتِ الأَسْمَاءُ هِىَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى لَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ بَلْ لَقَالَ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِى انْقَطَعُوا لَكِنَّهُمْ يُصِرُّونَ عَلَى جَهْلِهِمْ وَتَحْرِيفِهِمْ لِلْقُرْءَانِ**) ولِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ الَّذِى فِيهِ أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ لِآدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »**يَا ءَادَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ أَسْجَدَ لَكَ الْمَلائِكَةَ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَىْءٍ**« أَخْرَجَهُ الْبُخَارِىُّ. (**وَرَوَى الْحَاكِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**) وَهُوَ شَيْخُ الْبَيْهَقِىِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (**أَنَّ عَلِىَّ الرِّضَى بنَ مُوسَى الْكَاظِمِ كَانَ يَقْعُدُ فِى الرَّوْضَةِ وَهُوَ شَابٌّ مُلْتَحِفٌ بِمُطْرَفِ خَزٍّ فَيَسْأَلُهُ النَّاسُ وَمَشَايِخُ الْعُلَمَاءِ فِى الْمَسْجِدِ فَسُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ فَقَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ثُمَّ قَالَ الرِّضَى »كَانَ أَبِي يَذْكُرُ عَنْ ءَابَائِهِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَقُولُ »إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ بِقَدَرٍ**) أَىْ بِتَقْدِيرِهِ الأَزَلِىِّ أَىْ أَنَّ كُلَّ مَا دَخَلَ فِى الْوُجُودِ فَقَدْ وُجِدَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وُجُودَهُ وَمَشِيئَتِهِ لِوُجُودِهِ (**حَتَّى الْعَجْزَ**) وَهُوَ الضَّعْفُ فِى الْفَهْمِ وَالإِدْرَاكِ وَيُقَالُ الْعَجْزُ هُوَ ضَعْفُ الْهِمَّةِ وَفُتُورُهَا (**وَالْكَيْسَ**) وَهُوَ الذَّكَاءُ وَالْفَطَانَةُ (**وَإِلَيْهِ الْمَشِيئَةُ**) فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ الْمَشِيئَةُ الشَّامِلَةُ الْعَامَّةُ الأَزَلِيَّةُ الأَبَدِيَّةُ الَّتِى لا تَتَحَوَّلُ وَلا تَتَغَيَّرُ فَبِمَشِيئَتِهِ الأَزَلِيَّةِ شَاءَ حُصُولَ كُلِّ الْمُمْكِنَاتِ الْحَادِثَاتِ مِنْ أَجْرَامٍ وَأَعْمَالِ الْعِبَادِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ وَتَطَوُّرَاتِ نُفُوسِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ مَا كَانَ خَيْرًا وَمَا كَانَ شَرًّا، وَمَشِيئَةُ اللَّهِ سَابِقَةٌ عَلَى مَشِيئَةِ الْعِبَادِ سَبَقَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا لا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ سَيِّدُنَا عَلِىٌّ (**وَبِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ« اهـ**) فَالْحَوْلُ هُوَ التَّحَفُّظُ عَنِ الشَّرِّ وَالْقُوَّةُ هِىَ الْقُوَّةُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ الَّتِى تَحْصُلُ فِى الْعِبَادِ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَبْدَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ شَرًّا وَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ سُوءٍ وَشَرٍّ وَفَسَادٍ وَمَعْصِيَةٍ إِلَّا بِاللَّهِ أَىْ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ أَىْ إِلَّا أَنْ يَحْفَظَهُ اللَّهُ فَالْمَلائِكَةُ وَالأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا هُمْ يَحْفَظُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الضَّلالِ مُسْتَقِلِّينَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بَلِ اللَّهُ هُوَ يَحْفَظُهُمْ فَلِلَّهِ الْمِنَّةُ عَلَيْهِمْ، الْفَضْلُ لِلَّهِ الَّذِى حَفِظَهُمْ وَلَوْلا حِفْظُ اللَّهِ لَهُمْ مَا سَلِمُوا مِنْ هَذِهِ الْمَعَاصِى وَالرَّذَائِلِ. وَقَوْلُهُ »وَالْقُوَّةُ« مَعْنَاهُ أَنَّهُ لا أَحَدَ يَقْوَى عَلَى طَاعَةٍ وَحَسَنَةٍ وَعَمَلٍ شَرِيفٍ إِلَّا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ وَعِلْمِهِ وَتَوْفِيقِهِ فَالَّذِينَ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ فَعَمِلُوهَا وَحَقَّقُوهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ فَلَوْلا مَعُونَةُ اللَّهِ مَا عَمِلُوا حَسَنَةً فَلِلَّهِ الْفَضْلُ وَالنِّعْمَةُ (**فَالْعِبَادُ مُنْسَاقُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ**) أَىْ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِى الأَزَلِ وَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ لا بُدَّ أَنْ يَنْسَاقُوا إِلَيْهِ (**بِاخْتِيَارِهِمْ**) فَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْسَاقُونَ إِلَى الإِيمَانِ بِاخْتِيَارِهِمْ وَالْكُفَّارُ الَّذِينَ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَمُوتُوا كَافِرِينَ انْسَاقُوا إِلَى الْكُفْرِ بِاخْتِيَارِهِمْ (**لا بِالإِكْرَاهِ وَالْجَبْرِ**) تَنَفَّذَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ فِى هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ وَهُمْ لَيْسُوا (**كَالرِّيشَةِ الْمُعَلَّقَةِ تُمِيلُهَا الرِّيَاحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً كَمَا تَقُولُ الْجَبْرِيَّةُ وَلَوْ لَمْ يَشَإِ اللَّهُ عِصْيَانَ الْعُصَاةِ وَكُفْرَ الْكَافِرِينَ وَإِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةَ الطَّائِعِينَ لَمَا خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ. وَمَنْ يَنْسُبُ لِلَّهِ تَعَالَى خَلْقَ الْخَيْرِ دُونَ الشَّرِّ فَقَدْ نَسَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْعَجْزَ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ لِلْعَالَمِ مُدَبِّرَانِ مُدَبِّرُ خَيْرٍ وَمُدَبِّرُ شَرٍّ وَهَذَا كُفْرٌ وَإِشْرَاكٌ**) فَلا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ إِرَادَةٌ تَتَنَفَّذُ بِخِلافِ إِرَادَةِ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ. هَؤُلاءِ يَقُولُونَ اللَّهُ شَاءَ لِكُلِّ الْعِبَادِ حَتَّى لِفِرْعَوْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا وَكَذَلِكَ لِإِبْلِيسَ وَلَكِنْ نَقَضَا مَشِيئَةَ اللَّهِ وَاخْتَارَا الْكُفْرَ فَكَفَرَا فَلَمْ تَتَنَفَّذْ فِيهِمَا مَشِيئَةُ اللَّهِ (**وَهَذَا الرَّأْىُ السَّفِيهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يَجْعَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِى مُلْكِهِ مَغْلُوبًا لِأَنَّهُ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِ اللَّهُ تَعَالَى أَرَادَ الْخَيْرَ فَقَطْ فَيَكُونُ قَدْ وَقَعَ الشَّرُّ مِنْ عَدُّوِهِ إِبْلِيسَ وَأَعْوَانِهِ الْكُفَّارِ رَغْمَ إِرَادَتِهِ. وَيَكْفُرُ مَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الرَّأْىَ لِمُخَالَفَتِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ أَىْ لا أَحَدَ يَمْنَعُ نَفَاذَ مَشِيئَتِهِ**) مَعْنَاهُ مُنَفِّذٌ لِمُرَادِهِ لا مَحَالَةَ فَلَوْ كَانَ اللَّهُ شَاءَ لِهَؤُلاءِ الْكُفَّارِ أَنْ يَهْتَدُوا مَا بَقِىَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اهْتَدَى لَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ لِهَؤُلاءِ الْكُفَّارِ أَنْ يَهْتَدُوا، هُوَ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ لَهُمُ الإِيمَانَ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ (**وَحُكْمُ مَنْ يَنْسُبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْخَيْرَ وَيَنْسُبُ إِلَى الْعَبْدِ الشَّرَّ أَدَبًا**) كَأَنْ يَقُولَ قَائِلٌ »الْخَيْرُ مِنَ اللَّهِ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْهِ «(**أَنَّهُ لا حَرَجَ عَلَيْهِ**) وَلا بَأْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ وُقُوعَ الشَّرِّ إِنَّمَا مَعْنَاهُ الشَّرُّ لا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ. نَقُولُ الْخَيْرُ مِنْكَ أَمَّا الشَّرُّ مِنْكَ فَهُوَ إِسَاءَةُ أَدَبٍ. أَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ فَلا يُنَافِى الأَدَبَ مَعَ اللَّهِ وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ اللَّهُ خَالِقُ الإِنْسَانِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ وَكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ فَإِنَّ هَذَا لا يُنَافِى الأَدَبَ وَأَمَّا لَوْ أَفْرَدَ الْخَنَازِيرَ وَالْقِرَدَةَ فَقَالَ اللَّهُ خَالِقُ الْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدَةِ يَكُونُ إِسَاءَةَ أَدَبٍ وَهُوَ حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ لا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ (**أَمَّا إِذَا اعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَيْرَ دُونَ الشَّرِّ**) وَأَنَّ الشَّرَّ مِنْ خَلْقِ إِبْلِيسَ (**فَحُكْمُهُ التَّكْفِيرُ. وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَذَّبَ الْعَاصِىَ فَبِعَدْلِهِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ وَإِذَا أَثَابَ الْمُطِيعَ فَبِفَضْلِهِ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ عَلَيْهِ لِأَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ مِمَّنْ لَهُ ءَامِرٌ وَنَاهٍ وَلا ءَامِرَ لِلَّهِ وَلا نَاهِىَ لَهُ فَهُوَ يَتَصَرَّفُ فِى مِلْكِهِ كَمَا يَشَاءُ لِأَنَّهُ خَالِقُ الأَشْيَاءِ وَمَالِكُهَا وَقَدْ جَاءَ فِى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِى رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِى مُسْنَدِهِ وَالإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِى سُنَنِهِ وَابْنُ حِبَّانَ**) فِى صَحِيحِهِ (**عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِىِّ قَالَ »أَتَيْتُ أُبَىَّ بنَ كَعْبٍ**) وَهُوَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ وَيُكْنَى أَبَا الْمُنْذِرِ (**فَقُلْتُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّهُ حَدَثَ فِى نَفْسِى شَىْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ**) أَىْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِى وَلَمْ أَشُكَّ (**فَحَدِّثْنِى لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُنِى«**) أَىْ بِكَلامِكَ (**قَالَ »إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ أَرْضِهِ وَسَمَوَاتِهِ**) أَىْ لَوْ عَذَّبَ الْمَلائِكَةَ وَالإِنْسَ وَالْجِنَّ (**لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ**) مِنَ الْعَذَابِ (**كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**) وَإِحْسَانًا مِنْهُ وَتَفَضُّلًا وَتَكَرُّمًا عَلَيْهِمْ وَلَمْ تَكُنْ رَحْمَتُهُ فَرْضًا وَاجِبًا عَلَيْهِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِى يَخْلُقُ الطَّاعَةَ فِى عِبَادِهِ الْمَلائِكَةُ وَالأَنْبِيَاءُ وَغَيْرُهُمْ هُوَ خَلَقَ فِيهِمْ هَذِهِ الطَّاعَةَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أُبَىُّ بنُ كَعْبٍ (**وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ**) جَبَلِ (**أُحُدٍ ذَهَبًا فِى سَبِيلِ اللَّهِ**) أَىْ فِيمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ عَبَّأْتَ الْجُيُوشَ لِلْجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمْدَدْتَّهُمْ بِالْمَالِ (**مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ«**) أَىْ لَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا الِاعْتِقَادِ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْكُفَّارِ (**قَالَ**) أَىِ ابْنُ الدَّيْلَمِىِّ (**ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ فَحَدَّثَنِى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ ابْنَ الْيَمَانِ فَحَدَّثَنِى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِى مِثْلَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِىُّ فِى كِتَابِ**) الْقَضَاءِ وَ(**الْقَدَرِ عَنْ أَبِى الأَسْوَدِ الدُّؤَلِىِّ**) وَهُوَ مِنْ ثِقَاتِ التَّابِعِينَ أَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِىٍّ وَغَيْرِهِ (**قَالَ قَالَ لِى عِمْرَانُ بنُ الْحُصَيْنِ**) وَهُوَ أَحَدُ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ (**أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ**) أَىْ يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ أَىْ أَعْمَالَهُمْ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ (**أَشَىْءٌ قُضِىَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ**) مَعْنَاهُ هَلْ هُوَ شَىْءٌ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَحْصُلُ مِنْهُمْ أَىْ بِاخْتِيَارِهِمْ وَمَشِيئَتِهِمُ الْحَادِثَةِ بَعْدَ مَشِيئَةِ اللَّهِ الأَزَلِيَّةِ وَعِلْمِهِ الأَزَلِىِّ الأَبَدِىِّ (**أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ**) مَعْنَاهُ أَمْ هُوَ شَىْءٌ جَدِيدٌ لَمْ يَسْبِقْ بِهِ قَدَرٌ وَلَمْ يَسْبِقْ فِى عِلْمِ اللَّهِ فِى الأَزَلِ أَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْهُمْ إِنَّمَا هُمْ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَصَرُّفٌ فِيهِ يَعْمَلُونَ أَوْ هَلْ هُمْ لَيْسَ لَهُمُ اخْتِيَارٌ بَلْ هُمْ مَسْلُوبُو الِاخْتِيَارِ بِالْمَرَّةِ (**مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ**) أَىْ أُرِيدُ مِنْكَ نَصًّا شَرْعِيًّا (**فَقُلْتُ بَلْ شَىْءٌ قُضِىَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ**) أَىْ أَنَّ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ وَسَكَنَاتِهِمْ كُلَّهَا شَىْءٌ حَصَلَ مِنَ الْعِبَادِ بِقَضَاءِ اللَّهِ (**قَالَ فَقَالَ**) أَىْ عِمْرَانُ بنُ الْحُصَيْنِ (**أَفَلا يَكُونُ ظُلْمًا**) أَىْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ فِى امْتِحَانِهِ فَقَالَ أَفَلا يَكُونُ ظُلْمًا وَالْمَعْنَى إِنْ كَانَ الإِنْسَانُ يَعْمَلُ فِيمَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى يَعْمَلُ عَلَى حَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ ثُمَّ حَاسَبَهُ فِى الآخِرَةِ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ فَعَاقَبَهُ أَلا يَكُونُ ظُلْمًا (**قَالَ فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقُلْتُ كُلُّ شَىْءٍ خَلْقُهُ وَمِلْكُ يَدِهِ لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**) أَلْهَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَبَا الأَسْوَدِ الصَّوَابَ فَأَجَابَ بِمَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لا يَحْكُمُهُ أَحَدٌ هُوَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ جَعَلَ الأَعْمَالَ أَمَارَاتٍ أَىْ عَلامَاتٍ وَوَفَّقَ بَعْضَ النَّاسِ بِأَنْ يَخْتَارُوا الْهُدَى وَالصَّالِحَاتِ مِنَ الأَعْمَالِ وَيَنْسَاقُوا إِلَيْهَا بِاخْتِيَارِهِمْ عَلَى حَسَبِ مَشِيئَتِهِ وَعِلْمِهِ فَيَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَأَنْ يَنْسَاقَ قِسْمٌ مِنْهُمْ بِاخْتِيَارِهِمْ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْرُجُوا عَنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ فَإِذَا حَاسَبَ الْعُصَاةَ وَعَاقَبَهُمْ لا يَكُونُ ظَالِمًا لِأَنَّهُ هُوَ الْحَاكِمُ لَيْسَ لَهُ حَاكِمٌ هُوَ الآمِرُ لَيْسَ لَهُ ءَامِرٌ تَصَرَّفَ فِيمَا لَهُ فِيمَا يَمْلِكُهُ مِلْكًا حَقِيقِيًّا وَلَمْ يَتَصَرَّفْ فِيمَا لَيْسَ لَهُ لِأَنَّ الظُّلْمَ فِى لُغَةِ الْعَرَبِ هُوَ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِمَا لَيْسَ لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى كُلُّ شَىْءٍ خَلْقُهُ وَمِلْكُهُ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ أَىِ الْعِبَادُ يُسْأَلُونَ (**قَالَ**) أَبُو الأَسْوَدِ (**فَقَالَ لِى**) عِمْرَانُ (**يَرْحَمُكَ اللَّهُ**) مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمَّا وُفِّقَ لِلْجَوَابِ الصَّحِيحِ دَعَا لَهُ وَصَوَّبَ جَوَابَهُ وَقَالَ لَهُ (**إِنِّى لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ**) أَىْ أَرَدْتُ أَنْ أَمْتَحِنَ فَهْمَكَ لِلدِّينِ (**إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ**) وَهِىَ قَبِيلَةٌ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ (**أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَىْءٌ قُضِىَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ**) مَعْنَاهُ نُرِيدُ مِنْكَ دَلِيلًا وَحُجَّةً مِنَ الشَّرْعِ (**فَقَالَ**) عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ (**»بَلْ شَىْءٌ قُضِىَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ« وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**) وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُ الْعِبَادُ مِنْ حَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ حَتَّى النَّوَايَا وَالْقُصُودِ تَكُونُ عَلَى حَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ الأَزَلِيَّةِ وَعِلْمِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَدَلَّ بِالآيَةِ الْمَذْكُورَةِ وَأَيَّدَ جَوَابَهُ لَهُمَا لِأَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالنَّفْسِ وَمَا سَوَّاها عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِى يُلْهِمُ النُّفُوسَ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا أَىْ أَنَّهُ لا يَكُونُ شَىْءٌ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ذَلِكَ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِذَا كَانَ اللَّهُ شَاءَ لَنَا أَنْ نَفْعَلَ كَذَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِى فَمَاذَا نَفْعَلُ فَالْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ الْمُسْتَقْبَلُ غَيْبٌ عَنَّا مَا بَعْدَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ غَيْبٌ عَنَّا فَالَّذِى عَلَيْنَا أَنْ نَسْعَى لِأَنْ نَكُونَ قَائِمِينَ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُقُوقِ عِبَادِهِ الَّتِى أَمَرَنَا بِهَا وَكَمَا لا يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَقْعُدَ وَيَقُولَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لا بُدَّ أَنْ يَصِلَ إِلَى جَوْفِى وَلا يَسْعَى بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ فِى طَلَبِ الْقُوتِ بَلْ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلتَّلَفِ بِالْجُوعِ كَذَلِكَ لا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الإِنْسَانُ أَنَا إِنْ كَانَ اللَّهُ كَتَبَ أَنِّى سَعِيدٌ لا بُدَّ أَنْ أَكُونَ سَعِيدًا وَإِنْ كَانَ كَتَبَ لِىَ غَيْرَ ذَلِكَ لا أَكُونُ سَعِيدًا ثُمَّ يَقْعُدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْعَى لِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ (**وَصَحَّ حَدِيثُ »فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا**) أَىْ مَنْ عَمِلَ الْحَسَنَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَتَجَنَّبَ الْمَعَاصِىَ (**فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ**) الَّذِى وَفَّقَهُ لِذَلِكَ (**وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ**) أَىْ مَنْ كَانَ عَمَلُهُ خِلافَ ذَلِكَ (**فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ«**) أَىْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ ظَالِمًا لَهُ وَلَكِنْ هُوَ ظَلَمَ نَفْسَهُ (**رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا الأَوَّلُ وَهُوَ مَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَفَضِّلٌ عَلَيْهِ بِالإِيجَادِ وَالتَّوْفِيقِ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ عَلَيْهِ فَلْيَحْمَدِ الْعَبْدُ رَبَّهُ عَلَى تَفَضُّلِهِ عَلَيْهِ**) أَنْ وَفَّقَهُ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ (**أَمَّا الثَّانِى وَهُوَ مَنْ وَجَدَ شَرًّا فَلِأَنَّهُ تَعَالَى أَبْرَزَ**) أَىْ أَظْهَرَ (**بِقُدْرَتِهِ**) مَا سَبَقَ فِى عِلْمِهِ الأَزَلِىِّ (**مَا كَانَ مِنْ مَيْلِ الْعَبْدِ السَّىِّءِ**) فَقَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا الْعَبْدُ كَانَ مُسْتَعِدًّا وَاللَّهُ أَظْهَرَ اسْتِعْدَادَهُ (**فَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَبِعَدْلِهِ**) وَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ (**وَمَنْ هَدَاهُ فَبِفَضْلِهِ**) فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ (**وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ**) وَلَمْ يَبْعَثِ الرُّسُلَ إِلَى عِبَادِهِ لِيُبَيِّنُوا لَهُمْ مَا هُوَ الْخَيْرُ وَمَا هُوَ الشَّرُّ ثُمَّ عَاقَبَهُمْ عَلَى عَمَلِهِمُ السُّوءَ (**وَأَدْخَلَ فَرِيقًا الْجَنَّةَ وَفَرِيقًا النَّارَ لِسَابِقِ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ لَكَانَ شَأْنُ الْمُعَذَّبِ مِنْهُمْ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا**) أَىْ لِمَ لَمْ تُرْسِلْ إِلَيْنَا رَسُولًا (**فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ فَأَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ**) **مَنْ أَسْلَمَ بِالْجَنَّةِ** (**وَمُنْذِرِينَ**) **مَنْ كَفَرَ بِالْعَذَابِ فِى الآخِرَةِ** فَقَطَعَ عَلَيْهِمُ الْعُذْرَ (**لِيُظْهِرَ مَا فِى اسْتِعْدَادِ الْعَبْدِ مِنَ الطَّوْعِ وَالإِبَاءِ فَيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**) أَىْ عَنْ دَلِيلٍ وَعَنْ حُجَّةٍ (**فَأَخْبَرَنَا أَنَّ قِسْمًا مِنْ خَلْقِهِ مَصِيرُهُمُ النَّارُ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِى يَعْمَلُونَ بِاخْتِيَارِهِمْ وَكَانَ تَعَالَى عَالِمًا بِعِلْمِهِ الأَزَلِىِّ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**) فَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَى عِبَادِهِ (**قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾**) أَىْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ فِى الأَزَلِ أَنْ يَهْتَدِىَ جَمِيعُ الأَنْفُسِ لَاهْتَدَى جَمِيعُ الأَنْفُسِ لَأَعْطَى لِكُلِّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَجَعَلَهَا مُؤْمِنَةً مُهْتَدِيَةً (**﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى﴾**) أَىْ وَلَكِنْ قُلْتُ فِى الأَزَلِ وَقَوْلِى لا يَتَخَلَّفُ (**﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِى هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُ قَالَ فِى الأَزَلِ ﴿لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**) أَىْ أَنَّنِى سَأَمْلَأُ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ مَعْنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ فِى الأَزَلِ إِنَّهُ يَمْلأُ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ فَلا بُدَّ أَنْ تُمْلأَ جَهَنَّمُ مِنْ كُفَّارِ الْبَشَرِ وَالْجِنِّ. قَدَّمَ ذِكْرَ الْجِنِّ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْجِنِّ (**وَقَوْلُهُ**) تَعَالَى (**صِدْقٌ لا يَتَخَلَّفُ لِأَنَّ التَّخَلُّفَ أَىِ التَّغَيُّرَ كَذِبٌ وَالْكَذِبُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ**) فَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ فَلا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَهُ وَمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ لا يَفْعَلُهُ فَلا يَكُونُ وَأَمَّا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْجَهَلَةِ اللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَا قَالَ فِى مِثْلِ هَذَا فَهُوَ كُفْرٌ، يُقَالُ لَهُمْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ لَكِنْ لا يُخْلِفُ فِى قَوْلِهِ لِأَنَّ الإِخْلافَ فِى قَوْلِهِ كَذِبٌ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَذِبِ فَلَيْسَ هَذَا مِنْ وَظِيفَةِ الْقُدْرَةِ (**قَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾**) أَىِ التَّامَّةُ (**﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أَىْ**) لَوْ شَاءَ فِى الأَزَلِ أَنْ يَهْتَدِىَ الْجَمِيعُ لَاهْتَدَوْا (**وَلَكِنَّهُ لَمْ يَشَأْ هِدَايَةَ جَمِيعِكُمْ إِذْ لَمْ يَسْبِقِ الْعِلْمُ بِذَلِكَ فَالْعِبَادُ مُنْسَاقُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ**) أَىْ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِى الأَزَلِ وَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ لا بُدَّ أَنْ يَنْسَاقُوا إِلَيْهِ (**بِاخْتِيَارِهِمْ لا بِالإِكْرَاهِ وَالْجَبْرِ**) فَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْسَاقُونَ إِلَى الإِيمَانِ بِاخْتِيَارِهِمْ وَالْكُفَّارُ الَّذِينَ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَمُوتُوا كَافِرِينَ انْسَاقُوا إِلَى الْكُفْرِ بِاخْتِيَارِهِمْ فَتَنَفَّذَتْ مَشِيئَةُ اللَّهُ فِى هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ. فَالْعِبَادُ لَهُمُ اخْتِيَارٌ فِى أَفْعَالِهِمُ الِاخْتِيَارِيَّةِ وَلَكِنَّهُمْ لَيْسُوا خَالِقِينَ لِأَفْعَالِهِمْ وَكَذَلِكَ لَيْسُوا كَالرِّيشَةِ الْمُعَلَّقَةِ فِى الْهَوَاءِ تَأْخُذُهَا الرِّيَاحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً بِلا اخْتِيَارٍ مِنْهَا فَتَسْوِيَةُ هَؤُلاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ تِلْكَ الرِّيشَةِ إِلْحَادٌ وَكُفْرٌ (**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَمْرِ الْقَدَرِ لَيْسَ مِنَ الْخَوْضِ الَّذِى نَهَى النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ »إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا« رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ**) فِى الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ وَمَعْنَاهُ لا تَتَوَغَّلُوا فِي الْبَحْثِ وَالْخَوْضِ فِيهِ لِلْوُصُولِ إِلَى سِرِّهِ هَذَا مُنِعْنَا مِنْهُ لِأَنَّهُ بَحْرٌ لَيْسَ لَهُ سَفِينَةٌ أَمَّا تَفْسِيرُ الْقَدَرِ الَّذِى مَرَّ يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ (**لِأَنَّ هَذَا تَفْسِيرٌ لِلْقَدَرِ الَّذِى وَرَدَ بِهِ النَّصُّ وَأَمَّا الْمَنْهِىُّ عَنْهُ فَهُوَ الْخَوْضُ فِيهِ لِلْوُصُولِ إِلَى سِرِّهِ فَقَدْ رَوَى الشَّافِعِىُّ وَالْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ**) فِى تَارِيخِ دِمَشْقَ (**عَنْ عَلِىٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلسَّائِلِ عَنِ الْقَدَرِ »سِرُّ اللَّهِ فَلا تَتَكَلَّفْ«**) أَىْ أَنَّ أَصْلَ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِى خَلْقِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِىٌّ مُرْسَلٌ وَمَهْمَا تَكَلَّفَ بَعْضُهُمُ الْخَوْضَ فِى ذَلِكَ لِلْوُصُولِ إِلَى سِرِّ الْقَدَرِ فَلَنْ يَسْتَطِيعُوا لِأَنَّ اللَّهَ أَخْفَى عَنَّا ذَلِكَ وَنَهَانَا عَنْ طَلَبِهِ (**فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ »أَمَّا إِذْ أَبَيْتَ فَإِنَّهُ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لا جَبْرٌ وَلا تَفْوِيضٌ«**) يُرِيدُ بِهِ أَنَّ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هِىَ أَنَّ الْعَبْدَ لَهُ اخْتِيَارٌ مَمْزُوجٌ بِجَبْرٍ وَأَنَّ الْعَبْدَ مُخْتَارٌ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَأَنَّنَا لا نَقُولُ بِمَقَالَةِ الْجَبْرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ لا فِعْلَ لَهُ بِالْمَرَّةِ وَإِنَّمَا هُوَ كَالرِّيشَةِ الْمُعَلَّقَةِ فِى الْهَوَاءِ تَأْخُذُهَا الرِّيَاحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَلا نَقُولُ بِمَقَالَةِ الْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ إِنَّمَا نَحْنُ وَسَطٌ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ أَىِ الْمُعْتَزِلَةِ (**وَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَمَّ الْقَدَرِيَّةَ وَهُمْ فِرَقٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ الْعَبْدُ خَالِقٌ لِجَمِيعِ فِعْلِهِ الِاخْتِيَارِىِّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ خَالِقُ الشَّرِّ دُونَ الْخَيْرِ وَكِلا الْفَرِيقَيْنِ كُفَّارٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ«**) رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ فِى السُّنَنِ الْكُبْرَى (**وَفِى رِوَايَةٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ »لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا قَدَرَ« رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ**) فِى سُنَنِهِ (**عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) وَفِى هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ الِاخْتِيَارِيَّةَ أَوْ أَنَّهُ خَالِقُ الشَّرِّ دُونَ الْخَيْرِ كُفَّارٌ (**وَفِى كِتَابِ الْقَدَرِ لِلْبَيْهَقِىِّ وَكِتَابِ تَهْذِيبِ الآثَارِ لِلإِمَامِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِىِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِى لَيْسَ لَهُمَا نَصِيبٌ فِى الإِسْلامِ الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجِئَةُ«**) وَفِى هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلًّا مِنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ كُفَّارٌ (**فَالْمُعْتَزِلَةُ هُمُ الْقَدَرِيَّةُ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا اللَّهَ وَالْعَبْدَ سَوَاسِيَةً بِنَفْىِ الْقُدْرَةِ عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يُقْدِرُ عَلَيْهِ عَبْدَهُ فَكَأَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ خَالِقَيْنِ فِى الْحَقِيقَةِ كَمَا أَثْبَتَ الْمَجُوسُ خَالِقَيْنِ خَالِقًا لِلْخَيْرِ هُوَ عِنْدَهُمُ النُّورُ وَخَالِقًا لِلشَّرِّ هُوَ عِنْدَهُمُ الظَّلامُ**) وَالْمُعْتَزِلَةُ نَحْوُ عِشْرِينَ فِرْقَةً مِنْهُمْ مَنْ وَصَلَ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ كَالَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِّ كَالْقَائِلِينَ إِنَّ اللَّهَ لا يُرَى فِى الآخِرَةِ كَمَا لا يُرَى فِى الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَهُمْ طَائِفَةٌ انْتَسَبُوا لِلإِسْلامِ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ مَهْمَا عَمِلَ مِنَ الْكَبَائِرِ وَمَاتَ بِلا تَوْبَةٍ لَيْسَ عَلَيْهِ عَذَابٌ. قَالُوا لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ كَمَا لا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ قَاسُوا هَذِهِ عَلَى هَذِهِ فَضَلُّوا وَهَلَكُوا لِأَنَّ قَوْلَهُمْ »لا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ« صَحِيحٌ لِأَنَّ الْكَافِرَ مَهْمَا قَامَ بِصُوَرِ أَعْمَالِ الطَّاعَةِ وَهُوَ عَلَى كُفْرِهِ لا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ »لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ« فَهُوَ كُفْرٌ وَضَلالٌ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْضَرُّ بِالْمَعَاصِى الَّتِى يَرْتَكِبُهَا، وَالإِرْجَاءُ مَعْنَاهُ التَّأْخِيرُ وَإِنَّمَا سُمُّوا بِالْمُرْجِئَةِ لِأَنَّهُمْ أَخَّرُوا عَنْهُمُ الْعَذَابَ أَىْ قَالُوا لا يُصِيبُهُمُ الْعَذَابُ أَيْ لِمَنْ عَصَوْا وَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ مَعْنَاهُ الإِيمَانُ يُؤَخِّرُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ أَىْ لا يَلْحَقُهُمُ الْعَذَابُ. وَالسَّبَبُ فِى هَلاكِهِمْ فِى هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ أَنَّهُمْ فَهِمُوا بَعْضَ الآيَاتِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى **﴿وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ فَظَنُّوا أَنَّ غَيْرَ الْكَافِرِ لا يُعَذَّبُ إِنَّمَا مَعْنَى الآيَةِ أَنَّ ذَلِكَ الْعَذَابَ الَّذِى ذُكِرَ لا يَلْقَاهُ إِلَّا الْكَفُورُ.

**وَالْهِدَايَةُ عَلَى وَجْهَيْنِ**

(**أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الْحَقِّ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ**) أَىْ أَمْرُ النَّاسِ بِهِ (**وَنَصْبُ الأَدِلَّةِ عَلَيْهِ**) فَالأَنْبِيَاءُ بِهَذَا الْمَعْنَى هُدَاةٌ لِأَنَّهُمْ دَلُّوا النَّاسَ عَلَى الْخَيْرِ وَبَيَّنُوا لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَحَذَّرُوا النَّاسَ مِمَّا لا يُحِبُّهُ اللَّهُ (**وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَصِحُّ إِضَافَةُ الْهِدَايَةِ إِلَى الرُّسُلِ وَإِلَى كُلِّ دَاعٍ لِلَّهِ**) فَالأَنْبِيَاءُ وَظِيفَتُهُمُ الَّتِى هِىَ فَرْضٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوهَا الْبَيَانُ وَالدِّلالَةُ وَالإِرْشَادُ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ اللَّهُ شَاءَ لَهُ الِاهْتَدَاءَ يَهْتَدِى بِقَوْلِ هَؤُلاءِ الأَنْبِيَاءِ بِالأَخْذِ بِدَعْوَتِهِمْ وَنَصِيحَتِهِمْ وَمَنْ لَمْ يَشَإِ اللَّهُ أَنْ يَهْتَدِىَ لا يَهْتَدِى مَهْمَا رَأَوْا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، هَذَا أَبُو جَهْلٍ رَأَى انْشِقَاقَ الْقَمَرِ وَغَيْرُهُ مِنْ صَنَادِيدِ الْكُفْرِ وَلَمْ يَهْتَدِ مِنْهُمْ إِلَّا الَّذِى شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَهْتَدِىَ فَالدُّعَاءُ إِلَى الْحَقِّ يُقَالُ لَهُ هِدَايَةٌ وَكَذَلِكَ نَصْبُ الأَدِلَّةِ عَلَيْهِ (**كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**) أَىْ أَنَّكَ يَا مُحَمَّدُ تَدُلُّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَتُبَيِّنُ لِلْخَلْقِ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ طَرِيقَ الْهُدَى، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْتَ تَخْلُقُ الِاهْتِدَاءَ فِى قُلُوبِ النَّاسِ فَالرَّسُولُ لا يَمْلِكُ الْقُلُوبَ فَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا هَذَا يُقَالُ لَهُ هِدَايَةٌ أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْهِدَايَةَ هُنَا لَيْسَتْ بِمَعْنَى خَلْقِ الِاهْتِدَاءِ فِى قُلُوبِ الْعِبَادِ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ**﴾ أَىْ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْلُقَ الِاهْتِدَاءَ فِى قَلْبِ مَنْ أَحْبَبْتَ اهْتِدَاءَهُ فَمَنْ أَحْبَبْتَ اهْتِدَاءَهُ لا تَهْدِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لا يَهْتَدِىَ ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ**﴾ أَىْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ الْهِدَايَةَ فِى الأَزَلِ يَهْتَدِى (**وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾**) أَىْ بَيَّنَّا لَهُمُ الْحَقَّ وَدَلَلْنَاهُمْ عَلَيْهِ وَثَمُودُ قَبِيلَةٌ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ قَبْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَهُمْ قَوْمُ نَبِىِّ اللَّهِ صَالِحٍ (**﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾**) أَىْ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ وَاخْتَارُوا الضَّلالَ وَلَمْ يَقْبَلُوا الإِيمَانَ فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِطُغْيَانِهِمْ أَمَرَ جِبْرِيلَ فَصَاحَ بِهِمْ فَهَلَكُوا (**وَالثَّانـِى مِنْ جِهَةِ هِدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ أَىْ خَلْقِ الِاهْتِدَاءِ فِى قُلُوبِهِمْ**) فَالْهِدَايَةُ بِمَعْنَى خَلْقِ الِاهْتِدَاءِ خَاصَّةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى وَهِىَ (**كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾**) أَىْ يُحَبِّبِ الإِسْلامَ إِلَيْهِ (**﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾**) فَلا يُحَبِّبُ الإِسْلامَ إِلَيْهِ فَلا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُقَ الْهُدَى فِى قَلْبِ عَبْدٍ لا مَلَكٌ وَلا نَبِىٌّ. وَقَوْلُهُ ﴿**وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ**﴾ أَىْ ضَلالَتَهُ ﴿**فَلَنْ تَمْلِكَ**﴾ أَىْ يَا مُحَمَّدُ ﴿**لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**﴾ كَمْ مِنْ أَقَارِبَ لِلرَّسُولِ مَا اسْتَطَاعَ الرَّسُولُ أَنْ يَهْدِىَ قُلُوبَهُمْ فَيُؤْمِنُوا وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**﴾ أَىْ لَسْتَ مُكَلَّفًا بِأَنْ تَجْعَلَهُمْ مُؤْمِنِينَ مُعْتَقِدِينَ قَلْبًا إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَيَانُ. (**وَالإِضْلالُ**) مَعْنَاهُ (**خَلْقُ الضَّلالِ فِى قُلُوبِ أَهْلِ الضَّلالِ**) فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَخْلُقُ الِاهْتِدَاءَ فِى قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَضْلًا مِنْهُ وَكَرَمًا وَيَخْلُقُ الضَّلالَةَ فِى قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ عَدْلًا مِنْهُ لا ظُلْمًا (**فَالْعِبَادُ مَشِيئَتُهُمْ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**) مَعْنَاهُ أَنْتُمْ لا تَكُونُ مِنْكُمْ مَشِيئَةٌ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ يَخْلُقُ فِينَا هَذِهِ الْمَشِيئَةَ ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ أَنَّ مَا شَاءَ أَنْ يَتَنَفَّذَ مِنْ مَشِيئَاتِهِمُ الَّتِى خَلَقَهَا فِيهِمْ يَنْفُذُ وَمَا لَمْ يَشَأْ نُفُوذَهَا لا يَنْفُذُ (**وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَوْضَحِ الأَدِلَّةِ عَلَى ضَلالِ جَمَاعَةِ أَمِين شَيْخُو لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنْ شَاءَ الْعَبْدُ الْهِدَايَةَ يَهْدِيهِ اللَّهُ وَإِنْ شَاءَ الْعَبْدُ الضَّلالَ يُضِلُّهُ اللَّهُ فَمَاذَا يَقُولُونَ فِى هَذِهِ الآيَةِ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ فَإِنَّهَا صَرِيحَةٌ فِى سَبْقِ مَشِيئَةِ اللَّهِ عَلَى مَشِيئَةِ الْعَبْدِ لِأَنَّ اللَّهَ نَسَبَ الْمَشِيئَةَ إِلَيْهِ وَمَا رَدَّهَا إِلَى الْعِبَادِ. فَأُولَئِكَ كَأَنَّهُمْ قَالُوا مَنْ يُرِدِ الْعَبْدُ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ يَشْرَحُ اللَّهُ صَدْرَهُ ثُمَّ قَوْلُهُ ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ فَلا يُمْكِنُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ فِى يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ إِلَى الْعَبْدِ لِأَنَّ هَذَا يَجْعَلُ الْقُرْءَانَ رَكِيكًا ضَعِيفَ الْعِبَارَةِ وَالْقُرْءَانُ أَعْلَى الْبَلاغَةِ لا يُوجَدُ فَوْقَهُ بَلاغَةٌ فَبَانَ بِذَلِكَ جَهْلُهُمُ الْعَمِيقُ وَغَبَاوَتُهُمُ الشَّدِيدَةُ. وَعَلَى مُوجَبِ كَلامِهِمْ يَكُونُ مَعْنَى الآيَةِ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ أَنَّ الْعَبْدَ الَّذِى يُرِيدُ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ يَشْرَحُ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْهُدَى وَهَذَا عَكْسُ اللَّفْظِ الَّذِى أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَهَكَذَا كَانَ اللَّازِمُ عَلَى مُوجَبِ اعْتِقَادِهِمْ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ وَالْعَبْدُ الَّذِى يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ اللَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا وَهَذَا تَحْرِيفٌ لِلْقُرْءَانِ لِإِخْرَاجِهِ عَنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِى نَزَلَ بِهَا الْقُرْءَانُ وَفَهِمَ الصَّحَابَةُ الْقُرْءَانَ عَلَى مُوجَبِهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ الْقُرْءَانَ عَلَى خِلافِ مَا تَفْهَمُهُ هَذِهِ الْفِرْقَةُ اتِّفَاقُ الْمُسْلِمِينَ سَلَفِهِم وَخَلَفِهِمْ عَلَى قَوْلِهِمْ »مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ«**).

## تَقْدِيرُ اللَّهِ لا يَتَغَيَّرُ

(**اعْلَمْ أَنَّ تَقْدِيرَ اللَّهِ تَعَالَى الأَزَلِىَّ لا يُغَيِّرُهُ شَىْءٌ**) فَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا قَدَّرَ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ عِبَادِهِ يُصِيبُهُ كَذَا لا بُدَّ أَنْ يُصِيبَهُ ذَلِكَ الشَّىْءُ (**لا**) يَدْفَعُ ذَلِكَ (**دَعْوَةُ دَاعٍ وَلا صَدَقَةُ مُتَصَدِّقٍ وَلا صَلاةُ مُصَلٍّ**) وَلا صِلَةُ رَحِمٍ وَلا عَمَلُ إِحْسَانٍ لِلأَقَارِبِ (**وَلا غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ بَلْ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْخَلْقُ عَلَى مَا قَدَّرَ لَهُمْ فِى الأَزَلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَغَيَّرَ ذَلِكَ**) وَلا يَجُوزُ أَنْ يَعْتَقِدَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ إِنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَوْ وَصَلَ رَحِمَهُ أَوْ دَعَا دُعَاءً يَنْجُو مِمَّا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُ فَالَّذِى يَدْعُو فِى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ بِنِيَّةِ أَنْ يَسْلَمَ مِمَّا قَدَّرَ اللَّهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ يُصِيبُهُ لا مَحَالَةَ هَذَا كَافِرٌ لِأَنَّهُ جَعَلَ اللَّهَ مُتَغَيِّرَ الْمَشِيئَةِ وَالْعِلْمِ وَتَغَيُّرُ الْعِلْمِ وَالْمَشِيئَةِ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ**﴾ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُ مَشِيئَتَهُ بِاخْتِلافِ الأَزْمَانِ وَالأَحْوَالِ بَلْ مَعْنَاهُ يَخْلُقُ خَلْقًا جَدِيدًا كُلَّ يَوْمٍ يُغَيِّرُ فِى خَلْقِهِ وَلا يَتَغَيَّرُ فِى عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ. وَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَشِيئَتَهُ لِدُعَاءِ دَاعٍ الْحَدِيثُ الَّذِى رَوَاهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَبِى حَاتـِمٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »**سَأَلْتُ رَبِّى لِأُمَّتِى أَرْبَعًا فَأَعْطَانِى ثَلاثًا وَمَنَعَنِى وَاحِدَةً**« الْحَدِيثَ وَفِى رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ »**سَأَلْتُ رَبِّى ثَلاثًا فَأَعْطَانِى ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِى وَاحِدَةً**« وَفِى رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَيْضًا »**وَإِنَّ رَبِّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ**« فَلَوْ كَانَ اللَّهُ يُغَيِّرُ مَشِيئَتَهُ بِدَعْوَةٍ لَغَيَّرَهَا لِحَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا تَتَغَيَّرُ صِفَاتُهُ (**وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَحْوَ وَالإِثْبَاتَ فِى تَقْدِيرِ اللَّهِ بَلِ الْمَعْنَى فِى هَذَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ كَتَبَ مَا يُصِيبُ الْعَبْدَ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْبَلاءِ وَالْحِرْمَانِ وَالْمَوْتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَأَنَّهُ إِنْ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى أَوْ أَطَاعَهُ فِى صِلَةِ الرَّحِمِ وَغَيْرِهَا لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلاءُ وَرَزَقَهُ كَثِيرًا أَوْ عَمَّرَهُ طَوِيلًا وَكَتَبَ فِى أُمِّ الْكِتَابِ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الأَمْرَيْنِ فَالْمَحْوُ وَالإِثْبَاتُ رَاجِعٌ إِلَى أَحَدِ الْكِتَابَيْنِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِىُّ**) فِى كِتَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ (**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قَالَ »يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ أَحَدِ الْكِتَابَيْنِ هُمَا كِتَابَانِ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ« اهـ**) فَقَوْلُ الْبَيْهَقِىِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ »هُمَا كِتَابَانِ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَيُثْبِتُ« فَأَحَدُ الْكِتَابَيْنِ هُوَ الَّذِى كُتِبَ فِى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالآخَرُ هُوَ الَّذِى فِى أَيْدِى الْمَلائِكَةِ الَّذِينَ أُمِرُوا بِالِاسْتِنْسَاخِ مِنَ اللَّوْحِ فَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَّرَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ بِالْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ أَمَّا الشَّافِعِىُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ فَسَّرَهُ بِالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ أَىْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْحُو مَا يَشَاءُ مِنَ الْقُرْءَانِ أَىْ يَرْفَعُ حُكْمَهُ وَيَنْسَخُهُ بِحُكْمٍ لاحِقٍ وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْقُرْءَانِ فَلا يَنْسَخُهُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ أَىْ جُمْلَةُ الْكِتَابِ مَعْنَاهُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْمَمْحُوِّ وَالْمُثْبَتِ وَأَمَّا فِى غَيْرِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِمَّا يَسْتَنْسِخُهُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَكْتُبُهُ الْمَلَكُ فِى أَمْرٍ خَاصٍّ هَذَا فِيهِ ذِكْرُ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ أَىْ أَنَّهُمْ كَتَبُوا فِى صُحُفِهِمْ مَثَلًا فُلانٌ إِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ يَعِيشُ إِلَى الْمِائَةِ وَإِنْ لَمْ يَصِلْ رَحِمَهُ يَعِيشُ إِلَى السِّتِّينَ أَمَّا أَىُّ الأَمْرَيْنِ سَيَقَعُ أَخِيرًا هُمْ لا يَعْرِفُونَ فِى الِابْتِدَاءِ لَيْسَ مَوْكُولًا إِلَى الْمَلائِكَةِ عِلْمُ الْمُسْتَقْبَلِ إِنَّمَا هُمْ يَكْتُبُونَ مَا أُمِرُوا بِهِ وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ لَمْ يُطْلِعْهُ اللَّهُ مِنْهُمْ عَلَى الأَمْرَيْنِ (**وَالْمَحْوُ**) مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي كُتِبَ (**يَكُونُ فِى غَيْرِ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ**) لِأَنَّ الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ لا يَدْخُلُهُمَا الْمَحْوُ وَالإِثْبَاتُ بِاعْتِبَارِ الْمَئَالِ (**فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِىُّ أَيْضًا**) فِى كِتَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ (**عَنْ مُجَاهِدٍ**) تِلْمِيذِ ابْنِ عَبَّاسٍ (**أَنَّهُ قَالَ فِى تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ »يُفْرَقُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ**) كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَىْ كُلُّ أَمْرٍ مُبْرَمٍ أَىْ أَنَّهُ يَكُونُ تَقْسِيمُ الْقَضَايَا الَّتِى تَحْدُثُ لِلْعَالَمِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى مِثْلِهَا فِى الْعَامِ الْمُقْبِلِ (**مَا يَكُونُ فِى**) تِلْكَ (**السَّنَةِ مِنْ رِزْقٍ أَوْ مُصِيبَةٍ**) أَوْ مَوْتٍ أَوْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ أَوْ غِنًى وَغَيْرِ ذَلِكَ (**فَأَمَّا كِتَابُ الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ فَإِنَّهُ ثَابِتٌ لا يُغَيَّرُ« اهـ**) وَهَذَا الْكَلامُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ الْمُبْرَمَ لا يُغَيَّرُ (**فَلِذَلِكَ لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّعَاءُ**) الَّذِى يَعْمَلُ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ فِى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ (**الَّذِى فِيهِ »إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِى فِى أُمِّ الْكِتَابِ عِنْدَكَ شَقِيًّا فَامْحُ عَنِّى اسْمَ الشَّقَاءِ وَأَثْبِتْنِى عِنْدَكَ سَعِيدًا وَإِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِى فِى أُمِّ الْكِتَابِ مَحْرُومًا مُقَتَّرًا عَلَىَّ رِزْقِى فَامْحُ عَنِّى حِرْمَانِى وَتَقْتِيرَ رِزْقِى وَأَثْبِتْنِى عِنْدَكَ سَعِيدًا مُوَفَّقًا لِلْخَيْرِ فَإِنَّكَ تَقُولُ فِى كِتَابِكَ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وَلا مَا أَشْبَهَهُ**) فَيَنْبَغِى تَحْذِيرُهُمْ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا عِنْدَمَا يَقْرَؤُهُ الْجَاهِلُ الَّذِى لَمْ يَتَعَلَّمِ الْعَقِيدَةَ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُ مَشِيئَتَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَاعْتِقَادُ تَغَيُّرِ مَشِيئَةِ اللَّهِ كُفْرٌ لِأَنَّ فِى ذَلِكَ نِسْبَةَ الْحُدُوثِ إِلَى اللَّهِ وَالْحُدُوثُ يُنَافِى الأُلُوهِيَّةَ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ هَذَا الدُّعَاءَ الْمَذْكُورَ يَفْهَمُونَ مِنْهُ إِنْ كَانَ شَاءَ اللَّهُ فِى الأَزَلِ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنَ الْمَصَائِبِ وَيُوَسِّعَ عَلَيْنَا فِى رِزْقِنَا بِدُعَائِنَا فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ يَحْصُلُ لَنَا عَلَى حَسَبِ عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ الأَزَلِيَيْنِ لَمْ يَكُنْ فِى ذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَى الْعَقِيدَةِ لَكِنَّ هَذَا اللَّفْظَ الَّذِى يَقْرَءُونَهُ غَلَطٌ (**وَلَمْ يَصِحَّ هَذَا الدُّعَاءُ أَيْضًا عَنْ عُمَرَ وَلا عَنْ مُجَاهِدٍ وَلا عَنْ غَيْرِهِمَا مِنَ السَّلَفِ كَمَا يُعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ الْقَدَرِ لِلْبَيْهَقِىِّ**) لَكِنْ بَعْضُهُ يُرْوَى عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ وَلَمْ يَثْبُتْ وَبَعْضُهُ يُرْوَى عَنْ مُجَاهِدٍ وَلَمْ يَثْبُتْ (**وَلْيُعْلَمْ أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ وَتَقْدِيرَهُ لا يَتَغَيَّرَانِ لِأَنَّ التَّغَيُّرَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ. وَأَمَّا حَدِيثُ »لا يَرُدُّ الْقَدَرَ شَىْءٌ إِلَّا الدُّعَاءُ« فَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْقَدَرِ الْمُعَلَّقِ لَيْسَ إِلَى الْقَدَرِ الْمُبْرَمِ**).

## تَقْسِيمُ الأُمُورِ إِلَى أَرْبَعَةٍ

(**الأُمُورُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ الأَوَّلُ شَىْءٌ شَاءَهُ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ وَهُوَ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةُ الطَّائِعِينَ وَالثَّانِى شَىْءٌ شَاءَهُ اللَّهُ وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَهُوَ عِصْيَانُ الْعُصَاةِ وَكُفْرُ الْكَافِرِينَ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكُفْرَ مَعَ أَنَّهُ خَلَقَهُ بِمَشِيئَتِهِ وَلا يَرْضَاهُ لِعِبَادِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾**) وَمِنْ جُمْلَةِ الأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ شَاءَ حُصُولَ الْمَعَاصِى قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ أَىْ تُغْرِيهِمْ وَتَدْفَعُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِى وَتُشَهِّيهِمْ فِعْلَهَا، هَذَا دَلِيلٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَنَقْضٌ لِعَقِيدَةِ الْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ اللَّهَ مَا أَرَادَ وُقُوعَ الْمَعَاصِى مِنْ خَلْقِهِ إِنَّمَا هُمْ خَلَقُوهَا بِمَشِيئَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لا يُعْصَى مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ (**وَالثَّالِثُ أَمْرٌ لَمْ يَشَأْهُ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ وَهُوَ الإِيمَانُ بِالنِّسْبَةِ لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ أُمِرُوا بِالإِيمَانِ وَلَمْ يَشَأْهُ لَهُمْ وَالرَّابِعُ أَمْرٌ لَمْ يَشَأْهُ**) اللَّهُ (**وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَهُوَ الْكُفْرُ بِالنِّسْبَةِ لِلأَنْبِيَاءِ وَالْمَلائِكَةِ**) وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الأَمْرَ غَيْرُ الْمَشِيئَةِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِالْوَحْىِ الْمَنَامِىِّ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَمَنَامُ الأَنْبِيَاءِ حَقٌّ وَحْىٌ مِنَ اللَّهِ لَكِنْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَنْذَبِحَ إِسْمَاعِيلُ بَلْ فُدِىَ إِسْمَاعِيلُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ أَىْ بِكَبْشٍ جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ مِنَ الْجَنَّةِ (**وَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْقُرْءَانِ الْكَرِيمِ فَلْيَقِفْ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾**) فَاللَّهُ تَعَالَى لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ أَىِ الْعِبَادُ يُسْأَلُونَ فَلا يَجُوزُ أَنْ نَقِيسَ اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِنَا، نَحْنُ نَتَصَرَّفُ بِمَا أَذِنَ بِهِ الشَّرْعُ فَإِذَا خَرَجْنَا عَنْ ذَلِكَ الإِذْنِ تَكُونُ عَلَيْنَا مَسْئُولِيَّةٌ أَمَّا هُوَ فَلا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ أَمْرٌ (**فَلا يُقَالُ كَيْفَ يُعَذِّبُ الْعُصَاةَ عَلَى مَعَاصِيهِمُ الَّتِى شَاءَ وُقُوعَهَا مِنْهُمْ**) بِاخْتِيَارِهِمْ (**فِى الآخِرَةِ**) فَمَنْ قَالَ هَذَا يُعَدُّ مُعْتَرِضًا عَلَى اللَّهِ وَالْمُعْتَرِضُ عَلَى اللَّهِ كَافِرٌ وَأَمَّا إِذَا أَرَادَ وَاحِدٌ أَنْ يَفْهَمَ الْحِكْمَةَ لِيَرُدَّ عَلَى الْمُفْسِدِينَ وَلَيْسَ إِنْكَارًا فَقَالَ لِمَاذَا شَاءَ اللَّهُ كُفْرَ الْكَافِرِينَ وَقَدْ كَتَبَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ حَرَامًا. أَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَيُقَالُ لَهُ اللَّهُ يَتَصَرَّفُ فِى مِلْكِهِ الَّذِى هُوَ يَمْلِكُهُ حَقِيقَةً لا مَجَازًا فَكَيْفَ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ.

## تَوْحِيدُ اللَّهِ فِي الْفِعْلِ

التَّوْحِيدُ هُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ فِى ذَاتِهِ وَاحِدٌ فِى صِفَاتِهِ وَاحِدٌ فِى فِعْلِهِ وَمَعْنَى اللَّهُ وَاحِدٌ فِى ذَاتِهِ أَنَّ ذَاتَهُ لَيْسَ مُرَكَّبًا يَقْبَلُ الِانْقِسَامَ لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحَدِّ، وَمَعْنَى تَوْحِيدُ اللَّهِ فِى صِفَاتِهِ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ لا تُشْبِهُ صِفَاتِ غَيْرِهِ، وَأَمَّا تَوْحِيدُهُ فِى الأَفْعَالِ فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَفْعَلُ بِمَعْنَى الإِخْرَاجِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَلا فَاعِلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا اللَّهُ وَقَدْ (**رُوِىَ عَنِ الْجُنَيْدِ إِمَامِ الصُّوفِيَّةِ الْعَارِفِينَ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ قَالَ »الْيَقِينُ« ثُمَّ اسْتُفْسِرَ عَنْ مَعْنَاهُ فَقَالَ »إِنَّهُ لا مُكَوِّنَ لِشَىْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ مِنَ الأَعْيَانِ وَالأَعْمَالِ خَالِقٌ لَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى«**) وَمَعْنَى الْيَقِينِ شُهُودُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ بِالْقَلْبِ فَلْيَجْعَلِ الْمُؤْمِنُ هَذَا عَقْدَ قَلْبِهِ وَلْيُكْثِرْ مِنْ شُهُودِ هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى يَكُونَ مُوَحِّدًا لِلَّهِ تَعَالَى تَوْحِيدًا شُهُودِيًّا فِى جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَفِى جَمِيعِ حَالاتِهِ فَتَهُونَ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ وَالْخَوْفُ مِنَ الْعِبَادِ (**قَالَ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾**) وَمَعْنَى ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ**﴾ أَىْ خَلَقَ ذَوَاتِكُمْ ﴿**وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ أَىْ أَعْمَالَكُمْ حَرَكَاتِكُمْ وَسَكَنَاتِكُمْ هُوَ خَلَقَهَا وَنِيَّاتُنَا هُوَ خَلَقَهَا (**وَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »إِنَّ اللَّهَ صَانِعُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ« رَوَاهُ الْحَاكِمُ**) فِى الْمُسْتَدْرَكِ (**وَالْبَيْهَقِىُّ**) فِى شُعَبِ الإِيمَانِ (**مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ**) وَالصَّنْعَةُ فِى هَذَا الْحَدِيثِ الْمُرَادُ بِهَا الْعَمَلُ الَّذِى يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ حَرَكَاتُهُ وَسُكُونُهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ عَامِلٍ وَعَمَلِهِ وَفِى هَذَا إِبْطَالٌ لِقَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ بِقُدْرَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ فِيهِ (**إِذِ الْعِبَادُ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَإِنَّمَا يَكْتَسِبُونَهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ تَمَدَّحَ تَعَالَى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ شَىْءٌ يَخْتَصُّ بِهِ وَذَلِكَ يَقْتَضِى الْعُمُومَ وَالشُّمُولَ لِلأَعْيَانِ وَالأَعْمَالِ وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ**) فَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُ أَجْسَامِنَا وَحَرَكَاتِنَا وَسَكَنَاتِنَا وَغَيْرِهَا مِنْ كُلِّ فِعْلٍ ظَاهِرِىٍّ وَكُلِّ صِفَةٍ بَاطِنِيَّةٍ كَالتَّفْكِيرِ وَالْخَوَاطِرِ الَّتِى تَخْطُرُ بِبَالِ الْعَبْدِ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَهَا وَكُلِّ كَائِنٍ دَخَلَ فِى الْوُجُودِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ خَالِقَ ذَلِكَ كُلِّهِ بَلْ كَانَ خَالِقَ الأَجْسَامِ فَقَطْ لَمْ يَكُنْ فِى ذَلِكَ تَمَدُّحٌ لَهُ لِأَنَّهُ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَا يَخْلُقُهُ الْعِبَادُ أَكْثَرُ مِمَّا يَخْلُقُهُ اللَّهُ (**وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ﴾**) أَىْ يَا مُحَمَّدُ (**﴿إِنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**) وَمَعْنَاهُ أَعْلِمْ قَوْمَكَ بِأَنَّكَ لا تُشْرِكُ بِاللَّهِ لا فِى صَلاتِكَ وَلا فِى نُسُكِكَ وَالنُّسُكُ هُوَ مَا يُذْبَحُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ مِنَ الذَّبِيحَةِ كَالأُضْحِيَّةِ كَذَلِكَ فِى الْحَجِّ إِذَا أَخَذَ الإِنْسَانُ مِنْ بَلَدِهِ إِبِلًا أَوْ بَقَرًا أَوْ غَنَمًا فَذَبَحَهُ ضِمْنَ حُدُودِ الْحَرَمِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ فَهَذَا الذَّبْحُ لِلَّهِ أَىْ مِلْكٌ لِلَّهِ وَخَلْقٌ لَهُ وَمَحْيَاىَ أَىْ حَيَاتِى وَمَمَاتِى مِلْكٌ لِلَّهِ لا أُشْرِكُ بِهِ فِى ذَلِكَ شَيْئًا (**سَاقَ اللَّهُ الصَّلاةَ وَالنُّسُكَ وَالْمَحْيا وَالْمَمَاتَ فِى مَسَاقٍ وَاحِدٍ وَجَعَلَهَا مِلْكًا لَهُ فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ**) وَهُمَا مِنَ الأَفْعَالِ غَيْرِ الِاخْتِيَارِيَّةِ (**كَذَلِكَ اللَّهُ خَالِقٌ لِلأَعْمَالِ الِاخْتِيَارِيَّةِ كَالصَّلاةِ وَالنُّسُكِ وَالْحَرَكَاتِ الِاضْطِرَارِيَّةِ مِنْ بَابِ الأَوْلَى**) وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ مَعْنَاهُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الدِّينِ دِينِ التَّوْحِيدِ مِنْ بَيْنِ هَؤُلاءِ الْبَشَرِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فِى هَذَا الزَّمَنِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الْبَشَرِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرُهُ أَىْ أَنَا أَوَّلُ مُسْلِمِى هَذِهِ الأُمَّةِ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ مُسْلِمٌ عَلَى الإِطْلاقِ. فَإِذًا الأَعْمَالُ الِاخْتِيَارِيَّةُ وَغَيْرُ الِاخْتِيَارِيَّةِ خَلْقٌ وَمِلْكٌ لِلَّهِ (**وَإِنَّمَا تَمْتَازُ الأَعْمَالُ الِاخْتِيَارِيَّةُ أَىِ الَّتِى لَنَا فِيهَا مَيْلٌ بِكَوْنِهَا مُكْتَسَبَةً لَنَا فَهِىَ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ**) أَىْ هِىَ الَّتِى يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَى فِعْلِهَا فَمَا كَانَ مِنْهَا خَيْرًا يُثَابُ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ مِنْهَا شَرًّا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ (**وَالْكَسْبُ الَّذِى هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ وَعَلَيْهِ يُثَابُ أَوْ يُؤَاخَذُ فِى الآخِرَةِ هُوَ تَوْجِيهُ الْعَبْدِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ نَحْوَ الْعَمَلِ أَىْ يَصْرِفُ إِلَيْهِ قُدْرَتَهُ فَيَخْلُقُهُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ**) وَيُقَالُ الْكَسْبُ أَمْرٌ دُونَ الْخَلْقِ وَهُوَ الْعَزْمُ الْمُصَمَّمُ عَلَى فِعْلِ الشَّىْءِ (**فَالْعَبْدُ كَاسِبٌ لِعَمَلِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقٌ لِعَمَلِ هَذَا الْعَبْدِ الَّذِى هُوَ كَسْبٌ لَهُ وَهُوَ**) أَىِ الْكَسْبُ عَلَى مَفْهُومِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ شَىْءٌ غَامِضٌ (**مِنْ أَغْمَضِ الْمَسَائِلِ فِى هَذَا الْعِلْمِ**) أَىْ عِلْمِ الْكَلامِ (**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾**) أَىْ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ أَىْ تَنْتَفِعُ بِذَلِكَ (**﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾**) أَىْ مِنَ الْمَعَاصِى أَىْ عَلَيْهَا وَبَالُ مَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاصِى أَىْ تَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ فَفِى هَذِهِ الآيَةِ إِثْبَاتُ الْكَسْبِ لِلْعَبْدِ. فَكُلُّ أَعْمَالِ الْعَبْدِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ أَىْ هُوَ يُوجِدُهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَلا يُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ شَىْءٌ (**فَلَيْسَ الإِنْسَانُ مَجْبُورًا لِأَنَّ الْجَبْرَ يُنَافِى التَّكْلِيفَ**) فَلَوْ كَانَ مَجْبُورًا لَمْ يَكُنْ مُكَلَّفًا وَالْمَجْبُورُ هُوَ مَنْ لا اخْتِيَارَ لَهُ يَعْنُونَ بِالْمَجْبُورِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الرِّيشَةِ الْمُعَلَقَّةِ فِى الْهَوَاءِ تَأْخُذُهَا الرِّيَاحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ لَهَا فِى ذَلِكَ فَلَوْ كَانَ الْعَبْدُ مِثْلَ هَذِهِ الرِّيشَةِ لَمْ يُؤْمَرْ بِالأَوَامِرِ وَلَمْ يُنْهَ عَنِ الْمَنَاهِى. وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَبْرِيَّةُ طَائِفَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ تَبَايُنًا شَدِيدًا فَالْجَبْرِيَّةُ تَقُولُ الْعَبْدُ مَجْبُورٌ كَالرِّيشَةِ الْمُعَلَّقَةِ فِى الْهَوَاءِ وَالْمُعْتَزِلَةُ تَقُولُ الْعَبْدُ يَخْلُقُ أَعْمَالَ نَفْسِهِ اسْتِقْلالًا بِقُدْرَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ فِيهِ وَأَهْلُ السُّنَّةِ لا مِنْ هَؤُلاءِ وَلا مِنْ هَؤُلاءِ بَلْ هُمْ وَسَطٌ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ. أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ الإِنْسَانُ لَمَّا يُقْدِمُ عَلَى الشَّىْءِ بِاخْتِيَارِهِ أَىْ بِمَيْلِهِ فَهُوَ مُخْتَارٌ ظَاهِرًا لَكِنْ إِنْ نَظَرْنَا إِلَى أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ الَّذِى هُوَ طَاعَةٌ أَوْ غَيْرُهَا فَلا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَهُ لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ لا يَتَغَيَّرُ فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى هَذَا الْمَعْنَى نَجِدُ الْعِبَادَ مُخْتَارِينَ ظَاهِرًا مَجْبُورِينَ بَاطِنًا، الْعِبَادُ مُخْتَارُونَ اخْتِيَارًا مَمْزُوجًا بِجَبْرٍ فَالإِنْسَانُ لَهُ اخْتِيَارٌ تَابِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ مُخْتَارٌ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ. وَيُقَالُ الْعَبْدُ مُخْتَارٌ لا مَجْبُورٌ فِى الأَعْمَالِ التَّكْلِيفِيَّةِ (**وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الْحَقُّ وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ أَىْ مَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ. وَيَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَعْمَالَهُ كَالْمُعْتَزِلَةِ**) لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا الْقُرْءَانَ كَذَّبُوا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ**﴾ وَءَايَاتٍ كَثِيرَةً وَهُمْ يَقُولُونَ اللَّهُ خَالِقُ الأَعْيَانِ أَىِ الأَجْسَامِ فَقَطْ وَالأَعْمَالُ خَلَقَهَا الْعَبْدُ وَتَسَتَّرُوا بِقَوْلِ »بِقُدْرَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ فِيهِ «وَلا يَنْفَعُهُمْ قَوْلُهُمْ هَذَا وَهُمْ قَائِلُونَ بِاسْتِقْلالِ الْعَبْدِ فِى أَفْعَالِهِ حَتَّى قَالَ مُتَأَخِّرُوهُمْ »إِنَّ اللَّهَ كَانَ قَادِرًا عَلَى خَلْقِ حَرَكَاتِنَا وَسَكَنَاتِنَا قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَنَا الْقُدْرَةَ عَلَيْهَا فَلَمَّا أَعْطَانَا الْقُدْرَةَ عَلَيْهَا صَارَ عَاجِزًا عَنْهَا« ذَكَرَ هَذَا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَأَبُو سَعِيدٍ الْمُتَوَلِّى وَأَبُو الْحَسَنِ شِيثُ بنُ إِبْرَاهِيمَ فِى كِتَابِهِ الَّذِى أَلَّفَهُ فِى الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَسَمَّاهُ حَزَّ الْغَلاصِمِ فِى إِفْحَامِ الْمُخَاصِمِ وَغَيْرُهُمْ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُعْتَزِلَةُ جَعَلَتِ اللَّهَ كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ أَدْخَلْتُهُ دَارِى فَأَخْرَجَنِى مِنْهَا فَهَلْ بَعْدَ هَذَا تَرَدُّدٌ فِى تَكْفِيرِهِمْ وَالأَمْرُ (**كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »كَلامُ الْقَدَرِيَّةِ كُفْرٌ«**) أَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِى تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ (**وَالْقَدَرِيَّةُ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ قَالَ أَبُو يُوسُفَ**) الْقَاضِى صَاحِبُ أَبِى حَنِيفَةَ وَأَكْبَرُ تَلامِيذِهِ عِلْمًا (»**الْمُعْتَزِلَةُ زَنَادِقَةٌ«**) وَالزِّنْدِيقُ مَنْ لا دِينَ لَهُ أَىِ الْمُلْحِدُ الَّذِى لا يَتَمَسَّكُ بِدِينٍ فَالْمُعْتَزِلَةُ مِثْلُ أُولَئِكَ (**وَوَصَفَهُمْ أَبُو مَنْصُورٍ التَّمِيمِىُّ فِى كِتَابِهِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ. وَأَبُو مَنْصُورٍ هُوَ الَّذِى قَالَ فِيهِ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِىُّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ »وَقَالَ الإِمَامُ الْكَبِيرُ إِمَامُ أَصْحَابِنَا أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِىُّ« وَهُوَ مِمَّنْ كَتَبَ عَنْهُ الْبَيْهَقِىُّ فِى الْحَدِيثِ**) وَلَيْسَ هُوَ فَقَطْ مَنْ كَفَّرَ الْمُعْتَزِلَةَ بَلْ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ كَفَّرَهُمْ وَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يُكَفِّرُوهُمْ فَقَلِيلٌ لا يُؤْخَذُ بِقَوْلِهِمْ كَصَاحِبِ كِتَابِ الإِقْنَاعِ بِشَرْحِ أَبِى شُجَاعٍ. وَالصَّوَابُ الَّذِى لا مَحِيدَ عَنْهُ مَا قَالَهُ الإِمَامُ الْحَافِظُ الْبُلْقِينِىُّ إِنَّ مَنْ ثَبَتَتْ عَنْهُ قَضِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ تَقْتَضِى تَكْفِيرَهُ لا تَصِحُّ الصَّلاةُ خَلْفَهُ قَالَ الْبُلْقِينِىُّ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّافِعِىِّ »أَقْبَلُ شَهَادَةَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ إِلَّا الْخَطَّابِيَّة« عَنَى الشَّافِعِىُّ بِقَوْلِهِ »أَهْلِ الأَهْوَاءِ« مَنْ خَالَفُوا أَهْلَ السُّنَّةِ فِى الِاعْتِقَادِ تُقْبَلُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ مَا لَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ تَقْتَضِى كُفْرَهُ وَغَلِطَ مَنْ عَمَّمَ عَدَمَ تَكْفِيرِ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَطْلَقَهُ بِلا تَفْصِيلٍ فَقَالُوا تَصِحُّ الْقُدْوَةُ بِالْمُعْتَزِلَةِ فِى الصَّلاةِ وَلَيْسَ هَذَا اعْتِقَادَ الشَّافِعِىِّ لِأَنَّهُ كَفَّرَ حَفْصًا الْفَرْدَ وَهُوَ مُعْتَزِلِىٌّ لِأَنَّهُ ثَبَتَتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ تَقْتَضِى كُفْرَهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ نَاظَرَهُ فِى قَوْلِهِمُ الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ بِالْمَعْنَى الَّذِى هُوَ مُعْتَقَدُهُمْ أَنَّهُ لا كَلامَ لِلَّهِ إِلَّا هَذَا اللَّفْظَ الْقُرْءَانِىَّ الَّذِى هُوَ حُرُوفٌ (**وَلا تَغْتَرَّ بِعَدَمِ تَكْفِيرِ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ لَهُمْ، فَقَدْ نَقَلَ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ التَّمِيمِىُّ الْبَغْدَادِىُّ فِى كِتَابِهِ أُصُولُ الدِّينِ وَكَذَلِكَ فِى كِتَابِهِ تَفْسِيرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ تَكْفِيرَهُمْ عَنِ الأَئِمَّةِ. قَالَ فِى كِتَابِهِ تَفْسِيرُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ »أَصْحَابُنَا أَجْمَعُوا عَلَى تَكْفِيرِ الْمُعْتَزِلَةِ« أَىِ الَّذِينَ يَقُولُونَ الْعَبْدُ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ الِاخْتِيَارِيَةَ وَكَذَلِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ فَرْضٌ عَلَى اللَّهِ أَنَّ يَفْعَلَ مَا هُوَ الأَصْلَحُ لِلْعِبَادِ**) وَمِنْهُمْ مَنْ لا يَقُولُ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَ نَفْسِهِ وَإِنَّمَا يُشَارِكُونَ الْمُعْتَزِلَةَ بِاعْتِقَادَاتٍ أُخْرَى كَالْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ لا يُرَى فِى الآخِرَةِ وَأَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ يُخَلَّدُ فِى النَّارِ لا يَخْرُجُ مِنْهَا لا هُوَ مُؤْمِنٌ وَلا هُوَ كَافِرٌ وَيُنْكِرُونَ الشَّفَاعَةَ وَلَهُمْ أَقْوَالٌ أُخْرَى هُمْ مُتَأَوِّلُونَ فِيهَا لَمْ يُكَفَّرُوا بِهَا (**وَقَوْلُهُ أَصْحَابُنَا يَعْنِى بِهِ الأَشْعَرِيَّةَ وَالشَّافِعِيَّةَ لِأَنَّهُ أَشْعَرِىٌّ شَافِعِىٌّ بَلْ هُوَ رَأْسٌ كَبِيرٌ فِى الشَّافِعِيَّةِ كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ وَهُوَ إِمَامٌ مُقَدَّمٌ فِى النَّقْلِ مَعْرُوفٌ بِذَلِكَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ وَالأُصُولِيِّينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ أَلَّفُوا فِى الْفِرَقِ فَمَنْ أَرَادَ مَزِيدَ التَّأَكُّدِ فَلْيُطَالِعْ كُتُبَهُ هَذِهِ فَلا يُدَافَعُ نَقْلُهُ بِكَلامِ الْبَاجُورِىِّ** **وَأَمْثَالِهِ مِمَّنْ هُوَ مِنْ قَبْلِ عَصْرِهِ أَوْ بَعْدَهُ**) فَالْبَاجُورِىُّ كَلامُهُ لا يُقَاوِمُ نَقْلَ أَبِى مَنْصُورٍ التَّمِيمِىِّ الَّذِى أَلَّفَ كِتَابَهُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْفِرَقِ لِيُبَيِّنَ الْفِرَقَ الْمَوْجُودَةَ فِى الدُّنْيَا وَبَيَّنَ أَدْيَانَهُمْ وَعَقَائِدَهُمْ فَالْبَاجُورِىُّ لا شَىْءَ بِالنِّسْبَةِ لِأَبِى مَنْصُورٍ (**وَأَمَّا كَلامُ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ تَرْكِ تَكْفِيرِهِمْ فَمَحْمُولٌ عَلَى مِثْلِ بِشْرٍ الْمِرِّيسِىِّ وَالْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِىِّ فَإِنَّ بِشْرًا كَانَ مُوَافِقَهُمْ فِى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْءَانِ وَكَفَّرَهُمْ فِى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الأَفْعَالِ**) وَالْمَأْمُونُ الْعَبَّاسِىُّ إِنَّمَا لَمْ يُكَفِّرُوهُ لِأَنَّهُمْ مَا فَهِمُوا مُرَادَهُ مِنْ قَوْلِهِ الْقُرْءَانُ مَخْلُوقٌ وَلَوْ فَهِمُوا مِنْهُ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ كَلامَ اللَّهِ الَّذِى هُوَ صِفَتُهُ مَخْلُوقٌ لَكَفَّرُوهُ لِأَنَّ هَذَا لا شَكَّ فِى كُفْرِ قَائِلِهِ (**فَلا يُحْكَمُ عَلَى جَمِيعِ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى الِاعْتِزَالِ بِحُكْمٍ وَاحِدٍ وَيُحْكَمُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ بِكَوْنِهِ ضَالًّا**) لِأَنَّ كُلَّ مَنْ خَرَجَ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِى الْمُعْتَقَدِ يُسَمَّى ضَالًّا.

**الدَّلِيلُ الْعَقْلِىُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ**

(**قَالَ أَهْلُ الْحَقِّ »امْتَنَعَ خَلْقُ الْعَبْدِ لِفِعْلِهِ لِعُمُومِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ وَعِلْمِهِ«**) مَعْنَاهُ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ عَامَّةٌ وَإِرَادَتَهُ عَامَّةٌ فَكَيْفَ لا يَكُونُ عَمَلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقًا لِلَّهِ فَالْمُعْتَزِلَةُ تَقُولُ اللَّهُ مَا لَهُ تَصَرُّفٌ فِى الْعِبَادِ إِنَّمَا هُمْ يَخْلُقُونَ أَعْمَالَهُمُ الِاخْتِيَارِيَّةَ أَىِ الَّتِى يَعْمَلُونَهَا عَمْدًا وَكَلامُهُمْ هَذَا مَرْدُودٌ، يُقَالُ لَهُمْ قُدْرَةُ اللَّهِ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ وَإِرَادَتُهُ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ فَكَيْفَ تَكُونُ خَاصَّةً بِالأَجْسَامِ دُونَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارِيَّةِ هَذَا لا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ لِأَنَّ مَعْنَى كَلامِكُمْ هَذَا أَنَّهُ يُوجَدُ شَىْءٌ خَصَّ قُدْرَةَ اللَّهِ عَنْ أَنْ تَكُونَ شَامِلَةً لِكُلِّ شَىْءٍ وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ مَحْكُومٌ لِغَيْرِهِ جَعَلْتُمْ لَهُ مُخَصِّصًا خَصَّصَهُ بِبَعْضِ الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ دُونَ بَعْضٍ وَكُلُّ شَىْءٍ لَهُ مُخَصِّصٌ مُحْتَاجٌ لِذَلِكَ الْمُخَصِّصِ، إِذًا عَلَى قَوْلِكِمُ اللَّهُ لَهُ مُخَصِّصٌ وَالَّذِى لَهُ مُخَصِّصٌ مُحْدَثٌ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحُدُوثِ فَبَطَلَ قَوْلُكُمْ (**وَبَيَانُ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ عَامَّةٌ وَعِلْمَهُ عَامٌّ وَإِرَادَتَهُ عَامَّةٌ فَإِنَّ نِسْبَتَهَا إِلَى الْمُمْكِنَاتِ نِسْبَةٌ وَاحِدَةٌ**) أَىْ نِسْبَةُ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَاحِدَةٌ أَىْ نِسْبَةُ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى أَجْسَامِنَا وَنِسْبَةُ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى أَعْمَالِنَا وَاحِدَةٌ يُقَالُ لَهُمْ كَيْفَ جَعَلْتُمْ قُدْرَةَ اللَّهِ خَاصَّةً بِأَجْسَامِنَا فَقَطْ دُونَ أَعْمَالِنَا (**فَإِنَّ وُجُودَ الْمُمْكِنِ الْعَقْلِىِّ إِنَّمَا احْتَاجَ إِلَى**) الإِلَهِ (**الْقَادِرِ مِنْ حَيْثُ إِمْكَانُهُ وَحُدُوثُهُ**) أَىْ لِأَنَّهُ مُمْكِنٌ عَقْلِىٌّ حَادِثٌ وَكُلُّ حَادِثٍ لَهُ مُحْدِثٌ فَإِذًا كُلُّ جَائِزٍ عَقْلِىٍّ كُلُّ مُمْكِنٍ عَقْلِىٍّ تَتَعَلَّقُ بِهِ قُدْرَةُ اللَّهِ فَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ لِكُلِّ مُمْكِنٍ عَقْلِىٍّ وَأَعْمَالُنَا مِنَ الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ فَلا يَجُوزُ أَنْ نَجْعَلَ قُدْرَةَ اللَّهِ مُتَعَلِّقَةً بِبَعْضِ الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ دُونَ بَعْضٍ (**فَلَوْ تَخَصَّصَتْ صِفَاتُهُ هَذِهِ بِبَعْضِ الْمُمْكِنَاتِ لَلَزِمَ اتِّصَافُهُ تَعَالَى بِنَقِيضِ تِلْكَ الصِّفَاتِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْعَجْزِ وَذَلِكَ نَقْصٌ وَالنَّقْصُ عَلَيْهِ مُحَالٌ**) أَىْ لَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لا يَخْلُقُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارِيَّةَ وَيَخْلُقُ مَا سِوَى ذَلِكَ لَاقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ مُخَصِّصٌ يُخَصِّصُهُ بِشَىْءٍ دُونَ شَىْءٍ وَذَلِكَ يُؤَدِّى إِلَى الْعَجْزِ وَالْمَغْلُوبِيَّةِ (**وَلَاقْتَضَى تَخَصُّصُهَا مُخَصِّصًا وَتَعَلَّقَ الْمُخَصِّصُ بِذَاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ وَصِفَاتِهِ وَذَلِكَ مُحَالٌ**) أَىْ لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُونَ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى قَاصِرَةٌ عَلَى بَعْضِ الْمُمْكِنَاتِ الْعَقْلِيَّةِ دُونَ بَعْضٍ أَىْ لَوْ كَانَتْ قَاصِرَةً عَلَى أَجْسَامِنَا دُونَ أَعْمَالِنَا لَاقْتَضَى ذَلِكَ شَيْئًا خَصَّصَ قُدْرَةَ اللَّهِ وَكَانَ ذَلِكَ يَقْتَضِى تَعَلُّقَ الْمُخَصِّصِ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا لا يَجُوزُ لِأَنَّهُ مُحَالٌ عَقْلِىٌّ (**فَإِذًا ثَبَتَ عُمُومُ صِفَاتِهِ**) عُمُومُ قُدْرَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ فَاللَّهُ خَالِقٌ لِكُلِّ أَعْمَالِنَا الِاخْتِيَارِيَّةِ وَغَيْرِ الِاخْتِيَارِيَّةِ هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ (**فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى إِيجَادَ حَادِثٍ وَأَرَادَ الْعَبْدُ خِلافَهُ وَنَفَذَ مُرَادُ الْعَبْدِ دُونَ مُرَادِ اللَّهِ**) يَعْنِى أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ مُتَعَلِّقَةً بِبَعْضِ الْمُمْكِنَاتِ دُونَ بَعْضٍ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ (**لَلَزِمَ الْمُحَالُ الْمَفْرُوضُ فِى إِثْبَاتِ إِلَهَيْنِ وَتَعَدُّدُ الإِلَهِ مُحَالٌ بِالْبُرْهَانِ فَمَا أَدَّى إِلَى الْمُحَالِ مُحَالٌ**) فَلَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ شَىْءٌ لا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّ أَحَدَهُمَا أَرَادَ أَنْ يُوجَدَ شَىْءٌ وَالآخَرَ أَرَادَ أَنْ لا يُوجَدَ فَإِنْ نَفَذَ مُرَادُ هَذَا وَلَمْ يَنْفُذْ مُرَادُ ذَاكَ فَالَّذِى لَمْ يَنْفُذْ مُرَادُهُ صَارَ عَاجِزًا وَالْعَاجِزُ لا يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ إِلَهًا فَبَطَلَ تَعَدُّدُ الإِلَهِ وَبَطَلَ قَوْلُهُمْ بِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى لا تَشْمَلُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ الِاخْتِيَارِيَّةَ.

## إِثْبَاتُ أَنَّ الأَسْبَابَ الْعَادِيَّة لا تُؤَثِّرُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا الْمُؤَثِّرُ الْحَقِيقِىُّ هُوَ اللَّهُ

(**ذَكَرَ الْحَاكِمُ صَاحِبُ الْمُسْتَدْرَكِ فِى تَارِيخِ نَيْسَابُورَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا يَحْيَى بنَ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِىَّ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ عِيسَى بنَ مُحَمَّدِ بنِ عِيسَى الطَّهْمَانِىَّ الْمَرْوَزِىَّ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُظْهِرُ مَا شَاءَ إِذَا شَاءَ مِنَ الآيَاتِ**) أَىِ الْعَلامَاتِ الَّتِى تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الإِسْلامِ (**وَالْعِبَرِ**) أَىْ مَا يُعْتَبَرُ بِهِ أَىْ مَا يُؤْخَذُ مِنْهُ قُوَّةُ عَقِيدَةِ الإِيمَانِ (**فِي بَرِيَّتِهِ**) أَىْ خَلْقِهِ (**فَيَزِيدُ الإِسْلامَ بِهَا عِزًّا وَقُوَّةً وَيُؤَيِّدُ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ وَيَنْشُرُ أَعْلامَ**) أَىْ دَلائِلَ (**النُّبُوَّةِ وَيُوضِحُ دِلالَةَ الرِّسَالَةِ وَيُوثِقُ عُرَى الإِسْلامِ**) وَالْعُرَى مَعْنَاهُ الْحَبْلُ عِنْدَمَا يَكُونُ فِى وَسَطِهِ عُقَدٌ (**وَيُثْبِتُ حَقَائِقَ الإِيمَانِ مَنًّا**) أَىْ فَضْلًا (**مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَزِيَادَةً فِى الْبُرْهَانِ بِهِمْ وَحُجَّةً عَلَى مَنْ عَانَدَ فِى طَاعَتِهِ وَأَلْحَدَ فِى دِينِهِ**) أَىْ حَتَّى يَكُونَ حُجَّةً عَلَى الَّذِينَ تَرَكُوا طَاعَتَهُ بِتَرْكِ الإِيمَانِ بِهِ (**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**) أَىْ حَتَّى يَهْلِكَ الْهَالِكُونَ عَنْ بَيِّنَةٍ أَىْ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَيَحْيَا مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ أَىْ حَتَّى يُؤْمِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالدَّلِيلِ يَكُونُ صَارَ مَعَهُمْ دَلِيلٌ بَعْدَ رُؤْيَتِهِمْ لِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الآيَاتِ وَالْعِبَرِ (**فَلَهُ الْحَمْدُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ذُو الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ**) أَىِ الْقَوِيَّةِ مَعْنَاهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ (**وَالْعِزِّ الْقَاهِرِ**) أَىْ لَهُ عِزٌّ قَاهِرٌ عِزٌّ يَغْلِبُ أَعْدَاءَهُ، اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَزِيزُ مَعْنَاهُ الَّذِى يَغْلِبُ وَلا يُغْلَبُ (**وَالطَّوْلِ الْبَاهِرِ**) أَىِ الْفَضْلِ الْقَوِىِّ (**وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِىِّ الرَّحْمَةِ وَرَسُولِ الْهُدَى وَعَلَيْهِ وَعَلَى ءَالِهِ الطَّاهِرِينَ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَإِنَّ مِمَّا أَدْرَكْنَا عِيَانًا وَشَاهَدْنَاهُ فِى زَمَانِنَا وَأَحَطْنَا عِلْمًا بِهِ**) أَىْ تَحَقَّقْنَا مِنْهُ (**فَزَادَنَا يَقِينًا فِى دِينِنَا وَتَصْدِيقًا لِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا وَدَعَا إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فَرَغَّبَ فِيهِ مِنَ الْجِهَادِ مِنْ فَضِيلَةِ الشُّهَدَاءِ**) مَعْنَاهُ يُحَبِّبُ إِلَى النَّاسِ الشَّهَادَةَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ (**وَبَلَّغَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ إِذْ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾**) الْمَعْنَى أَنَّ مِمَّا يَزِيدُ بِالشَّهَادَةِ لِصِحَّةِ هَذِهِ الآيَةِ الَّتِى تُثْبِتُ أَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ أَىْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ بَعْدَ أَنْ يُقْتَلُوا لِأَنَّ أَجْسَادَهُمْ تَحْيَا فِى الْقَبْرِ لِأَنَّ أَثَرَ الرُّوحِ يَعُودُ إِلَيْهَا (**أَنِّى وَرَدْتُ فِى سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلاثِينَ وَمِائَتَيْنِ مَدِينَةً مِنْ مَدَائِنِ خُوَارِزْمَ تُدْعَى هَزَارَاسْبَ**) قَالَ يَاقُوتُ فِى مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ مَعْنَاهَا بالْفَارِسِيَّةِ أَلْفُ فَرَسٍ (**وَهِىَ فِى غَرْبِىِّ وَادِى جَيْحُونَ وَمِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْعُظْمَى مَسَافَةُ نِصْفِ يَوْمٍ**) أَىْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَاصِمَةِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ نِصْفُ يَوْمٍ (**وَخُبِّرْتُ أَنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الشُّهَدَاءِ رَأَتْ رُؤْيَا كَأَنَّهَا أُطْعِمَتْ فِى مَنَامِهَا شَيْئًا فَهِىَ لا تَأْكُلُ شَيْئًا وَلا تَشْرَبُ مُنْذُ عَهْدِ أَبِى الْعَبَّاسِ بنِ طَاهِرٍ وَالِى خُرَاسَانَ وَكَانَ تُوُفِّىَ قَبْلَ ذَلِكَ بِثَمَانِ سِنِينَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ**) وَأَبُو الْعَبَّاسِ بنُ طَاهِرٍ كَانَ حَاكِمًا فِى خُرُاسَانَ مِنْ قِبَلِ الْعَبَّاسِيِّينَ. الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِىُّ كَانَ حَاكِمًا فِى ذَلِكَ الزَّمَنِ (**ثُمَّ مَرَرْتُ بِتِلْكَ الْمَدِينَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ**) يَعْنِى بَعْدَ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ (**فَرَأَيْتُهَا وَحَدَّثَتْنِى بِحَدِيثِهَا فَلَمْ أَسْتَقْصِ عَلَيْهَا**) يَعْنِى مَا تَتَبَّعْتُ خَبَرَهَا إِنَّمَا هِىَ حَدَّثَتْنِى لَكِنْ أَنَا لَمْ أَبْحَثُ مَعَهَا فِى أَمْرِهَا (**لِحَدَاثَةِ سِنِّى ثُمَّ إِنِّى عُدْتُ إِلَى خُوَارِزْمَ فِى ءَاخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فَرَأَيْتُهَا بَاقِيَةً وَوَجَدْتُ حَدِيثَهَا شَائِعًا مُسْتَفِيضًا**) يَعْنِى بَعْدَ أَنْ مَضَى أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ مِنْ سَمَاعِ خَبَرِهَا مَرَّ هَذَا الشَّيْخُ الطَّهْمَانِىُّ فَوَجَدَ خَبَرَهَا مُسْتَفِيضًا أَىْ ظَاهِرًا بَيْنَ النَّاسِ مُنْتَشِرًا مَشْهُورًا أَىْ شَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهَا لا تَأْكُلُ وَلا تَشْرَبُ (**وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ عَلَى مَدْرَجَةِ الْقَوَافِلِ**) أَىِ الْمُسَافِرُونَ يَمُرُّونَ بِهَا (**وَكَانَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ نَزَلَهَا إِذَا بَلَغَهُمْ قِصَّتُهَا أَحَبُّوا أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهَا**) أَىِ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ إِلَى تِلْكَ الْبَلْدَةِ وَيَسْمَعُونَ خَبَرَهَا يُرِيدُونَ أَنْ يَرَوْهَا وَيَتَحَقَّقُوا مِنْ هَذَا الأَمْرِ (**فَلا يَسْأَلُونَ عَنْهَا رَجُلًا وَلا امْرَأَةً وَلا غُلامًا إِلَّا عَرَفَهَا وَدَلَّ عَلَيْهَا**) مَعْنَاهُ أَهْلُ الْبَلَدِ يَعْرِفُونَهَا الذُّكُورُ وَالإِنَاثُ يَعْرِفُونَهَا وَيَدُلُّونَ عَلَيْهَا (**فَلَمَّا وَافَيْتُ النَّاحِيَةَ طَلَبْتُهَا فَوَجَدْتُهَا غَائِبَةً عَلَى عِدَّةِ فَرَاسِخَ فَمَضَيْتُ فِى أَثَرِهَا**) يَعْنِى لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مُسَافِرَةٌ إِلَى مَسَافَةِ عِدَّةِ فَرَاسِخَ مَضَيْتُ فِى أَثَرِهَا وَالْفَرْسَخُ الْوَاحِدُ ثَلاثَةُ أَمْيَالٍ تَقْرِيبًا أَىْ مَسَافَةُ سَاعَةٍ وَنِصْفٍ مَشْيًا تَقْرِيبًا (**مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فَأَدْرَكْتُهَا بَيْنَ قَرْيَتَيْنِ تَمْشِى مِشْيَةً قَوِيَّةً فَإِذَا هِىَ امْرَأَةٌ نَصَفٌ**) مَعْنَاهُ عُمْرُهَا مُتَوَسِّطٌ أَىْ نَحْوُ الثَّلاثِينَ (**جَيِّدَةُ الْقَامَةِ حَسَنَةُ** **الْبَدَنِ ظَاهِرَةُ الدَّمِ مُتَوَرِّدَةُ الْخَدَّيْنِ ذَكِيَّةُ الْفُؤَادِ**) يَعْنِى لَبِيبَة (**فَسَايَرَتْنِى**) مَعْنَاهُ سَارَتْ مَعِى (**وَأَنَا رَاكِبٌ فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا مَرْكَبًا فَلَمْ تَرْكَبْهُ**) مَعْنَاهُ هُوَ رَاكِبٌ وَهِىَ مَاشِيَةٌ فَعَرَضَ عَلَيْهَا مَرْكَبًا أَىْ دَابَّةً تَرْكَبُهَا فَلَمْ تَقْبَلْ (**وَأَقْبَلَتْ تَمْشِى مَعِى بِقُوَّةٍ**) أَىْ مَشْيُهَا كَانَ مِشْيَةَ إِنْسَانٍ قَوِىٍّ (**وَحَضَرَ مَجْلِسِى قَوْمٌ مِنَ التُّجَّارِ وَالدَّهَاقِينَ وَفِيهِمْ فَقِيهٌ يُسَمَّى مُحَمَّدَ بنَ حَمْدَوَيْه الْحَارِثِىَّ**) أَىْ كَانَ فِى هَذَا الْمَجْلِسِ عَالِمٌ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بنُ حَمْدَوَيْه (**وَقَدْ كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى ابْنُ هَارُونَ الْبَزَّارُ بِمَكَّةَ**) وَمُوسَى بنُ هَارُونَ كَانَ أَخَذَ عَنْ هَذَا الْفَقِيهِ عِلْمَ الْحَدِيثِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ عِلْمِ الْحَدِيثِ (**[وَهُوَ] كَهْلٌ لَهُ عِبَادَةٌ وَرِوَايَةٌ لِلْحَدِيثِ، وَشَابٌّ حَسَنٌ يُسَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ وَكَانَ يُحَلِّفُ أَصْحَابَ الْمَظَالِمِ بِنَاحِيَتِهِ**) أَىْ أَنَّهُ كَانَ مُوَظَّفًا يُحَلِّفُ أَصْحَابَ الشَّكَاوَى (**فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهَا فَأَحْسَنُوا الثَّنَاءَ عَلَيْهَا وَقَالُوا عَنْهَا خَيْرًا وَقَالُوا إِنَّ أَمْرَهَا ظَاهِرٌ عِنْدَنَا فَلَيْسَ فِينَا مَنْ يَخْتَلِفُ فِيهَا، قَالَ الْمُسَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ أَنَا أَسْمَعُ حَدِيثَهَا مُنْذُ أَيَّامِ الْحَدَاثَةِ**) أَىْ مُنْذُ الصِّغَرِ (**وَنَشَأْتُ وَالنَّاسُ يَتَفَاوَضُونَ فِى خَبَرِهَا وَقَدْ فَرَّغْتُ بَالِى لَهَا وَشَغَلْتُ نَفْسِىَ بِالِاسْتِقْصَاءِ عَلَيْهَا فَلَمْ أَرَ إِلَّا سَتْرًا وَعَفَافًا**) أَىْ مَا رَأَيْتُ مِنْهَا إِلَّا شَيْئًا حَسَنًا (**وَلَمْ أَعْثُرْ لَهَا عَلَى كَذِبٍ فِى دَعْوَاهَا وَلا حِيلَةٍ فِى التَّلْبِيسِ وَذَكَرَ أَنَّ مَنْ كَانَ يَلِى خُوَارِزْمَ مِنَ الْعُمَّالِ**) أَىِ الْحُكَّامِ (**كَانُوا فِيمَا خَلا يَسْتَحْضِرُونَهَا وَيَحْصُرُونَهَا الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ وَالأَكْثَرَ فِى بَيْتٍ يُغْلِقُونَهُ عَلَيْهَا**) يَعْنِى يَحْبِسُونَهَا فِى مَكَانٍ الشَّهْرَ وَالشَّهْرَيْنِ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَتَحَقَّقُوا أَنَّهَا لا تَأْكُلُ وَلا تَشْرَبُ (**وَيُوَكِّلُونَ مَنْ يُرَاعِيهَا**) أَىْ يُوَكِّلُونَ مَنْ يُرَاقِبُ هَلْ يَأْخُذُ لَهَا أَحَدٌ طَعَامًا وَشَرَابًا (**فَلا يَرَوْنَهَا تَأْكُلُ وَلا تَشْرَبُ وَلا يَجِدُونَ لَهَا أَثَرَ بَوْلٍ وَلا غَائِطٍ فَيَبَرُّونَهَا**) أَىْ يُحْسِنُونَ إِلَيْهَا (**وَيَكْسُونَهَا**) أَىْ يُعْطُونَهَا اللِّبَاسَ (**وَيُخْلُونَ سَبِيلَهَا**) أَىْ يَتْرُكُونَهَا (**فَلَمَّا تَوَاطَأَ أَهْلُ النَّاحِيَةِ عَلَى تَصْدِيقِهَا اسْتَقْصَصْتُهَا عَنْ حَدِيثِهَا وَسَأَلْتُهَا عَنِ اسْمِهَا وَشَأْنِهَا كُلِّهِ فَذَكَرَتْ أَنَّ اسْمَهَا رَحْمَةُ بِنْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَّهُ كَانَ لَهَا زَوْجٌ نَجَّارٌ فَقِيرٌ مَعِيشَتُهُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ يَوْمًا فَيَوْمًا**) أَىْ كَانَ يُحَصِّلُ مَصْرُوفَ يَوْمٍ ثُمَّ مَصْرُوفَ الْيَوْمِ الَّذِى بَعْدَهُ كُلَّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ (**لا فَضْلَ فِى كَسْبِهِ عَنْ قُوتِ أَهْلِهِ وَأَنَّهَا وَلَدَتْ لَهُ عِدَّةَ أَوْلادٍ وَجَاءَ الأَقْطَعُ مَلِكُ التُّرْكِ**) وَكَانَ هَؤُلاءِ كُفَّارًا فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ (**إِلَى الْقَرْيَةِ فَعَبَرَ الْوَادِىَ عِنْدَ جُمُودِهِ إِلَيْنَا فِى زُهَاءِ ثَلاثَةِ ءَالافِ فَارِسٍ**) أَىْ فِى قَدْرِ ثَلاثَةِ ءَالافِ مُقَاتِلٍ جَاءَ إِلَيْهِمْ لَمَّا كَانَ النَّهْرُ جَمَدَ فِى الشِّتَاءِ لِأَنَّ هَذَا النَّهْرَ فِى الشِّتَاءِ يَصِيرُ جَامِدًا مِثْلَ الأَرْضِ يُمْشَى عَلَيْهِ (**وَأَهْلُ خُوَارِزْمَ يَدْعُونَهُ كَسْرَى. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَالأَقْطَعُ هَذَا كَانَ كَافِرًا عَاتِيًا**) أَىْ مُتَكَبِّرًا شَدِيدَ الظُّلْمِ (**شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ**) أَىْ يَكْرَهُ الْمُسْلِمِينَ جِدًّا (**قَدْ أَثَّرَ عَلَى أَهْلِ الثُّغُورِ**) أَىْ عَلَى أَهْلِ الْمَوَاضِعِ الَّتِى تَلِى جِهَةَ الْكُفَّاِر (**وَأَلَحَّ عَلَى أَهْلِ خُوَارِزْمَ بِالسَّبْىِ وَالْقَتْلِ وَالْغَارَاتِ وَكَانَ وُلاةُ خُرَاسَانَ يَتَأَلَّفُونَهُ** **وَأَشْبَاهَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الأَعَاجِمِ لِيَكُفُّوا غَارَاتِهِمْ عَنِ الرَّعِيَّةِ وَيَحْقِنُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ**) أَىْ كَانُوا يُصَادِقُونَهُ حَتَّى لا يَعْمَلَ هُجُومًا فَيَقْتُلَ الْمُسْلِمِينَ لِيَحْفَظُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ (**فَيَبْعَثُونَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِأَمْوَالٍ وَأَلْطَافٍ كَثِيرَةٍ وَأَنْوَاعٍ مِنْ فَاخِرِ الثِّيَابِ**) أَىْ كَانُوا يُعْطُونَهُمْ مِنَ الأَمْوَالِ حَتَّى يَكُفُّوا شَرَّهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ (**وَإِنَّ هَذَا الْكَافِرَ اسْتَاءَ فِى بَعْضِ السِّنِينَ عَلَى السُّلْطَانِ وَلا أَدْرِى لِمَ ذَاكَ أَسْتَبْطَأَ الْمَبَارَّ عَنْ وَقْتِهَا أَمِ اسْتَقَلَّ مَا بُعِثَ إِلَيْهِ فِى جَنْبِ مَا بُعِثَ إِلَى نُظَرَائِهِ مِنَ الْمُلُوكِ**) مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الْكَافِرَ اسْتَاءَ إِمَّا لِأَنَّهُ انْقَطَعَ عَنْهُ مَا كَانُوا فِى الأَوَّلِ يُعْطُونَهُ إِيَّاهُ أَوِ اسْتَقَلَّ فَقَالَ كَيْفَ أَعْطَوْنِى هَذَا الْقَدْرَ الْقَلِيلَ لِهَذَا جَاءَ إِلَيْهِمْ (**فَأَقْبَلَ فِى جُنُودِهِ وَاسْتَعْرَضَ الطُّرُقَ**) أَىْ مَنَعَ النَّاسَ مِنَ الْمُرُورِ (**فَعَاثَ وَأَفْسَدَ وَقَتَلَ وَمَثَّلَ فَعَجَزَ عَنْهُ خُيُولُ خُوَارِزْمَ وَبَلَغَ خَبَرُهُ أَبَا الْعَبَّاسِ عَبْدَ اللَّهِ بنَ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَأَنْهَضَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةً مِنَ الْقُوَّادِ**) أَىْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةً مِنَ الْقُوَّادِ (**طَاهِرَ بنَ إِبْرَاهِيمَ بنِ مُدْرِكَ وَيَعْقُوبَ بنَ مَنْصُورِ ابْنِ طَلْحَةَ وَمِيكَالَ مَوْلَى طَاهِرٍ وَهَارُونَ الْعَيَّاضَ وَشَحَنَ الْبَلَدَ بِالْعَسَاكِرِ وَالأَسْلِحَةِ وَرَتَّبَهُمْ فِى أَرْبَاعِ الْبَلَدِ كُلٌّ فِى رُبْعٍ فَحَمَوِا الْحَرِيـمَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ إِنَّ وَادِى جَيْحُونَ وَهُوَ الَّذِى فِى أَعْلَى نَهْرِ بَلْخٍ جَمَدَ لَمَّا اشْتَدَّ الْبَرْدُ وَهُوَ وَادٍ عَظِيمٌ شَدِيدُ الطُّغْيَانِ كَثِيرُ الآفَاتِ**) أَىْ يُتْلِفُ الزَّرْعَ (**وَإِذَا امْتَدَّ كَانَ عَرْضُهُ نَحْوًا مِنْ فَرْسَخٍ وَإِذَا جَمَدَ انْطَبَقَ فَلَمْ يُوصَلْ مِنْهُ إِلَى شَىْءٍ حَتَّى يُحْفَرَ فِيهِ كَمَا تُحْفَرُ الآبَارُ فِى الصُّخُورِ وَقَدْ رَأَيْتُ كِثَفَ الْجَمَدِ عَشَرَةَ أَشْبَارٍ وَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَى يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ شِبْرًا وَإِذَا هُوَ انْطَبَقَ صَارَ الْجَمَدُ جِسْرًا لِأَهْلِ الْبَلَدِ تَسِيرُ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ وَالْعَجَلُ**) أَىِ الْحُمُولُ (**وَالْقَوَافِلُ فَيَنْظِمُ مَا بَيْنَ الشَّاطِئَيْنِ وَرُبَّمَا دَامَ الْجَمَدُ مِائَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَإِذَا قَلَّ الْبَرْدُ فِى عَامٍ بَقِىَ سَبْعِينَ يَوْمًا إِلَى نَحْوِ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ. قَالَتِ الْمَرْأَةُ فَعَبَرَ الْكَافِرُ فِى خَيْلِهِ إِلَى بَابِ الْحِصْنِ وَقَدْ تَحَصَّنَ النَّاسُ وَضَمُّوا أَمْتِعَتَهُمْ وَصَبَّحُوا الْمُسْلِمِينَ**) أَىْ هَاجَمُوهُمْ صَبَاحًا (**وَأَضَرُّوا بِهِمْ فَحُصِرَ مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ النَّاحِيَةِ وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ فَمَنَعَهُمُ الْعَامِلُ**) أَىِ الْحَاكِمُ (**دُونَ أَنْ تَتَوَافَى عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ وَتَتَلاحَقَ الْمُتَطَوِّعَةُ فَشَدَّ طَائِفَةٌ مِنْ شُبَّانِ النَّاسِ وَأَحْدَاثِهِمْ فَتَقَارَبُوا مِنَ السُّورِ بِمَا أَطَاقُوا حَمْلَهُ مِنَ السِّلاحِ**) مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلِقَاءِ هَذَا الْكَافِرِ ثُمَّ بَعْضُ الشَّبَابِ تَحَمَّسُوا فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ لِضَرْبِهِ (**وَحَمَلُوا عَلَى الْكَفَرَةِ فَتَهَارَجَ الْكَفَرَةُ**) أَىْ تَظَاهَرُوا بِالْخَوْفِ (**وَاسْتَجَرُّوهُمْ مِنْ بَيْنِ الأَبْنِيَةِ وَالْحِيطَانِ فَلَمَّا أَصْحَرُوا كَرَّ التُّرْكُ عَلَيْهِمْ**) مَعْنَاهُ لَمَّا صَارُوا فِى الصَّحْرَاءِ أَىْ لَمَّا خَرَجُوا إِلَى الْبَرِّيَّةِ كَرَّ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ التُّرْكِ لَمْ يُسْلِمُوا فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ (**وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِى مِثْلِ الْحَرَجَةِ**) أَىْ كَالشَّجَرَةِ تَكُونُ بَيْنَ الأَشْجَارِ لا تَصِلُ إِلَيْهَا الآكِلَةُ الَّتِى تَرْعَى (**فَتَحَصَّنُوا وَاتَّخَذُوا دَارَةً يُحَارِبُونَ مِنْ وَرَائِهَا وَانْقَطَعَ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحِصْنِ وَبَعُدَتِ الْمَعُونَةُ عَنْهُمْ فَحَارَبُوا** **كَأَشَدِّ حَرْبٍ وَثَبَتُوا حَتَّى** **تَقَطَّعَتِ الأَوْتَارُ وَالْقِسِىُّ**) وَالأَوْتَارُ جَمْعُ وَتَرٍ مَعْرُوفٍ يَكُونُ لِلْقَوْسِ وَالْقِسِىُّ جَمْعُ قَوْسٍ (**وَأَدْرَكَهُمُ التَّعَبُ وَمَسَّهُمُ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَقُتِلَ مُعْظَمُهُمْ وَأُثْخِنَ الْبَاقُونَ بِالْجِرَاحَاتِ**) مَعْنَاهُ مَاتَ أَكْثَرُهُمْ وَالآخَرُونَ أُثْخِنُوا مَعْنَاهُ أَصَابَهُمْ جِرَاحَاتٌ شَدِيدَةٌ وَلَكِنْ لَمْ يَمُوتُوا (**وَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ**) أَىْ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ (**تَحَاجَزَ الْفَرِيقَانِ**) أَىْ هَؤُلاءِ تَوَقَّفُوا عَنْ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ تَوَقَّفُوا عَنْ هَؤُلاءِ (**قَالَتِ الْمَرْأَةُ وَرُفِعَتِ النَّارُ عَلَى الْمَنَاظِرِ**) أَىْ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ (**سَاعَةَ عُبُورِ الْكَافِرِ فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِالْجُرْجَانِيَّةِ وَهِىَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ فِى قَاصِيَةِ خُوَارِزْمَ**) أَىْ فِى أَطْرَافِهَا (**وَكَانَ مِيكَالُ مَوْلَى طَاهِرٍ بِهَا فِى عَسْكَرٍ فَخَفَّ فِى الطَّلَبِ**) أَىْ أَسْرَعَ (**هَيْبَةً لِلأَمِيرِ أَبِى الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ طَاهِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَكَضَ إِلَى هَزَارَاسْبَ فِى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعِينَ فَرْسَخًا بِفَرَاسِخِ خُوَارِزْمَ وَفِيهَا فَضْلٌ كَثِيرٌ عَلَى فَرَاسِخِ خُرَاسَانَ**) يَعْنِى أَنَّ فَرَاسِخَ فَرَاسِخِهِمْ تَزِيدُ عَلَى فَرَاسِخِ تِلْكَ الْبِلادِ (**وَغَدَا التُّرْكُ لِلْفَرَاغِ مِنْ أَمْرِ أُولَئِكَ النَّفَرِ**) أَىِ الْجَمَاعَةِ (**فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذِ ارْتَفَعَتْ لَهُمُ الأَعْلامُ السُّودُ وَسَمِعُوا أَصْوَاتَ الطُّبُولِ فَأَفْرَجُوا عَنِ الْقَوْمِ**) مَعْنَاهُ الْكُفَّارُ هَرَبُوا لَمَّا رَأَوِا الْجَيْشَ الإِسْلامِىَّ قَادِمًا (**وَوَافَى مِيكَالُ**) أَىْ حَضَرَ مِيكَالُ (**مَوْضِعَ الْمَعْرَكَةِ فَوَارَى الْقَتْلَى وَحَمَلَ الْجَرْحَى**) أَىْ دَفَنَ الْقَتْلَى الَّذِينَ مَاتُوا وَالْجَرْحَى حَمَلَهُمْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِى كَانُوا فِيهِ إِلَى مَكَانِ الْمُدَاوَاةِ (**قَالَتِ الْمَرْأَةُ وَأُدْخِلَ الْحِصْنَ عَلَيْنَا عَشِيَّةَ ذَلِكَ زُهَاءُ أَرْبَعِمِائَةِ جَنَازَةٍ فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ إِلَّا حُمِلَ إِلَيْهَا قَتِيلٌ وَعَمَّتِ الْمُصِيبَةُ وَارْتَجَّتِ النَّاحِيَةُ بِالْبُكَاءِ. قَالَتْ وَوُضِعَ زَوْجِى بَيْنَ يَدَىَّ قَتِيلًا فَأَدْرَكَنِى مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ**) أَىِ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ وَالْبُكَاءِ (**عَلَيْهِ مَا يُدْرِكُ الْمَرْأَةَ الشَّابَّةَ عَلَى زَوْجِهَا أَبِى الأَوْلادِ وَكَانَتْ لَنَا عِيَالٌ. قَالَتْ فَاجْتَمَعَ النِّسَاءُ مِنْ قَرَابَاتِى وَالْجِيرَانُ يُسْعِدْنَنِى عَلَى الْبُكَاءِ**) أَىْ يُسَاعِدْنَنِى عَلَى الْحُزْنِ أَىْ يُوَاسُونَهَا (**وَجَاءَ الصِّبْيَانُ وَهُمْ أَطْفَالٌ لا يَعْقِلُونَ مِنَ الأَمْرِ شَيْئًا**) أَىْ لا يُدْرِكُونَ مَعْنَى هَذِهِ الْمُصِيبَةِ (**يَطْلُبُونَ الْخُبْزَ وَلَيْسَ عِنْدِى مَا أُعْطِيهِمْ فَضِقْتُ صَدْرًا بِأَمْرِى ثُمَّ إِنِّى سَمِعْتُ أَذَانَ الْمَغْرِبِ فَفَزِعْتُ إِلَى الصَّلاةِ**) أَىْ قُمْتُ إِلَى الصَّلاةِ وَلَجَأْتُ إِلَيْهَا وَهَذِهِ عَلامَةٌ عَلَى أَنَّهَا تَقِيَّةٌ (**فَصَلَّيْتُ مَا قَضَى لِى رَبِّى ثُمَّ سَجَدْتُ أَدْعُو وَأَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْأَلُهُ الصَّبْرَ وَأَنْ يَجْبُرَ يُتْمَ صِبْيَانِى فَذَهَبَ بِىَ النَّوْمُ فِى سُجُودِى فَرَأَيْتُ فِى مَنَامِى كَأَنِّى فِى أَرْضٍ خَشْنَاءَ ذَاتِ حِجَارَةٍ وَأَنَا أَطْلُبُ زَوْجِى فَنَادَانِى رَجُلٌ إِلَى أَيْنَ أَيَّتُهَا الْحُرَّةُ قُلْتُ أَطْلُبُ زَوْجِى فَقَالَ خُذِى ذَاتَ الْيَمِينِ قَالَتْ فَأَخَذْتُ ذَاتَ الْيَمِينِ فَرُفِعَ لِى أَرْضٌ سَهْلَةٌ**) أَىْ رَأَيْتُ أَرْضًا سَهْلَةً (**طَيِّبَةُ الرَّىِّ ظَاهِرَةُ الْعُشْبِ وَإِذَا قُصُورٌ وَأَبْنِيَةٌ لا أَحْفَظُ أَنْ أَصِفَهَا وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا**) أَىْ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا (**وَإِذَا أَنْهَارٌ تَجْرِى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بِغَيْرِ أَخَادِيدَ**) أَىْ لَيْسَتْ فِى وِهَادٍ عَمِيقَةٍ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْهَا الْمَاءُ بِسُهُولَةٍ (**لَيْسَ لَهَا حَافَاتٌ فَانْتَهَيْتُ إِلَى قَوْمٍ جُلُوسٍ حَلَقًا حَلَقًا**) مَعْنَاهُ يَجْلِسُونَ فِى دَوَائِرَ (**عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ خُضْرٌ قَدْ عَلاهُمُ النُّورُ فَإِذَا هُمُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى الْمَعْرَكَةِ يَأْكُلُونَ عَلَى مَوَائِدَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَجَعَلْتُ أَتَخَلَّلُهُمْ وَأَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُمْ**) أَىْ أَتَأَمَّلُهَا (**أَبْغِى زَوْجِى لِكَىْ يَنْظُرَنِى فَنَادَانِى يَا رَحْمَةُ يَا رَحْمَةُ فَيَمَّمْتُ الصَّوْتَ**) أَىْ تَبِعْتُ وَقَصَدْتُ صَوْتَهُ (**فَإِذَا بِهِ فِى مِثْلِ حَالِ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ الشُّهَدَاءِ وَجْهُهُ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَهُوَ يَأْكُلُ مَعَ رُفْقَةٍ لَهُ قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ مَعَهُ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ إِنَّ هَذِهِ الْبَائِسَةَ جَائِعَةٌ مُنْذُ الْيَوْمَ أَفَتَأْذَنُونَ لِى أَنْ أُنَاوِلَهَا شَيْئًا تَأْكُلُهُ فَأَذِنُوا لَهُ فَنَاوَلَنِى كِسْرَةَ**) أَىْ قِطْعَةَ (**خُبْزٍ قَالَتْ وَأَنَا أَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ خُبْزٌ وَلَكِنْ لا أَدْرِى كَيْفَ يُخْبَزُ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَاللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَالسُّكَّرِ وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ وَالسَّمْنِ**) أَىْ طَرَوَاتُهُ أَشَدُّ مِنْ طَرَاوَةِ الزُّبْدِ وَالسَّمْنِ (**فَأَكَلْتُهُ فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِى جَوْفِى قَالَ اذْهَبِى كَفَاكِ اللَّهُ مَؤُونَةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مَا حَيِيْتِ فِى الدُّنْيَا فَانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمِى شَبْعَى رَيَّا لا أَحْتَاجُ إِلَى طَعَامٍ وَلا شَرَابٍ وَمَا ذُقْتُهُمَا مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِى هَذَا وَلا شَيْئًا يَأْكُلُهُ النَّاسُ. وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَكَانَتْ تَحْضُرُنَا وَكُنَّا نَأْكُلُ فَتَتَنَحَّى وَتَأْخُذُ عَلَى أَنْفِهَا تَزْعُمُ أَنَّهَا تَتَأَذَّى مِنْ رَائِحَةِ الطَّعَامِ فَسَأَلْتُهَا أَتَتَغَذَّى بِشَىْءٍ أَوْ تَشْرَبُ شَيْئًا غَيْرَ الْمَاءِ فَقَالَتْ لا، فَسَأَلْتُهَا هَلْ يَخْرُجُ مِنْهَا رِيحٌ أَوْ أَذًى كَمَا يَخْرُجُ مِنَ النَّاسِ قَالَتْ لا عَهْدَ لِى بِالأَذَى مُنْذُ ذَلِكَ الزَّمَانِ قُلْتُ وَالْحَيْضُ أَظُنُّهَا قَالَتِ انْقَطَعَ بِانْقِطَاعِ الطُّعْمِ**) أَىِ الطَّعَامِ (**قُلْتُ هَلْ تَحْتَاجِينَ حَاجَةَ النِّسَاءِ إِلَى الرِّجَالِ قَالَتْ أَمَا تَسْتَحِى مِنِّى تَسْأَلُنِى عَنْ مِثْلِ هَذَا قُلْتُ إِنِّى لَعَلِّى أُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْكِ وَلا بُدَّ أَنْ أَسْتَقْصِىَ قَالَتْ لا أَحْتَاجُ قُلْتُ فَتَنَامِينَ قَالَتْ نَعَمْ أَطْيَبَ نَوْمٍ قُلْتُ فَمَا تَرَيْنَ فِى مَنَامِكِ قَالَتْ مِثْلَمَا تَرَوْنَ قُلْتُ فَتَجِدِينَ لِفَقْدِ الطَّعَامِ وَهْنًا فِى نَفْسِكِ قَالَتْ مَا أَحْسَسْتُ بِجُوعٍ مُنْذُ طَعِمْتُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَكَانَتْ تَقْبَلُ الصَّدَقَةَ فَقُلْتُ لَهَا مَا تَصْنَعِينَ بِهَا قَالَتْ أَكْتَسِى وَأَكْسُو وَلَدِى قُلْتُ فَهَلْ تَجِدِينَ الْبَرْدَ وَتَتَأَذَّيْنَ بِالْحَرِّ قَالَتْ نَعَمْ قُلْتُ فَهَلْ يُدْرِكُكِ كَلَل اللُّغُوبِ وَالإِعْيَاءِ**) أَىِ التَّعَبِ (**إِذَا مَشَيْتِ قَالَتْ نَعَمْ أَلَسْتُ مِنَ الْبَشَرِ قُلْتُ فَتَتَوَضَّئِينَ لِلصَّلاةِ قَالَتْ نَعَمْ قُلْتُ لِمَ قَالَتْ أَمَرَنِى الْفُقَهَاءُ بِذَلِكَ قُلْتُ إِنَّهُمْ أَفْتَوْهَا عَلَى حَدِيثِ »لا وُضُوءَ إِلَّا مِنْ حَدَثٍ أَوْ نَوْمٍ» وَذَكَرَتْ لِى أَنَّ بَطْنَهَا لاصِقٌ بِظَهْرِهَا فَأَمَرْتُ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِنَا فَنَظَرَتْ**) أَىْ إِلَى غَيْرِ الْعَوْرَة (**فَإِذَا بَطْنُهَا كَمَا وَصَفَتْ وَإِذَا قَدِ اتَّخَذَتْ كِيسًا فَضَمَّتِ الْقُطْنَ وَشَدَّتْهُ عَلَى بَطْنِهَا كَىْ لا يَنْقَصِفَ ظَهْرُهَا إِذَا مَشَتْ ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَخْتَلِفُ إِلَى هَزَارَاسْبَ بَيْنَ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلاثِ فَتَحْضُرُنِى فَأُعِيدُ مَسْأَلَتَهَا فَلا تَزِيدُ وَلا تَنْقُصُ وَعَرَضْتُ كَلامَهَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْفَقِيهِ فَقَالَ أَنَا أَسْمَعُ هَذَا الْكَلامَ مُنْذُ نَشَأْتُ فَلا أَجِدُ مَنْ يَدْفَعُهُ أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَّهَا تَأْكُلُ أَوْ تَشْرَبُ أَوْ تَتَغَوَّطُ. انْتَهَى**) قَالَ الذَّهَبِىُّ فِى السِّيَرِ وَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيحَةٌ فَسُبْحَانَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ.

(**فَهَذِهِ الْقِصَّةُ فِيهَا أَنْ لا تَلازُمَ عَقْلِىٌّ بَيْنَ فُقْدَانِ الأَكْلِ وَبَيْنَ الْمَرَضِ وَذَهَابِ الصِّحَّةِ وَانْهِدَامِ الْبُنْيَةِ وَكَذَلِكَ سَائِرُ الأَسْبَابِ الْعَادِيَّةِ يَصِحُّ عَقْلًا أَنْ تَتَخَلَّفَ مَفْعُولاتُهَا**) لِأَنَّهُ لا تَلازُمَ عَقْلِىٌّ بَيْنَ الأَسْبَابِ وَمُسَبَّبَاتِهَا مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ إِنَّمَا هِىَ أَسْبَابٌ يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهَا الْمُسَبَّبَاتِ يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ الأَكْلِ الشِّبَعَ وَعِنْدَ الشُّرْبِ الرِّىَّ وَقَدْ لا يَخْلُقُ الشِّبَعَ وَالرِّىَّ عِنْدَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَقَدْ يَحْصُلُ ضَرَرٌ بِخَلْقِ اللَّهِ بِتَرْكِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَقَدْ لا يَحْصُلُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ تَرَكَتِ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ زَمَانًا طَوِيلًا فَلَمْ تَنْضَرَّ وَأَكْثَرُ النَّاسِ إِذَا تَرَكُوا الأَكْلَ وَالشُّرْبَ لِأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ أَيَّامٍ يَمُوتُونَ مِنَ الْجُوعِ فَيُعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الأَسْبَابَ لا تَخْلُقُ شَيْئًا الأَكْلُ لا يَخْلُقُ الشِّبَعَ وَتَرْكُ الأَكْلِ لا يَخْلُقُ الضَّرَرَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى يَخْلُقُ الشِّبَعَ عِنْدَ الأَكْلِ وَيَخْلُقُ الضَّرَرَ عِنْدَ تَرْكِ الأَكْلِ إِنْ شَاءَ. وَكَذَلِكَ النَّارُ إِذَا مَسَّتْ شَيْئًا يَخْلُقُ اللَّهُ الإِحْرَاقَ عِنْدَ مُمَاسَّةِ ذَلِكَ الشَّىْءِ لِلنَّارِ وَقَدْ لا يَخْلُقُ اللَّهُ ذَلِكَ كُلٌّ عَلَى حَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ الأَزَلِيَّةِ فَهَذَا سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ رَمَاهُ قَوْمُهُ فِى النَّارِ الْعَظِيمَةِ فَلَمْ تُحْرِقْهُ وَلا ثِيَابَهُ وَإِنَّمَا أَحْرَقَتِ الْقَيْدَ الَّذِى قَيَّدُوهُ بِهِ وَكَانَتِ النَّارُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلامًا. كُلُّ هَذَا فِيهِ دَلائِلُ عَلَى أَنَّ الأَسْبَابَ لا تَخْلُقُ مُسَبَّبَاتِهَا (**وَأَنَّ الأَشْيَاءَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ**)هَذِهِ الْقِصَّةُ الَّتِى حَصَلَتْ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ فِيهَا دِلالَةٌ عَلَى (**أَنَّ الشُّهَدَاءَ لَهُمْ حَيَاةٌ بَرْزَخِيَّةٌ**) أَىْ فِى مُدَّةِ الْقَبْرِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، الشَّهِيدُ فِيهِ حَيَاةٌ رُوحُهُ الَّتِى فِى الْجَنَّةِ مُتَّصِلَةٌ بِهِ وَيُحِسُّ بِلَذَّةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الَّذِى يَأْكُلُهُ الرُّوحُ فِى الْجَنَّةِ يَصِلُ إِلَيْهِ فَيَظَلُّ فِيهِ دَمٌ لَوْ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ جُرِحَ يَطْلَعُ مِنْهُ دَمٌ (**فَسُبْحَانَ الْقَدِيرِ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ**).

**تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ**

(**لا يُعْفَى الْجَاهِلُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الأُصُولِ وَلا يُعْذَرُ فِيمَا يَقَعُ مِنْهُ مِنَ الْكُفْرِ لِعَدَمِ اهْتِمَامِهِ بِالدِّينِ**) فَالْجَاهِلُ إِذَا كَانَ لا يَعْرِفُ أَنَّ سَبَّ اللَّهِ كُفْرٌ فَسَبَّ اللَّهَ لا يُقَالُ هَذَا مَعْذُورٌ لا يَكْفُرُ لِأَنَّهُ جَهِلَ الْحُكْمَ لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالْكُفْرِ بِسَبَبِ جَهْلِهِ هَكَذَا قَالَ الْمَالِكِيَّةُ كَالْقَاضِى عِيَاضٍ وَابْنُ حَجَرٍ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَكَذَا الْحَنَفِيَّةُ بَلْ قَالَ بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ وَالْقَوْلُ بِأَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْكُفْرِ عَامِدًا لَكِنْ يَجْهَلُ الْحُكْمَ إِنَّهُ يُعْذَرُ خِلافُ الصَّحِيحِ أَىْ قَوْلٌ لا يُعْتَبَرُ فَهُوَ كَالْعَدَمِ (**وَلَوْ كَانَ الْجَهْلُ يُسْقِطُ الْمُؤَاخَذَةَ**) مَعْنَاهُ أَنَّ الْجَهْلَ لَوْ كَانَ يُسْقِطُ الْعُقُوبَةَ فِى الآخِرَةِ عَلَى الإِطْلاقِ (**لَكَانَ الْجَهْلُ خَيْرًا**) لِلنَّاسِ (**مِنَ الْعِلْمِ وَهَذَا خِلافُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**) فَاللَّهُ تَعَالَى فَضَّلَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (**إِلَّا أَنَّ مَنْ كَانَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِإِسْلامٍ وَنَحْوَهُ**) أَىْ مِثْلَ قَرِيبِ عَهْدٍ بِإِسْلامٍ وَهُوَ الَّذِى لَمْ يُعَلِّمْهُ أَهْلُهُ وَلا غَيْرُهُمْ أُمُورَ الدِّينِ إِلَّا الشَّهَادَتَيْنِ وَعَاشَ عَلَى ذَلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا فَهَذَا (**لا يَكْفُرُ بِإِنْكَارِ**) شَىْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ الَّتِى هِىَ ظَاهِرَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ كَإِنْكَارِ (**فَرْضِيَّةِ الصَّلاةِ وَتَحْرِيـمِ الْخَمْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمِعَ أَنَّ هَذَا دِينُ الإِسْلامِ**) بَلْ يُعَلَّمُ ثُمَّ إِنْ أَنْكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالرِّدَّةِ فَيُطَالَبُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الإِسْلامِ بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ (**وَالْفَرْضُ الأَوَّلُ فِى حَقِّ الأَهْلِ تَعْلِيمُهُمْ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ كَيْلا يَقَعُوا فِى الْكُفْرِ بِجَهْلِهِمْ بِالْعَقِيدَةِ**) لِأَنَّ الأَهْلَ مِنْ أَطْفَالٍ وَغَيْرِهِمْ إِنْ تُرِكُوا مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمِهِمْ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّكْلِ وَالْحَدِّ وَالطُّولِ وَالْعَرْضِ وَاللَّوْنِ وَالتَّحَيُّزِ فِى الْمَكَانِ وَكُلِّ مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ قَدْ يَعْتَقِدُونَ اعْتِقَادًا فَاسِدًا فَيَهْلِكُونَ (**فَإِنِ اعْتَقَدُوا أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ نُورَانِىٌّ أَبْيَضُ**) أَوْ شَىْءٌ أَزْرَقُ كَلَوْنِ السَّمَاءِ أَوْ أَنَّهُ جِسْمٌ سَاكِنُ السَّمَاءِ (**أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ فَاسْتَمَرُّوا بَعْدَ الْبُلُوغِ عَلَى ذَلِكَ فَمَاتُوا عَلَيْهِ خُلِّدُوا فِى النَّارِ نَتِيجَةَ اعْتِقَادَاتِهِمُ الْفَاسِدَةِ**) لِذَلِكَ صَارَ أَوْلَى مَا يُعَلِّمُ الأَهْلُ الْوَلَدَ الْعَقِيدَةَ يُعَلِّمُونَهُ أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِلا مَكَانٍ لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْمَكَانِ بِلا مَكَانٍ كَانَ قَبْلَ وُجُودِ الْعَرْشِ وَالسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَجِهَةِ فَوْقٍ وَجِهَةِ تَحْتٍ وَجِهَةِ يَمِينٍ وَجِهَةِ شِمَالٍ وَجِهَةِ أَمَامٍ وَجِهَةِ خَلْفٍ وَقَبْلَ وُجُودِ الْفَرَاغِ وَالضَّوْءِ وَالظَّلامِ وَأَنَّهُ لا شَبِيهَ لَهُ وَأَنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ فِي الْعُقُولِ وَالأَذْهَانِ لِأَنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ وَلا شَبِيهَ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِى يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَلا خَالِقَ لِشَىْءٍ سِوَاهُ وَأَنَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَىْءٍ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ يُعَلَّمُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَالصِّيَامَ صِيَامَ رَمَضَانَ وَأَنَّهُ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ قَادِرٍ عَلَى الصِّيَامِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ السَّرِقَةُ حَرَامٌ وَالزِّنَى حَرَامٌ وَاللِّوَاطُ حَرَامٌ وَالظُّلْمُ حَرَامٌ وَالْكَذِبُ حَرَامٌ وَضَرْبُ الْمُسْلِمِينَ وَسَبُّهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (**قَالَ الْفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ**) وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ السَّلَفِ مِنَ الأَتْقِيَاءِ الأَوْلِيَاءِ الْعُلَمَاءِ الزَّاهِدِينَ الْمَعْرُوفِينِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ **لا يَغُرَّنَّكَ كَثْرَةُ الْهَالِكِينَ**) ذَكَرَهُ النَّوَوِىُّ فِى كِتَابِ الأَذْكَارِ مَعْنَاهُ لا تَنْظُرْ إِلَى كَثْرَةِ مَنْ يَتَخَبَّطُ بِالْمَعَاصِى وَالْجَهْلِ فَتَقُولَ أَكْثَرُ النَّاسِ ضَالُّونَ فَتَضِلَّ مَعَهُمْ اتْرُكْهُمْ فِيمَا ضَلُّوا فِيهِ وَاسْتَعْمِلْ عَقْلَكَ الَّذِى هُوَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ بِهِ تُمَيِّزُ بَيْنَ الْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ لِتَكُونَ مَعَ النَّاجِينَ اتْرُكْ أَكْثَرَ الْبَشَرِ وَلا تَمْشِ مَعَهُمْ فِى الضَّلالِ وَاسْلُكْ سَبِيلَ الصَّالِحِينَ وَلَوْ قَلُّوا (**فَهَلْ هَذَا الْجَهْلُ فِى الْعَقِيدَةِ هُوَ نَتِيجَةُ مَحَبَّةِ الأَهْلِ لِأَبْنَائِهِمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَجَاءَ فِى تَفْسِيرِ الآيَةِ أَىْ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَأْمُرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ**) وَلَيْسَ مَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَاءَ لِلْجَمِيعِ أَنْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ، اللَّهُ أَمَرَ الْجَمِيعَ بِالْعِبَادَةِ لَكِنْ مَا شَاءَ لِلْجَمِيعِ أَنْ يَكُونُوا عَابِدِينَ لَهُ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ (**وَبَعْدَ أَنْ جَاءَنَا الْهُدَى وَهُوَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ بِهِ فَلا عُذْرَ لَنَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾**) وَهَذِهِ الآيَةُ فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يُعَذِّبُ الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا بِدَعْوَةِ الإِسْلامِ الَّتِى جَاءَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ لا يُعَذِّبُهُمْ لا عَذَابَ اسْتِئْصَالٍ فِى الدُّنْيَا وَلا عَذَابًا فِى الآخِرَةِ بِنَارِ جَهَنَّمَ وَبِهَذِهِ الآيَةِ احْتَجَّ الأَشَاعِرَةُ فَقَالُوا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ نَبِىٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ثُمَّ مَاتَ فَلا يُعَذَّبُ لَوْ عَاشَ يَعْبُدُ الْوَثَنَ وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالْجَهْلِ بِخَالِقِهِ مَعْنَاهُ الْعَقْلُ وَحْدَهُ يَكْفِى فَمَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِدَعْوَةِ الأَنْبِيَاءِ يَكْفِيهِ الْعَقْلُ وَحْدَهُ مِمَّا يَرَاهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَخَلْقِ نَفْسِهِ لَيْسَ لَهُ عُذْرٌ إِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ. وَقَالَتِ الْمَاتُرِيدِيَّةُ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الآيَةِ عَذَابُ الِاسْتِئْصَالِ فِى الدُّنْيَا لَيْسَ عَذَابَ الآخِرَةِ، عَذَابُ الِاسْتِئْصَالِ مَعْنَاهُ الْعَذَابُ الْكَاسِحُ مِثْلُ عَذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَهُوَ الْغَرَقُ.

## النُّبُوَّةُ

(**اشْتِقَاقُهَا مِنَ النَّبَإِ أَىِ الْخَبَرِ**) أَىِ الإِخْبَارِ (**لِأَنَّ النُّبُوَّةَ إِخْبَارٌ عَنِ اللَّهِ أَوِ**) اشْتِقَاقُهَا (**مِنَ النَّبْوَةِ وَهِىَ الرِّفْعَةُ**) وَمَعْنَاهَا أَنَّ الأَنْبِيَاءَ دَرَجَاتُهُمْ مُرْتَفِعَةٌ عَالِيَةٌ (**فَالنَّبِىُّ عَلَى الأَوَّلِ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ لِأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنِ اللَّهِ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ أَوْ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَىْ مُخْبَرٌ عَنِ اللَّهِ أَىْ يُخْبِرُهُ الْمَلَكُ عَنِ اللَّهِ فَالنُّبُوَّةُ جَائِزَةٌ عَقْلًا لَيْسَتْ مُسْتَحِيلَةً وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ الأَنْبِيَاءَ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ إِذْ لَيْسَ فِى الْعَقْلِ مَا يُسْتَغْنَى بِهِ عَنْهُمْ لِأَنَّ الْعَقْلَ**) وَحْدَهُ (**لا يَسْتَقِلُّ بِمَعْرِفَةِ الأَشْيَاءِ الْمُنْجِيَةِ فِى الآخِرَةِ**) لِذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ بِعْثَةُ الأَنْبِيَاءِ فَالأَنْبِيَاءُ هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ مَا يُنْجِى فِى الآخِرَةِ وَمَا يُهْلِكُ فِى الآخِرَةِ (**فَفِى بِعْثَةِ الأَنْبِيَاءِ مَصْلَحَةٌ ضَرُورِيَّةٌ لِحَاجَتِهِمْ لِذَلِكَ فَاللَّهُ**) تَعَالَى (**مُتَفَضِّلٌ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ**) وَلَوْ لَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا (**فَهِىَ سَفَارَةٌ بَيْنَ الْحَقِّ تَعَالَى وَبَيْنَ الْخَلْقِ**).

**الْفَرْقُ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ**

(**اعْلَمْ أَنَّ النَّبِىَّ وَالرَّسُولَ يَشْتَرِكَانِ فِى الْوَحْىِ فَكُلٌّ قَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ يَعْمَلُ بِهِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ غَيْرَ أَنَّ الرَّسُولَ يَأْتِى بِنَسْخِ بَعْضِ شَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ**) أَىْ بِنَسْخِ بَعْضِ الأَحْكَامِ الَّتِى كَانَتْ فِى زَمَنِ الرَّسُولِ الَّذِى قَبْلَهُ (**أَوْ**) يَأْتِى (**بِشَرْعٍ جَدِيدٍ**) أَىْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ حُكْمٌ جَدِيدٌ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ (**وَ**)أَمَّا (**النَّبِىُّ غَيْرُ الرَّسُولِ**) فَهُوَ الَّذِى لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ شَىْءٌ جَدِيدٌ لَكِنْ (**يُوحَى إِلَيْهِ لِيَتَّبِعَ شَرْعَ رَسُولٍ قَبْلَهُ وَلِيُبَلِّغَهُ**) وَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِىِّ وَالرَّسُولِ هُوَ الصَّحِيحُ وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِى مُؤَلَّفَاتِهِمْ مِنْ أَنَّ النَّبِىَّ مَنْ أُوحِىَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ فَهُوَ فَاسِدٌ بَعِيدٌ مِنْ مَعْنَى النُّبُوَّةِ فَلْيُحْذَرْ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ ذَكَرَهُ كَثِيرٌ كَالإِمَامِ الْجَلِيلِ شَيْخِ الشَّافِعِيَّةِ وَالأَشَاعِرَةِ أَبِى مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِىِّ فِى أُصُولِ الدِّينِ وَالْقُونَوِىِّ شَارِحِ الطَّحَاوِيَّةِ فِى الْقَلائِدِ شَرْحِ الْعَقَائِدِ وَالْمُنَاوِىِّ فِى فَيْضِ الْقَدِيرِ (**فَلِذَلِكَ قَالَ الْعُلَمَاءُ كُلُّ رَسُولٍ نَبِىٌّ وَلَيْسَ كُلُّ نَبِىٍّ رَسُولًا**) وَالرُّسُلُ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ غَيْرِ الرُّسُلِ (**ثُمَّ**) إِنَّ النَّبِىَّ وَالرَّسُولَ (**أَيْضًا يَفْتَرِقَانِ فِى أَنَّ الرِّسَالَةَ يُوصَفُ بِهَا الْمَلَكُ وَالْبَشَرُ**) الْمَلائِكَةُ فِيهِمْ رُسُلٌ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَهُوَ رَسُولٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ كَذَلِكَ يُوجَدُ غَيْرُهُ يُرْسِلُهُ اللَّهُ إِلَى الْمَلائِكَةِ لِيُبَلِّغَ الْوَحْىَ اللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يُبَلِّغُوا طَائِفَةً مِنَ الْمَلائِكَةِ بِأَمْرٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾ اللَّهُ يَخْتَارُ مِنْ بَيْنِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ رُسُلًا فَجِبْرِيلُ سَفِيرٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنَ الْبَشَرِ وَبَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمَلائِكَةِ أَيْضًا (**وَالنُّبُوَّةَ لا تَكُونُ إِلَّا فِى الْبَشَرِ**).

**مَا يَجِبُ لِلأَنْبِيَاءِ وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ**

(**يَجِبُ لِلأَنْبِيَاءِ الصِّدْقُ وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْكَذِبُ**) وَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْرُوفًا بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ بِالأَمِينِ لِمَا عُرِفَ بِهِ مِنَ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ وَالنَّزَاهَةِ لَمْ تُجَرَّبْ عَلَيْهِ كَذْبَةٌ قَطُّ كُلَّ الْمُدَّةِ الَّتِى قَضَاهَا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ وَهِىَ أَرْبَعُونَ سَنَةً فَالْكَذِبُ نَقْصٌ يُنَافِى مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ (**وَتَجِبُ لَهُمُ الْفَطَانَةُ**) أَىِ الذَّكَاءُ فَكُلُّهُمْ كَانُوا أَذْكِيَاءَ فُطَنَاءَ أَصْحَابَ عُقُولٍ كَامِلَةٍ قَوِيَّةِ الْفَهْمِ (**وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْبَلادَةُ وَالْغَبَاوَةُ**) فَلَيْسَ فِيهِمْ بَلِيدٌ أَىْ مَنْ هُوَ ضَعِيفُ الْفَهْمِ لا يَفْهَمُ الْكَلامَ بِسُرْعَةٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُكَرَّرَ عَلَيْهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَلا مَنْ هُوَ ضَعِيفٌ عَنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ لِمَنْ يُعَارِضُهُ بِالْبَيَانِ وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ غَبِىٌّ أَىْ فَهْمُهُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا أَغْبِيَاءَ لَنَفَرَ النَّاسُ مِنْهُمْ لِغَبَاوَتِهِمْ وَاللَّهُ حَكِيمٌ لا يَفْعَلُ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ أُرْسِلُوا لِيُبَلِّغُوا النَّاسَ مَصَالِحَ ءَاخِرَتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَالْبَلادَةُ تُنَافِى هَذَا الْمَطْلُوبَ مِنْهُمْ (**وَتَجِبُ لَهُمُ الأَمَانَةُ**) فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْخِيَانَةُ فِى الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَالأَحْوَالِ فَإِذَا اسْتَنْصَحَهُمْ شَخْصٌ لا يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ فَيُوهِمُونَهُ خِلافَ الْحَقِيقَةِ وَإِذَا وَضَعَ عِنْدَهُمْ شَخْصٌ شَيْئًا لا يُضَيِّعُونَهُ (**فَالأَنْبِيَاءُ سَالِمُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَبَائِرِ وَصَغَائِرِ الْخِسَّةِ**) أَىِ الَّتِى تَدُلُّ عَلَى دَنَاءَةِ النَّفْسِ كَسَرِقَةِ حَبَّةِ عِنَبٍ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا (**وَهَذِهِ هِىَ الْعِصْمَةُ الْوَاجِبَةُ لَهُمْ**) وَيَجُوزُ عَلَيْهِمْ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِى لَكِنْ يُنَبَّهُونَ فَوْرًا لِلتَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَقْتَدِىَ بِهِمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ. وَيَدُلُّ عَلَى جَوَازِ حُصُولِ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾ وَءَايَاتٌ أُخْرَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ (**وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الْخِيَانَةُ وَيَجِبُ لَهُمُ الصِّيَانَةُ فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ الرَّذَالَةُ**) كَاخْتِلاسِ النَّظَرِ إِلَى الأَجْنَبِيَّةِ بِشَهْوَةٍ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ فَقَدْ قِيلَ فِيهِ نَحْوُ خَمْسِ تَأْوِيلاتٍ وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِى ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**وَهَمَّ بِهَا**﴾ مَرْبُوطٌ بِمَا بَعْدَهُ بِـ﴿**لَوْلا أَنْ رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ فَيَكُونُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ مَا هَمَّ يُوسُفُ بِالْمَرَّةِ لِأَنَّهُ رَأَى الْبُرْهَانَ أَمَّا لَوْ لَمْ يَرَ الْبُرْهَانَ لَهَمَّ وَالْبُرْهَانُ هُوَ الْعِصْمَةُ أَىْ أَنَّهُ أُلْهِمَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ عَنْ مِثْلِ هَذَا الشَّىْءِ وَأَنَّهُ سَيُؤْتَى النُّبُوَّةَ فَلَمْ يَهُمَّ هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِى تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ. وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ مَعْنَى ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ**﴾ أَىْ هَمَّتْ بِأَنْ تَدْفَعَهُ لِيَزْنِىَ بِهَا وَهَمَّ يُوسُفُ بِدَفْعِهَا لِيَخْلُصَ مِنْهَا وَهَذَا التَّفْسِيرُ شَبِيهٌ بِمَا ذُكِرَ ءَانِفًا وَالْخُلاصَةُ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ لا يَقَعُونَ فِى الزِّنَـى وَلا يَهُمُّونَ بِهِ (**وَ**)كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ (**السَّفَاهَةُ**) كَالَّذِى يَقُولُ أَلْفَاظًا شَنِيعَةً (**وَ**)كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمُ (**الْجُبْنُ**) فَالأَنْبِيَاءُ هُمْ أَشْجَعُ خَلْقِ اللَّهِ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ »**كُنَّا إِذَا حَمِىَ الْوَطِيسُ فِى الْمَعْرَكَةِ نَحْتَمِى بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**« فَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ نَبِيَّنَا قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ الأَشِدَّاءِ. أَمَّا الْخَوْفُ الطَّبِيعِىُّ فَلا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ الْخَوْفُ الطَّبِيعِىُّ مَوْجُودٌ فِيهِمْ وَذَلِكَ مِثْلُ النُّفُورِ مِنَ الْحَيَّةِ فَإِنَّ طَبِيعَةَ الإِنْسَانِ تَقْتَضِى الْهَرَبَ مِنَ الْحَيَّةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِثْلُ التَّخَوُّفِ مِنْ تَكَالُبِ الْكُفَّارِ عَلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلُوهُ فَإِنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ عَلَيْهِمْ (**وَ**)كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ (**كُلُّ مَا يُنَفِّرُ عَنْ قَبُولِ الدَّعْوَةِ مِنْهُمْ**) وَمِمَّا يَسْتَحِيلُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الْجُنُونُ وَتَأْثِيرُ السِّحْرِ فِى عُقُولِهِمْ فَلا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ الرَّسُولَ أَثَّرَ السِّحْرُ فِى عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ قَالَهُ مَنْ قَالَهُ (**وَكَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَرَضٍ مُنَفِّرٍ**) فَاللَّهُ تَعَالَى لا يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الأَمْرَاضَ أَمَّا الْمَرَضُ الْمُؤْلِمُ الشَّدِيدُ حَتَّى لَوْ كَانَ يَحْصُلُ مِنْهُ الإِغْمَاءُ أَىِ الْغَشْىُ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ وَأَمَّا الأَمْرَاضُ الْمُنَفِّرَةُ فَلا تَجُوزُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ هَذَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذِى ابْتَلاهُ اللَّهُ بَلاءً شَدِيدًا اسْتَمَرَّ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا وَفَقَدَ مَالَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ وَأَغْنَاهُ وَرَزَقَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الأَوْلادِ بَعْضُ النَّاسِ الْجُهَّالِ يَفْتَرُونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ إِنَّ الدُّودَ أَكَلَ جِسْمَهُ فَكَانَ الدُّودُ يَتَسَاقَطُ ثُمَّ يَأْخُذُ الدُّودَةَ وَيُعِيدُهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنْ جِسْمِهِ وَيَقُولُ يَا مَخْلُوقَةَ رَبِّى كُلِى مِنْ رِزْقِكِ الَّذِى رَزَقَكِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ هَذَا ضَلالٌ مُبِينٌ (**فَمَنْ نَسَبَ**) ذَلِكَ (**إِلَيْهِمْ**) أَوْ نَسَبَ (**الْكَذِبَ أَوِ الْخِيَانَةَ أَوِ الرَّذَالَةَ أَوِ السَّفَاهَةَ أَوِ الْجُبْنَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ**).

## الْمُعْجِزَةُ

(**اعْلَمْ أَنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ النَّبِىِّ الْمُعْجِزَةُ وَهِىَ**) الْعَلامَةُ الشَّاهِدَةُ الَّتِى تَشْهَدُ أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ الَّذِى يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ نَبِىُّ اللَّهِ أَنَّهُ نَبِىٌّ وَأَنَّهُ صَادِقٌ وَالْمُعْجِزَةُ (**أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ**) أَىْ هِىَ أَمْرٌ مُخَالِفٌ وَمُنَاقِضٌ لِلْعَادَةِ (**يَأْتِى عَلَى وَفْقِ دَعْوَى مَنِ ادَّعَوِا النُّبُوَّةَ**) أَىْ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ الْخَارِقَ يُوَافِقُ دَعْوَى ذَلِكَ النَّبِىِّ فَمَا لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِلدَّعْوَى لا يُسَمَّى مُعْجِزَةً كَالَّذِى حَصَلَ لِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ الَّذِى ادَّعَى النُّبُوَّةَ مِنْ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى وَجْهِ رَجُلٍ أَعْوَرَ فَعَمِيَتِ الْعَيْنُ الأُخْرَى فَإِنَّ هَذَا الَّذِى حَصَلَ مُنَاقِضٌ لِدَعْوَاهُ وَلَيْسَ مُوَافِقًا (**سَالِمٌ مِنَ الْمُعَارَضَةِ بِالْمِثْلِ**) أَىْ لا يَسْتَطِيعُ الْمُكَذِّبُونَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهُ فَإِذَا ادَّعَى رَجُلٌ أَنَّهُ نَبِىٌّ وَقَارَنَ دَعْوَاهُ خَارِقٌ ثُمَّ ادَّعَى ءَاخَرُ أَنَّ الْمُدَّعِىَ لَيْسَ بِنَبِىِّ وَأَظْهَرَ خَارِقًا مِثْلَهُ دَلَّ عَلَى أَنَّ الأَوَّلَ لَيْسَ بِنَبِيٍّ (**فَمَا كَانَ مِنَ الأُمُورِ عَجِيبًا وَلَمْ يَكُنْ خَارِقًا لِلْعَادَةِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزَةٍ وَكَذَلِكَ مَا كَانَ خَارِقًا لَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَرِنْ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ كَالْخَوَارِقِ الَّتِى تَظْهَرُ عَلَى أَيْدِى الأَوْلِيَاءِ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُعْجِزَةٍ بَلْ يُسَمَّى كَرَامَةً**) لِأَنَّ الْوَلِىَّ لا يَدَّعِى أَنَّهُ نَبِىٌّ وَإِلَّا لَمَا حَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْخَوَارِقُ. وَالْوَلِىُّ هُوَ الَّذِى يَتَّبِعُ النَّبِىَّ بِصِدْقٍ اتِّبَاعًا تَامًّا يُؤَدِّى الْوَاجِبَاتِ وَيَجْتَنِبُ الْمُحَرَّمَاتِ وَيُكْثِرُ مِنَ النَّوَافِلِ (**وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْمُعْجِزَةِ مَا يُسْتَطَاعُ مُعَارَضَتُهُ بِالْمِثْلِ كَالسِّحْرِ فَإِنَّهُ يُعَارَضُ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ**) أَمَّا الْمُعْجِزَةُ فَلا يَسْتَطِيعُ الْمُعَارِضُونَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهَا أَمَّا غَيْرُ الْمُعَارِضِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ كَالأَوْلِيَاءِ هَؤُلاءِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُظْهِرُوا أَمْرًا يُشْبِهُ الْمُعْجِزَةَ لِأَنَّ هَؤُلاءِ لا يُعَارِضُونَ النَّبِىَّ بَلْ يُصَدِّقُونَهُ وَيَتَّبِعُونَهُ (**وَالْمُعْجِزَةُ قِسْمَانِ قِسْمٌ يَقَعُ بَعْدَ اقْتِرَاحٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى الَّذِى ادَّعَى النُّبُوَّةَ**) أَىْ بَعْضُ الأَنْبِيَاءِ مُعْجِزَاتُهُمْ تَظْهَرُ عِنْدَمَا يَطْلُبُ مِنْهُمُ النَّاسُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ (**وَقِسْمٌ يَقَعُ مِنْ غَيْرِ اقْتِرَاحٍ**) أَىْ بَعْضٌ مِنْ دُونِ اقْتِرَاحٍ يَظْهَرُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ دُونِ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُمْ أَحَدٌ (**فَالأَوَّلُ نَحْوُ نَاقَةِ صَالِحٍ الَّتِى خَرَجَتْ مِنَ الصَّخْرَةِ**) وَقَدْ جَاءَ فِى قِصَّةِ قَوْمِ صَالِحٍ أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْ نَبِىِّ اللَّهِ صَالِحٍ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ مُعْجِزَةً (**اقْتَرَحَ قَوْمُهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا مَبْعُوثًا إِلَيْنَا لِنُؤْمِنَ بِكَ فَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ نَاقَةً وَفَصِيلَهَا فَأَخْرَجَ لَهُمْ نَاقَةً مَعَهَا فَصِيلُهَا أَىْ وَلَدُهَا فَانْدَهَشُوا فَآمَنُوا بِهِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَاذِبًا فِى قَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ لَمْ يَأْتِ بِهَذَا الأَمْرِ الْعَجِيبِ الْخَارِقِ لِلْعَادَةِ الَّذِى لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُعَارِضَهُ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ فَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ وَلا يَسَعُهُمْ إِلَّا الإِذْعَانُ وَالتَّصْدِيقُ لِأَنَّ الْعَقْلَ يُوجِبُ تَصْدِيقَ مَنْ أَتَى بِمْثِلِ هَذَا الأَمْرِ الَّذِى لا يُسْتَطَاعُ مُعَارَضَتُهُ بِالْمِثْلِ مِنْ قِبَلِ الْمُعَارِضِينَ فَمَنْ لَمْ يُذْعِنْ وَعَانَدَ يُعَدُّ مُهْدِرًا لِقِيمَةِ الْبُرْهَانِ الْعَقْلِىِّ**).

**مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِى حَصَلَتْ لِمَنْ قَبْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

(**وَمِنْ أَمْثِلَةِ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِى حَصَلَتْ لِمَنْ قَبْلَ مُحَمَّدٍ عَدَمُ تَأْثِيرِ النَّارِ الْعَظِيمَةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**) فَقَدْ أَرَادَ مِنْهُ قَوْمُهُ أَنْ يَتْرُكَ دِينَهُ الَّذِى هُوَ عَلَيْهِ وَيَتَّبِعَ دِينَهُمُ الْبَاطِلَ لِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فَأَبَى فَأَضْرَمُوا لَهُ نَارًا عَظِيمَةً مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّتِهَا أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْهَا فَقَذَفُوهُ إِلَيْهَا بِالْمِنْجَنِيقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَلَّمَهُ فَكَانَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلامًا عَلَيْهِ (**حَيْثُ لَمْ تُحْرِقْهُ وَلا ثِيَابَهُ**) وَإِنَّمَا أَحْرَقَتِ الْقَيْدَ الَّذِى قَيَّدُوهُ بِهِ (**وَمِنْهَا انْقِلابُ عَصَا مُوسَى ثُعْبَانًا حَقِيقِيًّا**) وَذَلِكَ لَمَّا تَحَدَّى فِرْعَوْنُ سَيِّدَنَا مُوسَى فَجَمَعَ فِرْعَوْنُ سَبْعِينَ سَاحِرًا مِنْ كِبَارِ السَّحَرَةِ الَّذِينَ عِنْدَهُ فَأَلْقَوِا الْحِبَالَ الَّتِى فِى أَيْدِيهِمْ فَخُيِّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا حَيَّاتٌ تَسْعَى فَأَلْقَى سَيِّدُنَا مُوسَى بِعَصَاهُ فَحَصَلَتْ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِىَ انْقِلابُ الْعَصَا ثُعْبَانًا حَقِيقِيًّا (**ثُمَّ عَوْدُهَا إِلَى حَالَتِهَا بَعْدَ أَنِ اعْتَرَفَ السَّحَرَةُ الَّذِينَ أَحْضَرَهُمْ فِرْعَوْنُ لِمُعَارَضَتِهِ**) بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ لا يَسْتَطِيعُونَ مُعَارَضَتَهُ بِالْمِثْلِ (**وَأَذْعَنُوا فَآمَنُوا بِاللَّهِ**) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (**وَكَفَرُوا بِفِرْعَوْنَ وَاعْتَرَفُوا لِمُوسَى بِأَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ**) فَغَضِبَ فِرْعَوْنُ لِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ وَتَرَكُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ فَهَدَّدَهُمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا عَنِ الإِيمَانِ بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ فَقَتَلَهُمْ (**وَمِنْهَا مَا ظَهَرَ لِلْمَسِيحِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى**) وَالَّذِى حَصَلَ أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ مَحْمُولًا عَلَى النَّعْشِ يَذْهَبُونَ بِهِ فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يُحْيِيَهُ فَأَحْيَاهُ اللَّهُ (**وَذَلِكَ لا يُسْتَطَاعُ مُعَارَضَتُهُ بِالْمِثْلِ فَلَمْ تَسْتَطِعِ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا مُولَعِينَ بِتَكْذِيبِهِ وَحَرِيصِينَ عَلَى الِافْتِرَاءِ عَلَيْهِ أَنْ يُعَارِضُوهُ بِالْمِثْلِ**) بَلْ قَالُوا لَهُ أَنْتَ سَاحِرٌ (**وَقَدْ أَتَى أَيْضًا بِعَجِيبَةٍ أُخْرَى عَظِيمَةٍ وَهِىَ إِبْرَاءُ الأَكْمَهِ**) أَىِ الَّذِى وُلِدَ أَعْمَى فَقَدْ كَانَ يُؤْتَى لَهُ بِالأَعْمَى فَيَمْسَحُ لَهُ عَلَى وَجْهِهِ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ فَيَتَعَافَى (**فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ مُعَارَضَتَهُ بِالْمِثْلِ مَعَ تَوَفُّرِ الطِّبِّ فِى ذَلِكَ الْعَصْرِ فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِهِ فِى كُلِّ مَا يُخْبِرُ بِهِ مِنْ وُجُوبِ عِبَادَةِ الْخَالِقِ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ وَوُجُوبِ مُتَابَعَتِهِ فِى الأَعْمَالِ الَّتِى يَأْمُرُهُمْ بِهَا**) فَظَهَرَ بُطْلانُ قَوْلِ بَعْضِ الْمُلْحِدِينَ فِى هَذَا الْعَصْرِ إِنَّ مَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ وَعِيسَى مِنَ الْمُعْجِزَاتِ هُوَ تَخْدِيرٌ لِأَفْكَارِ النَّاسِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ السِّحْرِ وَبُطْلانُ هَذَا ظَاهِرٌ لِأَنَّ السِّحْرَ يُعَارَضُ بِالْمِثْلِ وَهَذَا الَّذِى يُظْهِرُهُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِى الأَنْبِيَاءِ مِنَ الْخَوَارِقِ لا يُعَارَضُ بِالْمِثْلِ مِنْ قَبِيلِ السَّحَرَةِ، إِنَّمَا كَلامُ هَذَا الْمُلْحِدِ تَمْوِيهٌ عَلَى ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ لِأَنَّ هَؤُلاءِ الْعَوَامَّ لا يَعْرِفُونَ الْمَعْنَى الْفَارِقَ بَيْنَ السِّحْرِ وَالْمُعْجِزَةِ.

**مِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

(**وَأَمَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِ الأَنْبِيَاءِ وَسَلَّمَ حَنِينُ الْجِذْعِ**) وَحَدِيثُ حَنِينِ الْجِذْعِ مُتَوَاتِرٌ كَمَا أَنَّ الْقُرْءَانَ مُتَوَاتِرٌ (**وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَنِدُ حِينَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعِ نَخْلٍ**) كَانَ (**فِى**) قِبْلَةِ (**مَسْجِدِهِ قَبْلَ أَنْ يُعْمَلَ لَهُ الْمِنْبَرُ**) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ (**فَلَمَّا عُمِلَ لَهُ الْمِنْبَرُ صَعِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَبَدَأَ بِالْخُطْبَةِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِذْعُ**) مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ اللَّهُ خَلَقَ فِيهِ الإِدْرَاكَ وَالْمَحَبَّةَ وَالشَّوْقَ لِرَسُولِ اللَّهِ (**حَتَّى سَمِعَ حَنِينَهُ مَنْ فِى الْمَسْجِدِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالْتَزَمَهُ أَىْ ضَمَّهُ وَاعْتَنَقَهُ فَسَكَتَ**) وَهَذِهِ مِنْ أَعْجَبِ الْمُعْجِزَاتِ وَيَصِحُّ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهَا أَعْجَبُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى الَّذِى حَصَلَ لِلْمَسِيحِ لِأَنَّ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى يَتَضَمَّنُ رُجُوعَ هَؤُلاءِ الأَشْخَاصِ إِلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا أَمَّا الْخَشَبُ فَهُوَ مِنَ الْجَمَادِ الَّذِى لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِإِرَادَةٍ فَهُوَ أَعْجَبُ (**وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْطَاقُ الْعَجْمَاءِ أَىِ الْبَهِيمَةِ. رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ**) فِى مُسْنَدِهِ (**وَالْبَيْهَقِىُّ**) فِى دَلائِلِ النُّبُوَّةِ (**بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ يَعْلَى بنِ مُرَّةَ الثَّقَفِىِّ قَالَ بَيْنَمَا نَسِيرُ مَعَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ مَرَّ بِنَا بَعِيرٌ يُسْنَى عَلَيْهِ**) أَىْ يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَاءُ (**فَلَمَّا رَءَاهُ الْبَعِيرُ جَرْجَرَ**) أَىْ أَصْدَرَ صَوْتًا مِنْ حَلْقِهِ (**فَوَضَعَ جِرَانَهُ**) أَىْ مُقَدَّمَ عُنُقِهِ (**فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ »أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ« فَجَاءَهُ فَقَالَ »بِعْنِيهِ« فَقَالَ بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ فَقَالَ النَّبِىُّ »أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلَفِ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ«. وَأَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ فِى دَلائِلِ النُّبُوَّةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ قَالَ أَرْدَفَنِى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَدَخَلَ حَائِطَ**) أَىْ بُسْتَانَ (**رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ**) وَالذِّفْرُ أَصْلُ أُذُنِ الْبَعِيرِ كَمَا فِى النِّهَايَةِ فِى غَرِيبِ الْحَدِيثِ (**فَسَكَنَ ثُمَّ قَالَ »مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ« فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ هَذَا لِى فَقَالَ »أَلا تَتَّقِى اللَّهَ فِى هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِى مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَىَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ«**) أَىْ تُتْعِبُهُ (**وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ كَمَا قَالَ الْمُحَدِّثُ مُرْتَضَى الزَّبِيدِىُّ فِى شَرْحِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ. وَمِنْهَا تَفَجُّرُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ بِالْمُشَاهَدَةِ فِى عِدَّةِ مَوَاطِنَ فِى مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ وَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ يُفِيدُ مَجْمُوعُهَا الْعِلْمَ الْقَطْعِىَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِىِّ**) وَهُوَ الَّذِى تَوَاتَرَ مَعْنَاهُ وَلَمْ يَتَّفِقْ رُوَاتُهُ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ (**وَلَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِ نَبِيِّنَا حَيْثُ نَبَعَ مِنْ عَظْمِهِ وَعَصَبِهِ وَلَحْمِهِ وَدَمِهِ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ تَفَجُّرِ الْمِيَاهِ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِى ضَرَبَهُ مُوسَى لِأَنَّ خُرُوجَ الْمَاءِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعْهُودٌ بِخِلافِهِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالدَّمِ، رَوَاهُ جَابِرٌ وَأَنَسٌ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو لَيْلَى الأَنْصَارِىُّ وَأَبُو رَافِعٍ. وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ »رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتْ صَلاةُ الْعَصْرِ وَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ**) أَىْ طَلَبُوا مَاءَ الْوُضُوءِ (**فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ ءَاخِرِهِمْ«. وَفِى رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِىِّ قَالَ الرَّاوِى لِأَنَسٍ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ »ثَلاثَمِائَةٍ«. وَرَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَيْضًا »عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ يَتَوَضَّأُ مِنْهَا فَجَهَشَ النَّاسُ**) أَىْ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ (**فَقَالَ »مَا لَكُمْ« فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلا مَا نَشْرَبُهُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِى الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقِيلَ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً«. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْمَاءَ كَانَ يَنْبُعُ مِنْ نَفْسِ اللَّحْمِ الْكَائِنِ فِى الأَصَابِعِ وَبِهِ صَرَّحَ النَّوَوِىُّ فِى شَرْحِ مُسْلِمٍ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ جَابِرٍ »فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَخْرُجُ«**) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِى مُسْنَدِهِ (**وَفِى رِوَايَةٍ »يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ«. وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ رَدُّ عَيْنِ قَتَادَةَ بَعْدَ انْقِلاعِهَا فَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِىُّ فِى الدَّلائِلِ**) أَىْ دَلائِلِ النُّبُوَّةِ (**عَنْ قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ أَنَّهُ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَسَالَتْ حَدَقَتُهُ عَلَى وَجْنَتِهِ فَأَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوهَا فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ »لا« فَدَعَا بِهِ فَغَمَزَ حَدَقَتَهُ بِرَاحَتِهِ فَكَانَ لا يَدْرِى أَىَّ عَيْنَيْهِ أُصِيبَتْ اهـ. وَفِى هَاتَيْنِ الْمُعْجِزَتَيْنِ قَالَ بَعْضُ الْمَادِحِينَ شِعْرًا مِنَ الْبَسِيطِ**

**إِنْ كَانَ مُوسَى سَقَى الأَسْبَاطَ مِنْ حَجَرٍ**

**فَإِنَّ فِى الْكَفِّ مَعْنًى لَيْسَ فِى الْحَجَرِ**

**إِنْ كَانَ عِيسَى بَرَا الأَعْمَى بِدَعْوَتِهِ**

**فَكَمْ بِرَاحَتِهِ قَدْ رَدَّ مِنْ بَصَرِ**)

فَقَوْلُهُ إِنْ كَانَ عِيسَى بَرَا الأَعْمَى بِدَعْوَتِهِ مَعْنَاهُ تَعَافَى الأَعْمَى بِدَعْوَةِ الْمَسِيحِ. وَخُرُوجُ الْمَاءِ بَيْنَ أَصَابِعِ النَّبِىِّ نَظِيرُ مَا أَعْطَى اللَّهُ لِمُوسَى فَإِنَّهُ لَمَّا جَاءَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مَعَ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَهُوَ قَاصِدٌ الْقُدْسَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْقُدْسِ بَقِىَ زَمَانًا فِى أَرْضٍ هِىَ قَبْلَ الْقُدْسِ بِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ هُنَاكَ احْتَاجُوا إِلَى الْمَاءِ فِى تِلْكَ الأَرْضِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى ﴿**أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ**﴾ فَضَرَبَ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ فَانْبَجَسَتْ مِنَ الْحَجَرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا فَوَزَّعَ مُوسَى هَذِهِ الْعُيُونَ الَّتِى خَرَجَتْ مِنْ هَذَا الْحَجَرِ الَّذِى ضَرَبَهُ بِعَصَاهُ عَلَى الأَسْبَاطِ أَىْ عَلَى الْقَبَائِلِ الَّتِى كَانَتْ مَعَهُ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ وَهُوَ إِسْرَائِيلُ (**وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْبِيحُ الطَّعَامِ فِى يَدِهِ أَخْرَجَ الْبُخَارِىُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ »كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ« وَهَذِهِ الْمُعْجِزَاتُ الثَّلاثُ أَعْجَبُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى الَّذِى هُوَ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ الْمَسِيحِ**).

**وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ**

(**الإِسْرَاءُ ثَبَتَ بِنَصِّ الْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ**) الَّذِى أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ الإِسْرَاءَ فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْءَانَ وَمَنْ كَذَّبَ الْقُرْءَانَ فَقَدْ كَفَرَ (**فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَى اللَّهُ بِهِ لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**) وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْحَقِّ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ وَمُحَدِّثِينَ وَمُتَكَلِّمِينَ وَمُفَسِّرِينَ وَعُلَمَاءَ وَفُقَهَاءَ عَلَى أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ وَفِى الْيَقَظَةِ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ وَأَنَسٍ وَعُمَرَ وَحُذَيْفَةَ وَغَيْرِهِمْ (**وَأَمَّا الْمِعْرَاجُ فَقَدْ ثَبَتَ بِنَصِّ الأَحَادِيثِ وَأَمَّا الْقُرْءَانُ فَلَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ نَصًّا صَرِيحًا لا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا لَكِنَّهُ وَرَدَ فِيهِ مَا يَكَادُ يَكُونُ نَصًّا صَرِيحًا**) أَىْ وَرَدَ فِى الْقُرْءَانِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمِعْرَاجِ لَكِنَّهُ لَيْسَ نَصًّا صَرِيحًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَ**ى﴾ فَمَنْ فَهِمَ أَنَّ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فِى السَّمَاءِ وَأَنَّ النَّبِـىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهَا يَقَظَةً وَمَعَ ذَلِكَ أَنْكَرَ الْمِعْرَاجَ كَفَرَ وَأَمَّا إِذَا كَانَ لا يَعْرِفُ وَلَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْءَانِ وَلا اعْتَقَدَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ هَذَا اعْتِقَادُهُمْ فَلا يَكْفُرُ (**فَالإِسْرَاءُ قَدْ جَاءَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾**) وَالسَّبْحُ فِى اللُّغَةِ التَّبَاعُدُ وَمَعْنَى سَبِّحِ اللَّهَ تَعَالَى أَىْ بَعِّدْهُ وَنَزِّهْهُ عَمَّا لا يَلِيقُ بِهِ مِنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَصِفَاتِهِمْ. وَقَوْلُهُ ﴿**بِعَبْدِهِ**﴾ أَىْ بِمُحَمَّدٍ، قِيلَ لَمَّا وَصَلَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَالْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ فِى الْمِعْرَاجِ أَوْحَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ بِمَاذَا أُشَرِّفُكَ قَالَ بِأَنْ تَنْسُبَنِى إِلَى نَفْسِكَ بِالْعُبُودِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ نِسْبَةَ النَّبِىِّ إِلَى رَبِّهِ بِوَصْفِ الْعُبُودِيَّةِ غَايَةُ الشَّرَفِ لِلرَّسُولِ لِأَنَّ عِبَادَ اللَّهِ كَثِيرٌ فَلِمَ خَصَّهُ فِى هَذِهِ الآيَةِ بِالذِّكْرِ ذَلِكَ لِتَخْصِيصِهِ بِالشَّرَفِ الأَعْظَمِ. وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿**لَيْلًا**﴾ بِلَفْظِ التَّأْكِيدِ تَقْلِيلَ مُدَّةِ الإِسْرَاءِ فَإِنَّهُ أُسْرِىَ بِهِ فِى بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ. وَأَمَّا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ فَهُوَ هَذَا الَّذِى بِمَكَّةَ فَقَدْ سُمِّىَ بِذَلِكَ لِحُرْمَتِهِ أَىْ لِشَرَفِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهُ خُصَّ بِأَحْكَامٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ وَمُضَاعَفَةُ الأَجْرِ فِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا فِى غَيْرِهِ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا. وَأَمَّا الْمَسْجِدُ الأَقْصَى فَقَدْ سُمِّىَ بِذَلِكَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ قِيلَ لِأَنَّهُ مَقَرُّ الأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطُ الْمَلائِكَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا**﴾ أَىْ مَا رَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالآيَاتِ الَّتِى تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ (**أَمَّا الْمِعْرَاجُ فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ فَإِنْ قِيلَ قَوْلُهُ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ رُؤْيَةً مَنَامِيَّةً قُلْنَا هَذَا تَأْوِيلٌ وَلا يَسُوغُ**) أَىْ لا يَجُوزُ (**تَأْوِيلُ النَّصِّ أَىْ إِخْرَاجُهُ عَنْ ظَاهِرِهِ لِغَيْرِ دَلِيلٍ عَقْلِىٍّ قَاطِعٍ أَوْ سَمْعِىٍّ ثَابِتٍ كَمَا قَالَهُ الرَّازِيُّ فِى الْمَحْصُولِ وَغَيْرُهُ مِنَ الأُصُولِيِّينَ وَلَيْسَ هُنَا دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ**) وَالسَّمْعِىُّ مَا كَانَ قُرْءَانًا أَوْ حَدِيثًا لِأَنَّ طَرِيقَهُ السَّمْعُ أَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِىُّ فَيَكُونُ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ بِالْعَقْلِ (**وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ**) مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ (**أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**) أَىْ حَيْثُ يَصِلُ نَظَرُهُ يَضَعُ رِجْلَهُ كُلُّ خَطْوَةٍ مِنْ خَطَوَاتِهِ تَسَعُ إِلَى مَدِّ الْبَصَرِ (**قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ**) أَىْ مِنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ اللَّذِيذِ الَّذِى لا يُسْكِرُ وَلا يُصْدِعُ الرَّأْسَ (**وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ**) أَىْ حَلِيبٍ (**فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ**) أَىْ تَمَسَّكْتَ بِالدِّينِ (**قَالَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ« إِلَى ءَاخِرِ الْحَدِيثِ. وَفِى الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقَظَةً إِذْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ نَامَ. أَمَّا رُؤْيَةُ النَّبِىِّ لِرَبِّهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِىُّ فِى الْمُعْجَمِ الأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ قَوِىٍّ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ**) فِى فَتْحِ الْبَارِى (**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا »رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ« وَرَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ بِإِسْنَادٍ قَوِىٍّ »رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ« وَالْمُرَادُ أَنَّهُ رَءَاهُ بِقَلْبِهِ بِدَلِيلِ حَدِيثِ مُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِى الْعَالِيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قَالَ »رَأَى رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ«**) فَاللَّهُ تَعَالَى أَزَالَ عَنْ قَلْبِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحِجَابَ فَرَأَى اللَّهَ تَعَالَى بِقَلْبِهِ أَىْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ قُوَّةَ الرُّؤْيَةِ وَالنَّظَرِ بِقَلْبِهِ فَرَأَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ لِأَنَّ اللَّهَ لا يُرَى فِى الدُّنْيَا بِالْعَيْنِ وَلَوْ كَانَ يَرَاهُ أَحَدٌ بِالْعَيْنِ لَكَانَ رَءَاهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**« رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كَمَا يُفْهَمُ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى لِسَيِّدِنَا مُوسَى ﴿**لَنْ تَرَانِى**﴾. وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »**لا يُرَى الْبَاقِى بِالْعَيْنِ الْفَانِيَةِ وَإِنَّمَا يُرَى بِالْعَيْنِ الْبَاقِيَةِ فِى الآخِرَةِ**« أَىْ بِعُيُونَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّتِى لا يَلْحَقُهَا الْفَنَاءُ لِأَنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ أَبَدَ الآبِدِينَ (**تَنْبِيهٌ قَالَ الْغَزَالِىُّ فِى إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ »الصَّحِيحُ أَنَّ النَّبِىَّ لَمْ يَرَ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ« وَمُرَادُهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ إِذْ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَأَيْتُهُ بِعَيْنِى وَلا أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ أَوِ التَّابِعِينَ أَوْ أَتْبَاعِهِمْ قَالَ رَءَاهُ بِعَيْنَىْ رَأْسِهِ**) وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِعَيْنَىْ رَأْسِهِ فَهَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ وَمَنْ قَالَهُ لا يُبَدَّعُ وَلا يُفَسَّقُ لِأَنَّهُ قَالَ بِهِ جَمْعٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ فَمَنْ قَالَ بِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ هَذَا الْقَوْلُ مَرْجُوحٌ وَالْقَوْلُ الرَّاجِحُ أَنَّهُ رَءَاهُ بِفُؤَادِهِ أَىْ بِقَلْبِهِ لا بِعَيْنَيْهِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ أَبِى ذَرٍّ الْغِفَارِىِّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ »**رَءَاهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ**« وَنَحْنُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ.

## وَجْهُ دِلالَةِ الْمُعْجِزَةِ عَلَى صِدْقِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(**الأَمْرُ الْخَارِقُ الَّذِى يَظْهَرُ عَلَى يَدِ مَنِ ادَّعَوُا النُّبُوَّةَ مَعَ التَّحَدِّى**) أَىْ مَعَ كَوْنِهِ صَالِحًا لِلتَّحَدِّى (**مَعَ عَدَمِ مُعَارَضَتِهِ بِالْمِثْلِ نَازِلٌ مَنْزِلَةَ قَوْلِ اللَّهِ صَدَقَ عَبْدِى فِى كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّى**) أَىْ كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ صَدَقَ عَبْدِى مُوسَى فِى كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّى صَدَقَ عَبْدِى عِيسَى فِى كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّى صَدَقَ عَبْدِى مُحَمَّدٌ فِى كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّى (**أَىْ لَوْلا أَنَّهُ صَادِقٌ فِى دَعْوَاهُ لَمَا أَظْهَرَ اللَّهُ لَهُ هَذِهِ الْمُعْجِزَةَ فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ صَدَقَ عَبْدِى هَذَا الَّذِى ادَّعَى النُّبُوَّةَ فِى دَعْوَاهُ لِأَنِّى أَظْهَرْتُ لَهُ هَذِهِ الْمُعْجِزَةَ لِأَنَّ الَّذِى يُصَدِّقُ الْكَاذِبَ كَاذِبٌ وَاللَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا خَلَقَهُ لِتَصْدِيقِهِ إِذْ كُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى وَقَلْبَ الْعَصَا ثُعْبَانًا وَإِخْرَاجَ نَاقَةٍ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ بِمُعْتَادٍ**).

**السَّبِيلُ إِلَى الْعِلْمِ بِالْمُعْجِزَةِ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ**

الْمُعْجِزَةُ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ الأَنْبِيَاءِ فِى كُلِّ مَا جَاؤُوا بِهِ وَهِىَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِهِمْ شَرْعًا وَعَقْلًا وَ(**الْعِلْمُ بِالْمُعْجِزَاتِ يَحْصُلُ بِالْمُشَاهَدَةِ لِمَنْ شَاهَدُوهَا وَبِبُلُوغِ خَبَرِهَا بِطَرِيقِ التَّوَاتُرِ فِى حَقِّ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا**) وَخَبَرُ التَّوَاتُرِ لا يَكُونُ إِلَّا صِدْقًا وَالْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ هُوَ أَنْ يُخْبِرَ عَدَدٌ كَثِيرٌ عَنْ جَمْعٍ كَثِيرٍ بِحَادِثَةٍ قَوْلِيَّةٍ أَوْ فِعْلِيَّةٍ بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ عَادَةً أَنْ يَتَوَاطَؤُوا عَلَى الْكَذِبِ (**وَذَلِكَ**) كَالأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ بَيْنَ النَّاسِ عَنْ وُجُودِ فِرْعَوْنَ فِيمَا مَضَى وَ(**كَعِلْمِنَا بِالْبُلْدَانِ النَّائِيَةِ**) الَّتِى لَمْ نُشَاهِدْهَا (**وَالْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ الثَّابِتَةِ الْوَاقِعَةِ لِمَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْمُلُوكِ وَالأُمَمِ**) وَالأَخْبَارِ عَنْ إِنْسَانٍ اسْمُهُ لِينِينَ وَضَعَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَبَادِئِ فَيُقَالُ لِلْمُعْتَرِضِ فَكَمَا أَنْتَ صَدَّقْتَ بِهَذَا نَحْنُ صَدَّقْنَا بِالْمُعْجِزَاتِ أَمَّا أَنْ تُؤْمِنَ بِخَبَرِ لِينِينَ مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَرَهُ وَلا تُؤْمِنَ بِأَنَّ النَّبِىَّ حَصَلَ لَهُ كَذَا فَهَذَا تَحَكُّمٌ لَيْسَ مُجَارَاةً لِلْوَاقِعِ (**وَالْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ يَقُومُ مَقَامَ الْمُشَاهَدَةِ**) أَىْ مِثْلُ الْمُشَاهَدَةِ لِمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ لِأَنَّ أَصْلَهُ مُشَاهَدَةٌ (**فَوَجَبَ الإِذْعَانُ لِمَنْ أَتَى بِهَا**) مِنَ الأَنْبِيَاءِ (**عَقْلًا كَمَا أَنَّهُ وَاجِبٌ شَرْعًا**).

## الإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَسُؤَالِهِ

(**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾**) أَىْ أَنَّ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَىْ أَتْبَاعَهُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ فِى الْبَرْزَخِ أَىْ فِى مُدَّةِ الْقَبْرِ وَالْبَرْزَخُ مَا بَيْنَ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ عَرْضًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلُوهَا حَتَّى يَمْتَلِئُوا رُعْبًا أَوَّلَ النَّهَارِ مَرَّةً وَءَاخِرَ النَّهَارِ مَرَّةً (**﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾**) وَوَقْتُ الْغَدَاةِ مِنَ الصُّبْحِ إِلَى الضُّحَى وَأَمَّا الْعَشِىُّ فَهُوَ وَقْتُ الْعَصْرِ ءَاخِرَ النَّهَارِ (**﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾**) أَىْ يُقَالُ لِلْمَلائِكَةِ (**﴿أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾**) وَءَالُ فِرْعَوْنَ هُمُ الَّذِينَ عَبَدُوهُ وَاتَّبَعُوهُ فِى أَحْكَامِهِ الْجَائِرَةِ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَقَارِبَهُ (**وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾**) أَىْ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى إِذَا مَاتُوا يَتَعَذَّبُونَ فِى قُبُورِهِمْ وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِـ﴿**مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾ أَىِ الْمَعِيشَةَ الضَّيِّقَةَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِـ﴿**مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾ مَعِيشَةً قَبْل الْمَوْتِ إِنَّمَا الْمُرَادُ حَالُهُمْ فِى الْبَرْزَخِ (**فَهَاتَانِ الآيَاتَانِ وَارِدَتَانِ فِى عَذَابِ الْقَبْرِ لِلْكُفَّارِ**) الأُولَى صَرِيحَةٌ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَقَدْ عُرِفَ كَوْنُ الْمُرَادِ بِهَا عَذَابَ الْقَبْرِ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ إِلَى النَّبِىِّ هُوَ فَسَّرَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿**مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ (**وَأَمَّا عُصَاةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ التَّوْبَةِ فَهُمْ صِنْفَانِ صِنْفٌ يُعْفِيهِمُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَصِنْفٌ يُعَذِّبُهُمْ ثُمَّ يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ وَيُؤَخِّرُ لَهُمْ بَقِيَّةَ عَذَابِهِمْ إِلَى الآخِرَةِ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِىُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِىُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِى كَبِيرِ إِثْمٍ**) أَىْ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ بِحَسَبِ مَا يَرَى النَّاسُ لَيْسَ ذَنْبُهُمَا شَيْئًا كَبِيرًا لَكِنَّهُ فِى الْحَقِيقَةِ ذَنْبٌ كَبِيرٌ لِذَلِكَ (**قَالَ بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ**) وَهِىَ نَقْلُ الْكَلامِ بَيْنَ اثْنَيْنِ لِلإِفْسَادِ بَيْنَهُمَا يَقُولُ لِهَذَا فُلانٌ قَالَ عَنْكَ كَذَا وَيَقُولُ لِلآخَرِ فُلانٌ قَالَ عَنْكَ كَذَا لِيُوقِعَ بَيْنَهُمَا الشَّحْنَاءَ (**وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ**) أَىْ كَانَ يَتَلَوَّثُ بِالْبَوْلِ وَهَذَا مِنَ الْكَبَائِرِ فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »**اسْتَنْزِهُوا مِنَ الْبَوْلِ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ**« رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِىُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ مَعْنَاهُ تَحَفَّظُوا مِنَ الْبَوْلِ لِئَلَّا يُلَوِّثَكُمْ لِأَنَّ أَكْثَرَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ (**ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ اثْنَيْنِ فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ »لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا«. وَاعْلَمْ أَنَّهُ ثَبَتَ فِى الأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ عَوْدُ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ فِى الْقَبْرِ كَحَدِيثِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ الَّذِى رَوَاهُ الْحَاكِمُ**) فِى الْمُسْتَدْرَكِ (**وَالْبَيْهَقِىُّ**) فِى شُعَبِ الإِيمَانِ (**وَأَبُو عَوَانَةَ وَصَحَّحَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ**) وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ فِيهِ »**وَيُعَادُ الرُّوحُ إِلَى جَسَدِهِ**« (**وَحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا »مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِى الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ« رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ**) فِى التَّمْهِيدِ وَالاِسْتِذْكَارِ (**وَ**)الْحَافِظُ (**عَبْدُ الْحَقِّ الإِشْبِيلِىُّ وَصَحَّحَهُ فَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ رُجُوعَ الرُّوحِ إِلَى الْبَدَنِ كُلِّهِ وَذَلِكَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَوْ إِلَى بَعْضِهِ**) وَعَوْدُ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ ثَابِتٌ فِى حَقِّ كُلِّ الأَشْخَاصِ الصَّالِحِينَ وَالطَّالِحِينَ (**وَيَتَأَكَّدُ عَوْدُ الْحَيَاةِ فِى الْقَبْرِ إِلَى الْجَسَدِ مَزِيدَ تَأَكُّدٍ فِى حَقِّ الأَنْبِيَاءِ فَإِنَّهُ وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِى قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ« صَحَّحَهُ الْبَيْهَقِىُّ وَأَقَرَّهُ الْحَافِظُ**) ابْنُ حَجَرٍ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا ثَابِتٌ لِكُلِّ نَبِىٍّ وَأَمَّا غَيْرُهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ فَقَدْ يَحْصُلُ لِبَعْضِهِمْ لَكِنَّهُ لَيْسَ عَامًّا كَمَا حَصَلَ لِلتَّابِعِىِّ الْجَلِيلِ ثَابِتٍ الْبُنَانِىِّ فَقَدْ شُوهِدَ فِى قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ يُصَلِّى (**وَرَوَى الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ »إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ**) وَلَفْظُ الإِشَارَةِ الْمَذْكُورُ فِى هَذَا الْحَدِيثِ فِى قَوْلِهِ »**مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ**« لَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ فِى تِلْكَ السَّاعَةِ يَكُونُ ظَاهِرًا مَرْئِيًّا مُشَاهَدًا وَإِنَّمَا هَذِهِ الإِشَارَةُ تُسَمَّى إِشَارَةً لِلْمَعْهُودِ الذِّهْنِىِّ (**فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ** أَىِ الْكَامِلُ **فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ**) أَىْ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مِثَالُ النَّارِ وَمِثَالُ الْجَنَّةِ فِى الْقَبْرِ (**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا**) فَيَعْرِفُ فَضْلَ الإِسْلامِ حِينَ ذَلِكَ مَعْرِفَةً عِيَانِيَّةً كَمَا كَانَ يَعْرِفُ فِى الدُّنْيَا مَعْرِفَةً قَلْبِيَّةً أَمَّا شَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ فَإِنَّ رُوحَهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَوْرًا (**وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لا أَدْرِى كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ فَيُقَالُ لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ**) أَىْ لا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا قِيلَ وَلا تَلَيْتَ لِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْمَعْنَى وَاحِدٌ (**ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ**) أَىْ أَنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَضْرِبَانِهِ بِهَذِهِ الْمِطْرَقَةِ ضَرْبَةً لَوْ ضُرِبَ بِهَا الْجَبَلُ لَانْدَكَّ (**فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ**) مِنْ بَهَائِمَ وَطُيُورٍ (**إِلَّا الثَّقَلَيْنِ«**) وَهُمُ الإِنْسُ وَالْجِنُّ فَإِنَّ اللَّهَ حَجَبَ عَنْهُمْ ذَلِكَ (**وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فَتَّانَىِ الْقَبْرِ**) وَالْفَتَّانُ هُوَ الْمُمْتَحِنُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ سُمِّيَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمَا يَمْتَحِنَانِ النَّاسَ. مُنْكَرٌ مَعْنَاهُ هَذِهِ الْهَيْئَةُ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ هَيْئَتُهُمَا تَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْمَلائِكَةِ وَعَنِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ هَذَا مَعْنَى مُنْكَرٍ وَلَيْسَ مَعْنَاهُ بَاطِلًا وَسُؤَالُ الْقَبْرِ خَاصٌّ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَنْ يُسْأَلَ الْمَيِّتُ مَاذَا تَقُولُ فِى مُوسَى مَاذَا تَقُولُ فِى عِيسَى وَإِنَّمَا هَذَا زِيَادَةٌ فِى شَرْعِ مُحَمَّدٍ (**فَقَالَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَتُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا**) يَعْنِى عِنْدَ السُّؤَالِ (**يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ »نَعَمْ كَهَيْئَتِكُمُ الْيَوْمَ«**) أَىْ يَكُونُ الْجَوَابُ مِنَ الْجِسْمِ مَعَ الرُّوحِ (**قَالَ فَبِفِيهِ الْحَجَرُ**) أَىْ ذَاكَ الْخَبَرُ الَّذِى لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ وَسَكَتَ وَانْقَطَعَ عَنِ الْكَلامِ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَهُ حُجَّةٌ عَلَى مَا كَانَ يَظُنُّ هُوَ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ لا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ عُقُولُهُمْ فَلَمَّا قَالَ لَهُ الرَّسُولُ بِأَنَّهُ تُرَدُّ عَلَيْهِمْ عُقُولُهُمْ عَرَفَ خَطَأَ ظَنِّهِ (**وَ**)أَخْرَجَ التِّرْمِذِىُّ فِى سُنَنِهِ (**عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوِ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ**) أَىْ لَوْنُهُمَا لَيْسَ مِنَ السَّوَادِ الْخَالِصِ بَلْ مِنَ الأَسْوَدِ الْمَمْزُوجِ بِالزُّرْقَةِ وَهَذَا يَكُونُ أَخْوَفَ مَا يَكُونُ مِنَ الأَلْوَانِ حَتَّى يَفْزَعَ الْكَافِرُ مِنْهُمَا (**يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مُنْكَرٌ وَلِلآخَرِ نَكِيرٌ**) وَقَدْ سُمِّيَا مُنْكَرًا وَنَكِيرًا لِأَنَّ الَّذِى يَرَاهُمَا يَفْزَعُ مِنْهُمَا (**فَيَقُولانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ**) يُسَمِّيَانِ الرَّسُولَ بِاسْمِهِ وَلَيْسَ الرَّسُولُ شَاهِدًا حَاضِرًا لِلسُّؤَالِ (**فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ**) قَبْلَ الْمَوْتِ (**فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا**) أَىْ كَامِلًا (**قَالَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**) اللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُهُ وَيُقْدِرُهُ عَلَى الْجَوَابِ (**فَيَقُولانِ لَهُ إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ**) أَىْ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ (**أَنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ**) وَلَمْ يَرِدْ مَاذَا تَقُولُ الْمَلائِكَةُ لِلْعَاصِى بَعْدَمَا يَشْهَدُ بِنُبُوَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ**) أَىْ لِلْمُؤْمِنِ التَّقِىِّ (**فِى قَبْرِهِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا**) طُولًا (**فِى سَبْعِينَ ذِرَاعًا**) عَرْضًا وَذَلِكَ بِذِرَاعِ الْيَدِ (**وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ فَيُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمِ الْعَرُوسِ الَّذِى لا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ**) إِلَيْهِ أَىْ لا يُحِسُّ بِقَلَقٍ وَلا وَحْشَةٍ (**حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. فَإِنْ كَانَ**) الْمَيِّتُ (**مُنَافِقًا**) وَهُوَ الَّذِى يُبْطِنُ الْكُفْرَ وَيَتَظَاهَرُ بِالإِسْلامِ (**قَالَ لا أَدْرِى كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَكُنْتُ أَقُولُهُ**) فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَجُوزُ لِلْمَلَكَيْنِ فِى الْقَبْرِ أَنْ يَسْأَلا الْكَافِرَ وَهُمَا يَعْلَمَانِ أَنَّهُ سَيُجِيبُ لا أَدْرِى فَالْجَوَابُ أَنَّهُ يُجِيبُ مُخْبِرًا عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُهُ فِى الْمَاضِى قَبْلَ الْمَوْتِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَقِدَ الآنَ أَنَّهُ حَقٌّ (**فَيَقُولانِ لَهُ إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ الْتَئِمِى فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ**) فَيَضِيقُ عَلَيْهِ الْقَبْرُ (**حَتَّى تَخْتَلِفَ**) أَىْ تَتَشَابَكَ (**أَضْلاعُهُ فَلا يَزَالُ**) هَذَا الْعَبْدُ (**مُعَذَّبًا**) بِهَذَا الْعَذَابِ (**حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ«**) ثُمَّ بَعْدَ أَنْ يُبْعَثَ يُعَذَّبُ بِأَشْيَاءَ غَيْرِ الَّتِى كَانَ يُعَذَّبُ بِهَا وَهُوَ فِى الْقَبْرِ ثُمَّ بَعْدَ دُخُولِهِ النَّارَ يَكُونُ أَشَدَّ وَأَشَدَّ (**وَالْحَدِيثَانِ رَوَاهُمَا ابْنُ حِبَّانَ وَصَحَّحَهُمَا فَفِى الأَوَّلِ مِنْهُمَا إِثْبَاتُ عَوْدِ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ فِى الْقَبْرِ وَالإِحْسَاسِ وَفِى الثَّانِى إِثْبَاتُ اسْتِمْرَارِ الرُّوحِ فِى الْقَبْرِ وَإِثْبَاتُ النَّوْمِ وَذَلِكَ مَا لَمْ يَبْلَ الْجَسَدُ. وَهَذَا النَّعِيمُ لِلْمُؤْمِنِ الْقَوِىِّ وَهُوَ الَّذِى يُؤَدِّى الْفَرَائِضَ وَيَجْتَنِبُ الْمَعَاصِىَ وَهُوَ الَّذِى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ »الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ**) أَىْ بِالنِّسْبَةِ لِمَا يَلْقَاهُ مِنَ النَّعِيمِ فِى الآخِرَةِ الدُّنْيَا كَالسِّجْنِ (**وَسَنَتُهُ**) أَىْ دَارُ جُوعٍ وَبَلاءٍ (**فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ وَالسَّنَةَ« حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ، يَعْنِى الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ. ثُمَّ إِذَا بَلِىَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَجْبُ الذَّنَبِ**) وَهُوَ عَظْمٌ صَغِيرٌ قَدْرُ حَبَّةِ خَرْدَلَةٍ لا يَبْلَى وَلَوْ سُلِّطَ عَلَيْهِ نَارٌ شَدِيدَةٌ وَقَدْ وَرَدَ فِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ »**مِنْهُ خُلِقَ الإِنْسَانُ وَعَلَيْهِ يُرَكَّبُ**« أَىْ أَنَّ سَائِرَ الْعِظَامِ تُرَكَّبُ عَلَى هَذَا الْعَظْمِ الصَّغِيرِ (**يَكُونُ رُوحُ الْمُؤْمِنِ التَّقِىِّ فِى الْجَنَّةِ وَتَكُونُ أَرْوَاحُ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ أَهْلِ الْكَبَائِرِ الَّذِينَ مَاتُوا بِلا تَوْبَةٍ بَعْدَ بِلَى الْجَسَدِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَبَعْضُهُمْ فِى السَّمَاءِ الأُولَى وَتَكُونُ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ بَعْدَ بِلَى الْجَسَدِ فِى سِجِّينَ وَهُوَ مَكَانٌ فِى الأَرْضِ السُّفْلَى وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ**) الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ (**فَتَصْعَدُ أَرْوَاحُهُمْ فَوْرًا إِلَى الْجَنَّةِ**) وَقَدْ وَرَدَ فِى الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ »**أَرْوَاحُهُمْ فِى جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِى إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ**« وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ فِى حَوْصَلَةِ هَذِهِ الطُّيُورِ يَطِيرُونَ فِى الْجَنَّةِ وَيَأْكُلُونَ مِنْ ثِمَارِهَا أَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَأْخُذُ مُتَبَوَّأَهُ الْخَاصَّ لا يَدْخُلُونَ فِى حَوَاصِلِ الطُّيُورِ الَّتِى فِى الْجَنَّةِ. وَالأَوْلِيَاءُ وَالْوَلِيَّاتُ بَعْدَمَا يَأْكُلُ التُّرَابُ أَجْسَادَهُمْ أَرْوَاحُهُمْ تَصْعَدُ إِلَى الْجَنَّةِ فَتَسْرَحُ فِى الْجَنَّةِ بِشَكْلِ طَائِرٍ لَيْسَ بِشَكْلِ جَسَدِهِ الَّذِى كَانَ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا الرُّوحُ يَتَشَكَّلُ بِشَكْلِ طَائِرٍ فَيَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ بَعْدَ الْبَعْثِ تَعُودُ الأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ءَامِنِينَ وَفِى ذَلِكَ وَرَدَ الْحَدِيثُ »**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِى شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**« رَوَاهُ مَالِكٌ، أَرْوَاحُهُمْ بَعْدَ بِلَى أَجْسَامِهِمْ تَكُونُ فِى الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ لَكِنْ لا يَتَبَوَّؤُنَ الْمَكَانَ الَّذِى هُىِّءَ لَهُمْ لِيَدْخُلُوهُ فِى الآخِرَةِ (**تَنْبِيهٌ يُسْتَثْنَى مِنَ السُّؤَالِ النَّبِىُّ وَالشَّهِيدُ أَىْ شَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ وَكَذَلِكَ الطِّفْلُ أَىِ الَّذِى مَاتَ دُونَ الْبُلُوغِ فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يُمْكِنُ سُؤَالُ عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الأَمْوَاتِ فَالْجَوَابُ مَا قَالَ الْحَلِيمِىُّ »إِنَّ الأَشْبَهَ أَنْ يَكُونَ مَلائِكَةُ السُّؤَالِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً يُسَمَّى بَعْضُهُمْ مُنْكَرًا وَبَعْضُهُمْ نَكِيرًا فَيُبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَيِّتٍ اثْنَانِ مِنْهُمْ«**) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُعْطِىَ اللَّهُ لِهَؤُلاءِ أَشْبَاحًا فَيَحْضُرَانِ إِلَى كُلِّ مَيِّتٍ بِشَبَحَيْنِ إِمَّا بِالشَّبَحِ الأَصْلِىِّ وَإِمَّا بِالشَّبَحِ الْفَرْعِىِّ.

## حُكْمُ مُنْكِرِ عَذَابِ الْقَبْرِ

(**وَيَكْفُرُ مُنْكِرُ عَذَابِ الْقَبْرِ لِقَوْلِ اللَّهِ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ بِخِلافِ مُنْكِرِ سُؤَالِهِ فَلا يُكَفَّرُ**) بَلْ يُفَسَّقُ (**إِلَّا أَنْ يَكُونَ**) إِنْكَارُهُ (**عَلَى وَجْهِ الْعِنَادِ**) كَأَنْ سَمِعَ بِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْبَتَ ذَلِكَ وَمَعَ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ.

## الْبَعْثُ

(**الْبَعْثُ حَقٌّ**) وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الْقَاطِعَةِ بِحَشْرِ الأَجْسَادِ (**وَهُوَ خُرُوجُ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ إِعَادَةِ الْجَسَدِ الَّذِى أَكَلَهُ التُّرَابُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَجْسَادِ الَّتِى يَأْكُلُهَا التُّرَابُ وَهِىَ أَجْسَادُ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَشُهَدَاءِ الْمَعْرَكَةِ وَبَعْضِ الأَوْلِيَاءِ لِمَا تَوَاتَرَ مِنْ مُشَاهَدَةِ بَعْضِ الأَوْلِيَاءِ. وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ مِنْ أَوَّلِ مَنْ يُبْعَثُ**) وَإِنَّمَا قِيلَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ يُبْعَثُ لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ يُبْعَثُ.

## الْحَشْرُ

(**وَالْحَشْرُ حَقٌّ وَهُوَ أَنْ يُجْمَعُوا بَعْدَ الْبَعْثِ إِلَى مَكَانٍ**) وَبَرُّ الشَّامِ هِىَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَيْهَا الْعِبَادُ وَأُمُّ بَرِّ الشَّامِ فِلَسْطِينُ فَهِىَ الأَصْلُ لِأَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَكْثَرُهُمْ كَانُوا فِى فِلَسْطِينَ (**وَيَكُونُ**) الْحَشْرُ (**عَلَى الأَرْضِ الْمُبَدَّلَةِ وَهِىَ أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ كَالْجِلْدِ الْمَشْدُودِ لا جِبَالَ فِيهَا وَلا وِدْيَانَ أَكْبَرُ وَأَوْسَعُ مِنْ أَرْضِنَا هَذِهِ بَيْضَاءُ كَالْفِضَّة وَيَكُونُ الْحَشْرُ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْوَالٍ**) أَىْ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى الْحَشْرِ يَكُونُونَ عَلَى هَذِهِ الأَحْوَالِ الثَّلاثَةِ (**قِسْمٌ**) مِنَ النَّاسِ يُحْشَرُونَ (**طَاعِمُونَ كَاسُونَ رَاكِبُونَ عَلَى نُوقٍ رَحَائِلُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَهُمُ الأَتْقِيَاءُ وَقِسْمٌ**) يُحْشَرُونَ وَهُمْ (**حُفَاةٌ عُرَاةٌ وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ وَقِسْمٌ يُحْشَرُونَ وَيُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَهُمُ الْكُفَّارُ**).

## الْحِسَابُ

(**وَالْحِسَابُ حَقٌّ وَهُوَ عَرْضُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ**) أَىِ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ كُلٌّ مَعَهُ كِتَابُهُ الَّذِى كُتِبَ فِيهِ مَا عَمِلَ (**وَيَكُونُ**) الْحِسَابُ (**بِتَكْلِيمِ اللَّهِ لِلْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ**) وَالْعِبَادُ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ الأَزَلِىَّ الَّذِى لا يُشْبِهُ كَلامَ الْعَالَمِينَ (**فَيَفْهَمُونَ مِنْ كَلامِ اللَّهِ السُّؤَالَ عَمَّا فَعَلُوا بِالنِّعَمِ الَّتِى أَعْطَاهُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا فَيُسَرُّ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ وَلا يُسَرُّ الْكَافِرُ لِأَنَّهُ لا حَسَنَةَ لَهُ فِى الآخِرَةِ بَلْ يَكَادُ يَغْشَاهُ الْمَوْتُ**) وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ وَالِانْزِعَاجُ وَالْخَجَلُ وَالتَّضَايُقُ وَالْقَلَقُ وَأَمَّا عُصَاةُ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُونَ عَلَى حَالَيْنِ قِسْمٌ مِنْهُمْ يُصِيبُهُمْ خَوْفٌ وَانْزِعَاجٌ وَقِسْمٌ لا يُصِيبُهُمْ ذَلِكَ (**فَقَدْ وَرَدَ فِى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ »مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ« رَوَاهُ أَحْمَدُ**) فِى مُسْنَدِهِ (**وَالتِّرْمِذِىُّ**) فِى سُنَنِهِ.

**الْمِيزَانُ**

(**وَالْمِيزَانُ حَقٌّ**) قَالَ تَعَالَى ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ (**وَهُوَ كَمِيزَانِ الدُّنْيَا لَهُ قَصَبَةٌ وَعَمُودٌ وَكَفَّتَانِ كَفَّةٌ لِلْحَسَنَاتِ وَكَفَّةٌ لِلسَّيِّئَاتِ تُوزَنُ بِهِ الأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالَّذِى يَتَوَلَّى وَزْنَهَا جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَمَا يُوزَنُ إِنَّمَا هُوَ الصَّحَائِفُ الَّتِى كُتِبَ عَلَيْهَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ وَمَنْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ أَيْضًا وَلَكِنَّهُ أَقَلُّ رُتْبَةً مِنَ الطَّبَقَةِ الأُولَى وَأَرْفَعُ مِنَ الثَّالِثَةِ**) وَيُؤَخَّرُ بُرْهَةً عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَدْخُلُ يَكُونُ عَلَى الأَعْرَافِ عَلَى أَعْلَى سُورِ الْجَنَّةِ، الْجَنَّةُ لَهَا سُورٌ يُحِيطُ بِهَا وَسُورُهَا عَرِيضٌ وَاسِعٌ (**وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ فَهُوَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَرْجَحُ كَفَّةُ سَيِّئَاتِهِ لا غَيْرَ لِأَنَّهُ لا حَسَنَاتَ لَهُ فِى الآخِرَةِ لِأَنَّهُ أُطْعِمَ بِحَسَنَاتِهِ فِى الدُّنْيَا**).

**الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ**

(**الثَّوَابُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ لَيْسَ بِحَقٍّ لِلطَّائِعِينَ وَاجِبٍ عَلَى اللَّهِ وَإِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنْهُ وَهُوَ الْجَزَاءُ الَّذِى يُجْزَى بِهِ الْمُؤْمِنُ مِمَّا يَسُرُّهُ فِى الآخِرَةِ. وَالْعِقَابُ لا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ أَيْضًا إِيقَاعُهُ لِلْعُصَاةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَدْلٌ مِنْهُ وَهُوَ مَا يَسُوءُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ أَكْبَرَ وَأَصْغَرَ فَالْعِقَابُ الأَكْبَرُ هُوَ دُخُولُ النَّارِ وَالْعِقَابُ الأَصْغَرُ مَا سِوَى ذَلِكَ كَأَذَى حَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّهَا تُسَلَّطُ عَلَى الْكُفَّارِ فَيَعْرَقُونَ حَتَّى يَصِلَ عَرَقُ أَحَدِهِمْ إِلَى فِيهِ وَلا يَتَجَاوَزُ عَرَقُ هَذَا الشَّخْصِ إِلَى شَخْصٍ ءَاخَرَ بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُولَ الْكَافِرُ مِنْ شِدَّةِ مَا يُقَاسِي مِنْهَا رَبِّ أَرِحْنِى وَلَوْ إِلَى النَّارِ وَيَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ الأَتْقِيَاءُ تِلْكَ السَّاعَةَ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ »سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ« أَىْ فِى ظِلِّ عَرْشِهِ**) رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَغَيْرُهُ وَتَمَامُ الْحَدِيثِ »**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**« وَيَلْتَحِقُ بِهِمْ أُنَاسٌ ءَاخَرُونَ ذُكِرُوا فِى أَحَادِيثَ أُخْرَى صَحِيحَةٍ.

**الصِّرَاطُ**

(**وَالصِّرَاطُ حَقٌّ وَهُوَ جِسْرٌ عَرِيضٌ مَمْدُودٌ عَلَى جَهَنَّمَ تَرِدُ عَلَيْهِ الْخَلائِقُ فَمِنْهُمْ مِنْ يَرِدُهُ وُرُودَ دُخُولٍ وَهُمُ الْكُفَّارُ وَبَعْضُ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ أَىْ يَزِلُّونَ مِنْهُ إِلَى جَهَنَّمَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِدُهُ وُرُودَ مُرُورٍ فِى هَوَائِهِ فَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفَةِ عَيْنٍ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ وَأَحَدُ طَرَفَيْهِ فِى الأَرْضِ الْمُبَدَّلَةِ وَالآخَرُ فِيمَا يَلِى الْجَنَّةَ وَقَدْ وَرَدَ فِى صِفَتِهِ أَنَّهُ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ**) أَىْ أَمْلَسُ تَزِلُّ مِنْهُ الأَقْدَامُ (**وَمِمَّا وَرَدَ أَنَّهُ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ »بَلَغَنِى أَنَّهُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ« وَلَمْ يَرِدْ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ ظَاهِرَهُ بَلْ هُوَ عَرِيضٌ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ خَطَرَهُ عَظِيمٌ فَإِنَّ يُسْرَ الْجَوَازِ عَلَيْهِ وَعُسْرَهُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِى وَلا يَعْلَمُ حُدُودَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ وَرَدَ فِى الصَّحِيحِ**) أَىْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ (**أَنَّهُ تَجْرِى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ مَعْنَاهُ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ تَصِيرُ لَهُمْ قُوَّةَ السَّيْرِ**).

**الْحَوْضُ**

(**وَالْحَوْضُ حَقٌّ وَهُوَ مَكَانٌ أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِ شَرَابًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَشْرَبُونَ مِنْهُ قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَبَعْدَ مُجَاوَزَةِ الصِّرَاطِ فَلِنَبِيِّنَا حَوْضٌ تَرِدُهُ أُمَّتُهُ فَقَطْ لا تَرِدُهُ أُمَمُ غَيْرِهِ طُولُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَعَرْضُهُ كَذَلِكَ ءَانِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ شَرَابُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**) رَوَى الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**حَوْضِى مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لا يَظْمَأُ أَبَدًا**« (**وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِكُلِّ نَبِىٍّ حَوْضًا وَأَكْبَرُ الأَحْوَاضِ حَوْضُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**).

**صِفَةُ الْجَنَّةِ**

(**وَالْجَنَّةُ حَقٌّ**) أَىْ وُجُودُهَا ثَابِتٌ (**فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِهَا وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ الآنَ كَمَا يُفْهَمُ ذَلِكَ مِنَ الْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ**) وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ مِنْهَا بَابُ الرَّيَّانِ الَّذِى يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ (**وَهِىَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لَيْسَتْ مُتَّصِلَةً بِهَا**) بَلْ هِىَ مُنْفَصِلَةٌ عَنْهَا بِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَلَهَا أَرْضُهَا الْمُسْتَقِلَّةُ (**وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمٰنِ**) كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ »**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ** أَىِ الْجَنَّةَ **فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ** **فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ**« (**وَأَهْلُهَا عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ ءَادَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا طُولًا فِى سَبْعَةِ أَذْرُعٍ عَرْضًا جَمِيلُوا الصُّورَةِ**) حِسَانُ الْوُجُوهِ فَمَنْ كَانَ فِى الدُّنْيَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ دَمِيمًا تَذْهَبُ عَنْهُ دَمَامَتُهُ اللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ فِى الْجَنَّةِ كَجَمَالِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ يُعْطِيهِ شَبَهًا بِيُوسُفَ الصِّدِّيقِ فِى الْجَمَالِ وَالَّذِى كَانَ قَصِيرًا يَذْهَبُ عَنْهُ قِصَرُهُ. وَأَهْلُ الْجَنَّةِ (**جُرْدٌ مُرْدٌ**) لا تَنْبُتُ لَهُمْ لِحْيَةٌ وَلَيْسَ عَلَى أَذْرِعَتِهِمْ وَلا عَلَى بُطُونِهِمْ وَلا عَلَى سِيقَانِهِمْ شَعَرٌ إِلَّا شَعَرُ الرَّأْسِ وَالْحَاجِبِ وَالأَهْدَابِ (**فِى عُمْرِ ثَلاثَةٍ وَثَلاثِينَ عَامًا خَالِدُونَ فِيهَا لا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا**) رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا**« (**وَقَدْ صَحَّ الْحَدِيثُ بِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ ءَادَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِى السَّمَاءِ فِى سَبْعَةِ أَذْرُعٍ عَرْضًا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) لِأَصْحَابِهِ »**هَلْ مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا**« أَىْ لا مِثْلَ لَهَا ثُمَّ قَالَ (**فِى وَصْفِهَا »هِىَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِى مُقَامٍ أَبَدِىٍّ فِى حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ« رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ**) وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »**هِىَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ**« أَىْ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ عَلَى أَنَّهَا نُورٌ يَتَلَأْلَأُ أَىْ فَلا تَحْتَاجُ الْجَنَّةُ إِلَى شَمْسٍ وَلا قَمَرٍ لا ظَلامَ فِيهَا هُنَاكَ كَمَا فِى الدُّنْيَا، إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ نِسَاءِ الْجَنَّةِ كَمَا نَعَتَهَا رَسُولُ اللَّهِ وَوَصَفَهَا بِحَيْثُ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ فِيهَا ظَلامٌ. وَوَصَفَهَا الرَّسُولُ بِأَنَّهَا »**رَيْحَانَهٌ تَهْتَزُّ**« أَىْ ذَاتُ خُضْرَةٍ كَثِيرَةٍ يَانِعَةٍ أَىْ مُعْجِبَةِ الْمَنْظَرِ وَكُلُّ شَجَرَةٍ فِى الْجَنَّةِ سَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَأَشْجَارُ الْجَنَّةِ عِنْدَمَا تَتَحَرَّكُ يَصْدُرُ لَهَا صَوْتٌ جَمِيلٌ جِدًّا تَمِيلُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ. وَوَصَفَهَا الرَّسُولُ بِأَنَّهَا **»قَصْرٌ مَشِيدٌ**« أَىْ فِيهَا قُصُورٌ عَالِيَةٌ مُرْتَفِعَةٌ فِى الْهَوَاءِ وَقَدْ صَحَّ فِى الْحَدِيثِ أَنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِى الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ وَاحِدَةٍ طُولُهَا فِى السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا. وَفِى الْجَنَّةِ جَنَّتَانِ ءَانِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ ذَهَبٍ يَسْكُنُهُمَا الْمُقَرَّبُونَ وَهُنَاكَ أَيْضًا جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ ءَانِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا. وَقَدْ وَرَدَ فِى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِى أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ أَنَّ الْجَنَّةَ مِنْهَا مَا بِنَاؤُهُ لَبِنُ ذَهَبٍ وَلَبِنُ فِضَّةٍ وَهِىَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ »**جِنَانٌ كَثِيرَةٌ**« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ **»نَهْرٌ مُطَّرِدٌ**« أَىْ أَنْهَارٌ جَارِيَةٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**﴾ وَاللَّبَنُ الْمَذْكُورُ فِى الآيَةِ الْمُرَادُ بِهِ الْحَلِيبُ، وَالْخَمْرُ الَّذِى هُنَاكَ لا يُسْكِرُ وَلا يُغَيِّبُ الْعَقْلَ وَلا يُصْدِعُ الرَّأْسَ وَلَيْسَ مُرَّ الطَّعْمِ بَلْ هُوَ لَذِيذُ الطَّعْمِ جِدًّا، وَالْعَسَلُ الَّذِى هُنَاكَ غَيْرُ الْعَسَلِ الَّذِى تُخْرِجُهُ النَّحْلُ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ »**وَفَاكِهَةٌ نَضِيجَةٌ**« أَىْ أَنَّ فِيهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ كُلَّ مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الْفَوَاكِهِ نَضِيجٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ مَوَاسِمُ لِلثِّمَارِ بَلْ فِى أَىِّ وَقْتٍ مَا تَشْتَهِيهِ تَجِدُهُ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ**﴾ فَإِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ جَالِسًا أَوْ مُسْتَلْقِيًا فَاشْتَهَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةٍ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ مَالَتْ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَ مِنْهَا مَا يُرِيدُ ثُمَّ تَعُودُ كَمَا كَانَتْ وَقَدْ أَنْبَتَ اللَّهُ فِيهَا بَدَلَ الَّذِى أُخِذَ مِنْهَا، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ »**وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ**« فَقَدْ وَرَدَ فِى الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ »**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ**« وَالْحُورُ الْعِينُ نِسَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ الإِنْسِ خُلِقْنَ خَلْقًا مِنْ غَيْرِ تَوَالُدٍ إِكْرَامًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْحُورُ جَمْعُ حَوْرَاءَ مِنَ الْحَوَرِ وَهُوَ شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ وَشِدَّةُ سَوَادِهَا وَالْعِينُ جَمْعُ عَيْنَاءَ فَمَعْنَاهُ وَاسِعَاتُ الْعُيُونِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِى وَصْفِهِنَّ ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ وَهُنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ. وَجَاءَ فِى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الشَّهِيدَ لَهُ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً ثُمَّ سَائِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى مَرَاتِبَ مِنْهُمْ مَنْ عِنْدَهُ مِائَةٌ مِنَ النِّسَاءِ. ثُمَّ مَعَ كَثْرَةِ أَزْوَاجِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لا يَحْصُلُ بَيْنَ نِسَائِهِمْ تَبَاغُضٌ وَغَيْرَةٌ وَتَحَاسُدٌ لِأَنَّ اللَّهَ يُطَهِّرُ قُلُوبَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِى الْجَنَّةِ عَزَبٌ وَلا عَزَبَةٌ بَلْ كُلُّهُمْ يَتَزَوَّجُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**مَا فِى الْجَنَّةِ أَعْزَبُ**« رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ »**فِى مُقَامٍ أَبَدِىٍّ**« أَىْ فِى حَيَاةٍ دَائِمَةٍ لا نِهَايَةَ لَهَا، وَقَوْلُهُ »**فِى حَبْرَةٍ**« أَىْ سُرُورٍ دَائِمٍ، وَأَمَّا قَوْلُهُ »**نَضْرَةٍ**« فَمَعْنَاهُ أَنَّ وُجُوهَ أَهْلِهَا نَاضِرَةٌ أَىْ جَمِيلَةٌ لِأَنَّهُمْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فِيهَا كَآبَةٌ. وَفِى نِهَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ الصَّحَابَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ »**قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ**« وَذَلِكَ لِيُعَلِّمَهُمُ التَّفْوِيضَ إِلَى اللَّهِ فِى أُمُورِهِمْ كُلِّهَا فَهَنِيئًا لِمَنْ عَمِلَ لِآخِرَتِهِ فَإِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ لِنَعِيمِ الآخِرَةِ كَلا شَىْءٍ.

**صِفَةُ جَهَنَّمَ**

(**وَالنَّارُ حَقٌّ**) أَىْ وُجُودُهَا ثَابِتٌ (**فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِهَا وَبِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ الآنَ كَمَا يُفْهَمُ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ**) كَحَدِيثِ »**أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ وَأَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ وَأَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِىَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ**« رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ (**وَهِىَ مَكَانٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ لِعَذَابِ الْكُفَّارِ الَّذِى لا يَنْتَهِى أَبَدًا وَبَعْضِ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَكَانُهَا تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مُتَّصِلَةً بِهَا**) وَلَهَا أَرْضُهَا وَسَقْفُهَا الْمُسْتَقِلَّانِ (**وَيَزِيدُ** **اللَّهُ فِى حَجْمِ الْكَافِرِ فِى النَّارِ لِيَزْدَادَ عَذَابًا حَتَّى يَكُونَ ضِرْسُهُ كَجَبَلِ أُحُدٍ**) وَمَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ مَسِيرَةَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَلَوْ كَانَتْ خِلْقَتُهُمْ تَكُونُ كَمَا هِىَ فِى الدُّنْيَا لَذَابُوا بِلَحْظَةٍ (**وَهُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ أَبَدًا**) لا يَخْرُجُ مِنْهَا كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِى النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ وَ(**لا يَمُوتُ فِيهَا**) فَيَرْتَاحَ مِنَ العَذَابِ (**وَلا يَحْيَا أَىْ حَيَاةً فِيهَا رَاحَةٌ**) بَلْ هُوَ دَائِمًا فِى نَكَدٍ وَعَذَابٍ. وَأَهْلُ النَّارِ (**لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ**) وَهُوَ شَجَرٌ كَرِيهُ الْمَنْظَرِ كَرِيهُ الطَّعْمِ كَرِيهُ الرَّائِحَةِ قَالَ تَعَالَى ﴿**لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَّا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ**﴾ (**وَشَرَابُهُمْ مِنَ الْمَاءِ الْحَارِّ الْمُتَنَاهِى الْحَرَارَةِ**) قَالَ تَعَالَى ﴿**إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا**﴾ وَالْحَمِيمُ هُوَ الْمَاءُ الْمُتَنَاهِى فِى الْحَرَارَةِ وَالْغَسَّاقُ هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ يَسْقُونَهُمْ مِنْ هَذَا فَتَقَطَّعُ أَمْعَاؤُهُمْ (**وَأَمَّا كَوْنُ الْجَنَّةِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَذَلِكَ ثَابِتٌ فِيمَا صَحَّ مِنَ الْحَدِيثِ وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »وَفَوْقَهُ** يَعْنِى الْفِرْدَوْسَ **عَرْشُ الرَّحْمٰنِ« وَأَمَّا كَوْنُ جَهَنَّمَ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابِعَةِ فَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ فِى**) كِتَابِهِ (**الْمُسْتَدْرَكِ**) عَلَى الصَّحِيحَيْنِ (**إِنَّ ذَلِكَ جَاءَتْ فِيهِ رِوَايَاتٌ صَحِيحَةٌ**).

**الشَّفَاعَةُ**

(**وَالشَّفَاعَةُ حَقٌّ**) يَجِبُ الإِيمَانُ بِهَا (**وَهِىَ**) لُغَةً (**سُؤَالُ الْخَيْرِ**) أَىْ طَلَبُ الْخَيْرِ (**مِنَ الْغَيْرِ لِلْغَيْرِ**) وَالشَّفَاعَةُ فِى الآخِرَةِ تَكُونُ لِتَخْلِيصِ النَّاسِ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَذِهِ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا الْكُفَّارُ فَيَنْتَقِلُونَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ إِلَى عَذَابٍ أَشَدَّ. وَمِنَ الشَّفَاعَةِ الشَّفَاعَةُ فِى إِخْرَاجِ بَعْضِ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا بِلا تَوْبَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ وَهَذِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الرَّسُولُ وَغَيْرُهُ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ**« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ (**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالْمَلائِكَةُ وَيَشْفَعُ نَبِيُّنَا لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ فَقَدْ جَاءَ فِى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ »شَفَاعَتِى لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِى« رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، أَىْ غَيْرُ أَهْلِ الْكَبَائِرِ**) وَالَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ تَائِبُونَ (**لَيْسُوا بِحَاجَةٍ لِلشَّفَاعَةِ**) لِلإِنْقَاذِ مِنَ الْعَذَابِ (**وَتَكُونُ**) الشَّفَاعَةُ (**لِبَعْضِهِمْ**) أَىْ لِبَعْضِ عُصَاةِ الْمُسْلِمِينَ (**قَبْلَ دُخُولِهِمُ النَّارَ وَلِبَعْضٍ بَعْدَ دُخُولِهِمْ قَبْلَ أَنْ تَمْضِىَ الْمُدَّةُ الَّتِى يَسْتَحِقُّونَ بِمَعَاصِيهِمْ وَلا تَكُونُ لِلْكُفَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾**) فَلا تَكُونُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا لِمَنْ ءَامَنَ بِمُحَمَّدٍ وَلِذَلِكَ قَالَ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ »**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِى مَا شِئْتِ مِنْ مَالِى لا أُغْنِى عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** «رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمَعْنَاهُ لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنْقِذَكِ مِنَ النَّارِ إِذَا لَمْ تُؤْمِنِى أَمَّا فِى الدُّنْيَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْفَعَكِ بِمَالِى (**وَأَوَّلُ شَافِعٍ يَشْفَعُ هُوَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ فَهُوَ يَخْتَصُّ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَقَدْ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا لا تَخْتَصُّ بِأُمَّتِهِ فَقَطْ بَلْ يَنْتَفِعُ بِهَا غَيْرُ أُمَّتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهِىَ لِتَخْلِيصِهِمْ مِنَ الِاسْتِمْرَارِ فِى حَرِّ الشَّمْسِ فِى الْمَوْقِفِ.

**الرُّوحُ**

(**يَجِبُ الإِيمَانُ بِالرُّوحِ وَهِىَ جِسْمٌ لَطِيفٌ لا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ**) وَقَدْ أَخْفَى اللَّهُ عَنَّا حَقِيقَتَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ فَنَتْرُكُ الْخَوْضَ فِى الْبَحْثِ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِأَنَّهُ أَمْرٌ لَنْ نَصِلَ إِلَيْهِ (**وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ أَنْ تَسْتَمِرَّ الْحَيَاةُ فِى أَجْسَامِ الْمَلائِكَةِ وَالإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْبَهَائِمِ مَا دَامَتْ تِلْكَ الأَجْسَامُ اللَّطِيفَةُ مُجْتَمِعَةً مَعَهَا وَتُفَارِقَهَا إِذَا فَارَقَتْهَا تِلْكَ الأَجْسَامُ وَهِىَ حَادِثَةٌ**) مَخْلُوقَةٌ (**لَيْسَتْ قَدِيمَةً**) وَلَكِنَّهَا بَاقِيَةٌ لا تَفْنَى (**فَمَنْ قَالَ إِنَّهَا قَدِيمَةٌ لَيْسَتْ مَخْلُوقَةً فَقَدْ كَفَرَ وَكَذَلِكَ مَنْ قَالَ الْبَهَائِمُ لا أَرْوَاحَ لَهَا كَمَا قَالَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ مُتَوَلِّى الشَّعْرَاوِىُّ فِى كِتَابَيْهِ التَّفْسِيرِ وَالْفَتَاوَى وَذَلِكَ تَكْذِيبٌ لِلْقُرْءَانِ وَإِنْكَارٌ لِلْعِيَانِ قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ« رَوَاهُ مُسْلِمٌ**) وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْخُذُ الْحُقُوقَ لِأَهْلِهَا حَتَّى يُقَادَ أَىْ حَتَّى يُؤْخَذَ حَقُّ الْجَلْحَاءِ أَىِ الشَّاةِ الَّتِى لَيْسَ لَهَا قَرْنٌ مِنَ الْقَرْنَاءِ الَّتِى ضَرَبَتْهَا فِى الدُّنْيَا، الْقَرْنَاءُ مَعْنَاهُ الَّتِى لَهَا قَرْنٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ تُؤْخَذَ الْقَرْنَاءُ الَّتِى ضَرَبَتِ الأُخْرَى إِلَى النَّارِ كَمَا يَحْصُلُ لَبَنِي ءَادَمَ بَنُو ءَادَمَ إِذَا ضَرَبَ أَحَدُهُمْ فِى الدُّنْيَا إِنْسَانًا ظُلْمًا يُقْتَصُّ مِنْهُ بِنَارِ جَهَنَّمَ أَمَّا الْبَهَائِمُ فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ إِنَّمَا هَذِهِ تَضْرِبُ هَذِهِ كَمَا ضَرَبَتْهَا فِى الدُّنْيَا ثُمَّ تَمُوتُ وَلا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلا النَّارَ إِنَّمَا تَعُودُ تُرَابًا.

**بَيَانُ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ شَامِلَةٌ فِى الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ فِى الآخِرَةِ**

(**وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْحَمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى الدُّنْيَا وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلًّا أَمَّا فِى الآخِرَةِ فَرَحْمَتُهُ خَاصَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أَىْ وَسِعَتْ فِى الدُّنْيَا كُلَّ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ**) فَهَذِهِ الآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْحَمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى الدُّنْيَا وَذَلِكَ بِأَنْ يُعْطِيَهُمُ الصِّحَّةَ وَالرِّزْقَ وَالْهَوَاءَ الْعَلِيلَ وَالْمَاءَ الْبَارِدَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ أَمَّا فِى الآخِرَةِ يَخُصُّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ (**قَالَ ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أَىْ فِى الآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أَىْ أَخُصُّهَا لِمَنِ اتَّقَى الشِّرْكَ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾**) أَىْ أَهْلُ النَّارِ يُنَادُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِمَّا يَرَوْنَهُمْ عِيَانًا مَعَ بُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِى وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ هَؤُلاءِ فِى النَّارِ وَهَؤُلاءِ فِى الْجَنَّةِ وَإِمَّا يَسْمَعُونَ صَوْتَهُمْ فَيَطْلُبُونَ مِنَ الضِّيقِ الَّذِى هُمْ فِيهِ (**﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا﴾**) أَىْ أَهْلُ الْجَنَّةِ (**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**) فَيَسْكُتُ أَهْلُ النَّارِ (**أَىْ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْكَافِرِينَ الرِّزْقَ النَّافِعَ وَالْمَاءَ الْمُرْوِىَ فِى الآخِرَةِ**) فَلا يَجِدُونَ مَاءً بَارِدًا مُرْوِيًا إِلَّا ذَاكَ الْمَاءَ الَّذِى هُوَ بِمُنْتَهَى الْحَرَارَةِ فَيُقَطِّعُ أَمْعَاءَهُمْ وَالْغِسْلِينَ الَّذِى هُوَ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ أَىْ مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِهِمْ فَالْكُفَّارُ لا حَظَّ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ (**وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَضَاعُوا أَعْظَمَ حُقُوقِ اللَّهِ الَّذِى لا بَدِيلَ لَهُ وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**) فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ لِمَاذَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ الَّذِى لا نِهَايَةَ لَهُ يُقَالُ لِأَنَّهُمْ أَضَاعُوا أَعْظَمَ حُقُوقِ اللَّهِ لِذَلِكَ جَعَلَ جَزَاءَهُمْ أَنْ يَتَأَبَّدُوا فِى ذَلِكَ الْعَذَابِ الَّذِى لا يَنْقَطِعُ وَهُمْ كَانَتْ نِيَّاتُهُمْ أَنْ يَبْقَوْا عَلَى كُفْرِهِمْ فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ وِفَاقًا عَذَابًا لا يَنْقَطِعُ (**ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الدُّخُولَ فِى الإِسْلامِ الَّذِى هُوَ أَفْضَلُ نِعَمِ اللَّهِ سَهْلًا وَذَلِكَ بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**) وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**« وَالْمَعْنَى أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْسِبُ الْجَنَّةَ بِعَمَلٍ يَسِيرٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَكَذَلِكَ يَكْسِبُ دُخُولَ النَّارِ بِعَمَلٍ خَفِيفٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَلَوْ عَاشَ الْعَبْدُ عَلَى الْكُفْرِ سِنِينَ طَوِيلَةً قَضَى عُمُرَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ أَسْلَمَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَلائِكَةَ الْعَذَابِ وَقَبْلَ أَنْ يَيْأَسَ مِنَ الْحَيَاةِ وَيُوقِنَ بِالْمَوْتِ بِرُؤْيَةِ مَلَكِ الْمَوْتِ أَوْ إِدْرَاكِ الْغَرَقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَسْلَمَ وَاعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَلَوْ لَمْ يُدْرِكْ صَلاةً وَلا يُؤَاخَذُ بِشَىْءٍ مِمَّا عَمِلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ لِأَنَّ الإِسْلامَ هَدَمَهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِآخِرِ حَالِ الإِنْسَانِ الَّذِى يُخْتَمُ لَهُ بِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ (**وَ**)قَدْ (**جَعَلَ**) اللَّهُ تَعَالَى (**الْكُفْرَ سَهْلًا فَكَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الِاسْتِخْفَافِ بِاللَّهِ أَوْ شَرِيعَتِهِ تُخْرِجُ قَائِلَهَا مِنَ الإِيمَانِ وَتُوقِعُهُ فِى الْكُفْرِ الَّذِى هُوَ أَسْوَأُ الأَحْوَالِ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ أَحْقَرَ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالْوُحُوشِ سَوَاءٌ تَكَلَّمَ بِهَا جَادًّا أَوْ مَازِحًا أَوْ غَضْبَانَ**) فَلَوْ عَاشَ رَجُلٌ عَلَى الإِسْلامِ ثُمَّ مَرِضَ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَلَمُ فَلَمْ يَتَحَمَّلْ فَاعْتَرَضَ عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ يَا رَبِّ لِمَ ظَلَمْتَنِى بِتَسْلِيطِ هَذَا الأَلَمِ الَّذِى لا أُطِيقُهُ فَمَاتَ حَرُمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ لِأَنَّهُ كَفَرَ بِاعْتِرَاضِهِ عَلَى رَبِّهِ (**وَقَدْ شُرِحَ ذَلِكَ فِى كُتُبِ الْفِقْهِ فِى الْمَذَاهِبِ الْمُعْتَبَرَةِ وَحَكَمُوا أَنَّ الْمُتَلَفِّظَ بِهَا يَكْفُرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**) وَالدَّوَابُّ جَمْعُ دَابَّةٍ وَهِىَ كُلُّ مَا يَمْشِى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ إِنْسَانٍ وَبَهَائِمَ وَحَشَرَاتٍ هَذَا مَعْنَاهَا فِى أَصْلِ اللُّغَةِ ثُمَّ تَعَارَفَ النَّاسُ عَلَى إِطْلاقِهَا عَلَى مَا يُرْكَبُ مِنَ الْبَهَائِمِ وَلا يَصِحُّ فِى الْقُرْءَانِ هَذَا التَّفْسِيرُ وَالآيَةُ الْمَذْكُورَةُ مَعْنَاهَا أَنَّ الْكَافِرَ هُوَ أَحْقَرُ الْمَخْلُوقَاتِ وَقَدْ وَرَدَ فِى الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ وَأَحْمَدُ فِى مُسْنَدِهِ وَالطَّبَرَانِىُّ فِى الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ »**لا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُمُ الَّذِينَ مَاتُوا فِى الْجَاهِلِيَّةِ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ مَا يُدَهْدِهُهُ الْجُعَلُ بِمَنْخِرَيْهِ خَيْرٌ مِنْ ءَابَائِكُمُ الَّذِينَ مَاتُوا فِى الْجَاهِلِيَّةِ**« أَىْ عَلَى الشِّرْكِ وَالْمَعْنَى كُفُّوا عَنِ الِافْتِخَارِ بِهَؤُلاءِ الَّذِينَ مَا يَسُوقُهُ الْجُعَلُ بِأَنْفِهِ خَيْرٌ مِنْهُمْ لِكُفْرِهِمْ وَمَعْنَى »**مَا يُدَهْدِهُهُ الْجُعَلُ بِمَنْخِرَيْهِ**« أَىِ الْقَذَرُ لِيَتَقَوَّتَ بِهِ وَالْجُعَلُ هُوَ حَشَرَةٌ صَغِيرَةٌ سَوْدَاءُ تَسُوقُ الْقَذَرَ الَّذِى يَخْرُجُ مِنْ بَنِى ءَادَمَ تَجْعَلُهُ حُبَيْبَاتٍ تَسُوقُهُ لِتَتَقَوَّتَ بِهِ فَهَذَا الَّذِى يَسُوقُهُ الْجُعَلُ الرَّسُولُ قَالَ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَانَ النَّاسُ فِى أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ يَفْتَخِرُونَ بِهِمْ. وَهَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِى أَنَّ الْكَافِرَ أَخَسُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فَالْكُفَّارُ هُمْ أَحْقَرُ خَلْقِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ صُورَتُهُمْ صُورَةَ الْبَشَرِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَضَاعُوا أَعْظَمَ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فَكَفَرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

**الْبِدْعَةُ**

(**الْبِدْعَةُ لُغَةً مَا أُحْدِثَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ وَشَرْعًا الْمُحْدَثُ الَّذِى لَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ وَلا الْحَدِيثُ. وَتَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ كَمَا يُفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ**) الْبُخَارِىِّ عَنْ (**عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ« أَىْ مَرْدُودٌ**) وَالْمَعْنَى إِحْدَاثُ مَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ أَىْ مَا لا يُوَافِقُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ مَرْدُودٌ فَأَفْهَمَ رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ »**مَا لَيْسَ مِنْهُ**« أَنَّ الْمُحْدَثَ إِنَّمَا يَكُونُ رَدًّا أَىْ مَرْدُودًا إِذَا كَانَ عَلَى خِلافِ الشَّرِيعَةِ وَأَنَّ الْمُحْدَثَ الْمُوَافِقَ لِلشَّرِيعَةِ لَيْسَ مَرْدُودًا وَ(**الْقِسْمُ الأَوَّلُ الْبِدْعَةُ الْحَسَنَةُ وَتُسَمَّى السُّنَّةَ الْحَسَنَةَ وَهِىَ الْمُحْدَثُ الَّذِى يُوَافِقُ الْقُرْءَانَ وَالسُّنَّةَ**) كَإِحْدَاثِ الْمَحَارِيبِ الْمُجَوَّفَةِ وَالْمَآذِنِ فَالْمَسَاجِدُ مَسْجِدُ الرَّسُولِ وَغَيْرُهُ مَا كَانَ لَهُ مِحْرَابٌ مُجَوَّفٌ فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلا كَانَ لَهُ مِئْذَنَةٌ وَقَدْ أُحْدِثَ فِى ءَاخِرِ الْقَرْنِ الأَوَّلِ أَحْدَثَ ذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَقَرَّهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ. وَ(**الْقِسْمُ الثَّانِى الْبِدْعَةُ السَّيِّئَةُ وَتُسَمَّى السُّنَّةَ السَّيِّئَةَ وَهِىَ الْمُحْدَثُ الَّذِى يُخَالِفُ الْقُرْءَانَ وَالْحَدِيثَ**) كَعَقِيدَةِ الْمُشَبِّهَةِ الْقُدَمَاءِ وَالْمُحْدَثِينَ كَالْكَرَّامِيَّةِ مِنَ الْمُشَبِّهَةِ الْقُدَمَاءِ وَالْوَهَّابِيَّةِ مِنَ الْمُحْدَثِينَ وَالْمُعْتَزِلَةِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَأَخِّرِينَ كَأَتْبَاعِ سَيِّدِ قُطُب الْمُسَمَّيْنَ الْجَمَاعَةَ الإِسْلامِيَّةَ فَإِنَّ مِنَ الْخَوَارِجِ الْقُدَمَاءِ كَانَ أُنَاسٌ يُقَالُ لَهُمُ الْبَيْهَسِيَّةُ يَقُولُونَ إِذَا حَكَمَ الْمَلِكُ بِغَيْرِ الشَّرْعِ كَفَرَ وَكَفَرَتِ الرَّعِيَّةُ مَنْ تَابَعَهُ فِى الْحُكْمِ وَمَنْ لَمْ يُتَابِعْهُ وَفِرْقَةُ سَيِّدِ قُطُب أَحْيَوْا فِى هَذَا الْعَصْرِ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ الْمُبْتَدَعَةَ فَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ الشَّرْعِ وَلَوْ فِى حُكْمٍ وَاحِدٍ كَفَرَ وَالرَّعِيَّةُ الَّتِى تَعِيشُ تَحْتَ حُكْمِهِ كَفَرَتْ وَلا يَسْتَثْنُونَ أَحَدًا إِلَّا مَنْ قَامَ لِيَثُورَ عَلَيْهِ وَعَلَى ذَلِكَ يَسْتَحِلُّونَ قَتْلَ غَيْرِهِمْ كَمَا تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِي مِصْرَ وَالْجَزَائِرِ وَالشِّيشَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (**وَهَذَا التَّقْسِيمُ مَفْهُومٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِىِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَىْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَىْءٌ« رَوَاهُ مُسْلِمٌ**) فَإِنْ قِيلَ هَذَا مَعْنَاهُ مَنْ سَنَّ فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلا فَالْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ لا تَثْبُتُ الْخُصُوصِيَّةُ إِلَّا بِدَلِيلٍ وَهُنَا الدَّلِيلُ يُعْطِى خِلافَ مَا يَدَّعُونَ حَيْثُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »**مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ**« وَلَمْ يَقُلْ مَنْ سَنَّ فِى حَيَاتِى وَلا قَالَ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَنَا عَمِلْتُهُ فَأَحْيَاهُ وَلَمْ يَكُنِ الإِسْلامُ مَقْصُورًا عَلَى الزَّمَنِ الَّذِى كَانَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ فَبَطَلَ زَعْمُهُمْ. وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِى فِيهِ »**وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**« فَلا يَدْخُلُ فِيهِ الْبِدْعَةُ الْحَسَنَةُ لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ أَىْ أَنَّ لَفْظَهُ عَامٌّ وَلَكِنَّهُ مَخْصُوصٌ بِالْبِدْعَةِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرِيعَةِ بِدَلِيلِ الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ مُسْلِمٌ »**مَنْ سَنَّ فِى الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا**« الْحَدِيثَ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ تَتَعَاضَدُ وَلا تَتَنَاقَضُ (**فَمِنَ الْقِسْمِ الأَوَّلِ الِاحْتِفَالُ بِمَوْلِدِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ مَلِكُ إِرْبِل فِى الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهِجْرِىِّ**) وَكَانَ عَالِمًا تَقِيًّا شُجَاعًا وَوَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ وَالصُّوفِيَّةُ الصَّادِقُونَ فِى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مِنْهُمُ الْحَافِظُ أَحْمَدُ بنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلانِىُّ وَتِلْمِيذُهُ الْحَافِظُ السَّخَاوِىُّ وَكَذَلِكَ الْحَافِظُ السُّيُوطِىُّ وَلِلْحَافِظِ السُّيُوطِىِّ رِسَالَةٌ سَمَّاهَا حُسْنَ الْمَقْصِدِ فِى عَمَلِ الْمَوْلِدِ. (**وَ**)مِنَ الْمُحْدَثَاتِ الْمُوَافِقَةِ لِلشَّرِيعَةِ أَيْضًا (**تَنْقِيطُ التَّابِعِىِّ الْجَلِيلِ يَحْيَى بنِ يَعْمَرَ الْمُصْحَفَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَأَقَرَّ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ مِنْ مُحَدِّثِينَ وَغَيْرِهِمْ وَاسْتَحْسَنُوهُ وَلَمْ يَكُنْ مُنَقَّطًا عِنْدَمَا أَمْلَى الرَّسُولُ عَلَى كَتَبَةِ الْوَحْىِ**) فَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ كَتَبُوا الْوَحْىَ الَّذِى أَمْلاهُ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ كَانُوا يَكْتُبُونَ الْبَاءَ وَالتَّاءَ وَنَحْوَهُمَا بِلا نَقْطٍ (**وَكَذَلِكَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ لَمَّا كَتَبَ الْمَصَاحِفَ الْخَمْسَةَ أَوِ السِّتَّةَ لَمْ تَكُنْ مُنَقَّطَةً وَمُنْذُ ذَلِكَ التَّنْقِيطِ لَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ فَهَلْ يُقَالُ فِى هَذَا إِنَّهُ بِدْعَةُ ضَلالَةٍ لِأَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَفْعَلْهُ فَإِنْ كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَلْيَتْرُكُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ الْمُنَقَّطَةَ أَوْ لِيَكْشِطُوا هَذَا التَّنْقِيطَ مِنَ الْمَصَاحِفِ حَتَّى تَعُودَ مُجَرَّدَةً كَمَا فِى أَيَّامِ عُثْمَانَ. قَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ أَبِى دَاوُدَ صَاحِبِ السُّنَنِ فِى كِتَابِهِ الْمَصَاحِفِ »أَوَّلُ مَنْ نَقَطَ الْمَصَاحِفَ يَحْيَى بنُ يَعْمَرَ« اهـ وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِ**) وَهَذَا الَّذِى ذُكِرَ هُنَا بَعْضُ الأَمْثِلَةِ عَنِ الْبِدْعَةِ الْحَسَنَةِ وَيَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا أَنَّ مَنْ خَالَفَ هَذَا فَهُوَ شَاذٌّ مُكَابِرٌ لِأَنَّ مُؤَدَّى كَلامِهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ بَشَرَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ كَعُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ كَانُوا عَلَى ضَلالٍ فَعُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى صَلاةِ التَّرَاوِيحِ فِى رَمَضَانَ وَكَانُوا فِى أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ يُصَلُّونَهَا فُرَادَى وَقَاَلَ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ »**نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ**« وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ. وَعُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ أَحْدَثَ أَذَانًا ثَانِيًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الأَذَانُ الثَّانِى فِى أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا زَالَ النَّاسُ عَلَى هَذَا الأَذَانِ الثَّانِى يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ عَنْ عُثْمَانَ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ أَيْضًا. وَكَذَلِكَ أَحْدَثَ الصَّحَابِىُّ الْجَلِيلُ خُبَيْبُ بنُ عَدِىٍّ صَلاةَ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ »**فَكَانَ خُبَيْبٌ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ**« (**وَمِنَ الْقِسْمِ الثَّانِى الْمُحْدَثَاتُ فِى الِاعْتِقَادِ كَبِدْعَةِ الْمُعْتَزِلَةِ**) الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْعَبْدَ يَخْلُقُ أَفْعَالَهُ )**وَالْخَوَارِجِ**) الْقَائِلِينَ بِكُفْرِ مَنْ سِوَاهُمْ (**وَغَيْرِهِمْ مِنْ**) نَحْوِ هَذِهِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ (**الَّذِينَ خَرَجُوا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِى الْمُعْتَقَدِ وَ**)أَمَّا الْبِدَعُ الْعَمَلِيَّةُ فَمِنْهَا (**كِتَابَةُ »ص« أَوْ »صَلْعَمْ« بَعْدَ اسْمِ النَّبِىِّ بَدَلَ »صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ« وَقَدْ نَصَّ الْمُحَدِّثُونَ فِى كُتُبِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ كِتَابَةَ الصَّادِ مُجَرَّدَةً مَكْرُوهٌ وَمَعَ هَذَا لَمْ يُحَرِّمُوهَا**) وَكِتَابَةُ صَلْعَمْ بَعْدَ اسْمِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَحُ مِنْ كِتَابَةِ ص (**فَمِنْ أَيْنَ لِهَؤُلاءِ الْمُتَنَطِّعِينَ**) وَهُمُ الَّذِينَ يَتَكَلَّفُونَ وَيَفْعَلُونَ وَيَقُولُونَ مَا لا فَائِدَةَ فِيهِ (**الْمُشَوِّشِينَ**) وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْوَهَّابِيَّةُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ (**أَنْ يَقُولُوا عَنْ عَمَلِ الْمَوْلِدِ بِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ وَعَنِ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِىِّ جَهْرًا**) مِنَ الْمُؤَذِّنِ (**عَقِبَ الأَذَانِ إِنَّهُ بِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ بِدَعْوَى أَنَّ الرَّسُولَ مَا فَعَلَهُ وَالصَّحَابَةَ لَمْ يَفْعَلُوهُ**) وَهُمْ يُبَالِغُونَ فِى ذَلِكَ حَتَّى قَالَ أَحَدُهُمْ فِى الشَّامِ فِى جَامِعِ الدَّقَّاقِ حِينَ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَقُولُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا حَرَامٌ هَذَا كَالَّذِى يَنْكِحُ أُمَّهُ بَلْ أَمَرَ زَعِيمُهُمْ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بِقَتْلِ الْمُؤَذِّنِ الأَعْمَى الَّذِى صَلَّى عَلَى النَّبِىِّ عَقِبَ الأَذَانِ جَهْرًا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ زَيْنِـى دَحْلان مُفْتِى الشَّافِعِيَّةِ فِى الْحَرَمِ الْمَكِّىِّ فِى كِتَابِهِ فِتْنَةُ الْوَهَّابِيَّةِ. ثُمَّ ثَبَتَ حَدِيثَانِ أَحَدُهُمَا حَدِيثُ مُسْلِمٍ »**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَمَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَىَّ**« وَحَدِيثُ »**مَنْ ذَكَرَنِى فَلْيُصَلِّ عَلَىَّ**« أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى فِى مُسْنَدِهِ وَالْحَافِظُ السَّخَاوِىُّ فِى كِتَابِهِ الْقَوْلُ الْبَدِيعُ فِى الصَّلاةِ عَلَى النَّبِىِّ الشَّفِيعِ وَقَالَ لا بَأْسَ بِإِسْنَادِهِ فَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤَذِّنَ وَالْمُسْتَمِعَ كِلَيْهِمَا مَطْلُوبٌ مِنْهُ الصَّلاةُ عَلَى النَّبِىِّ وَهَذَا يَحْصُلُ بِالسِّرِّ وَالْجَهْرِ فَمَاذَا تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ بَعْدَ هَذَا (**وَمِنْهُ**) أَىْ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِى (**تَحْرِيفُ اسْمِ اللَّهِ إِلَى ءَاه وَنَحْوِهِ كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الطُّرُقِ**) الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ ءَاه اسْمًا لِلَّهِ (**فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ**) وَءَاه لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ بِالِاتِّفَاقِ بَلْ هُوَ لَفْظٌ مِنْ أَلْفَاظِ الأَنِينِ وَالأَنِينُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَمَا يَرْوِيهِ بَعْضُهُمْ حَدِيثًا وَفِيهِ أَنَّ الرَّسُولَ قَالَ عَنْ مَرِيضٍ يَئِنُّ دَعُوهُ يَئِنُّ فَإِنَّ الأَنِينَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مَكْذُوبٌ عَلَى الرَّسُولِ وَلا يَصِحُّ نِسْبَتُهُ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالَى ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ (**قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِىُّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ »الْمُحْدَثَاتُ مِنَ الأُمُورِ ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا مَا أُحْدِثَ مِمَّا يُخَالِفُ كِتَابًا**) أَىَ الْقُرْءَانَ (**أَوْ سُنَّةً**) أَىِ الْحَدِيثَ (**أَوْ إِجْمَاعًا**) أَىْ إِجْمَاعَ مُجْتَهِدِى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (**أَوْ أَثَرًا**) أَىْ أَثَرَ الصَّحَابَةِ أَىْ مَا ثَبَتَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يُنْكَرْ عِنْدَهُمْ (**فَهَذِهِ الْبِدْعَةُ الضَّلالَةُ وَالثَّانِيَةُ مَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ وَلا يُخَالِفُ كِتَابًا أَوْ سُنَّةً أَوْ إِجْمَاعًا وَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ« رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ بِالإِسْنَادِ الصَّحِيحِ فِى كِتَابِهِ مَنَاقِبُ الشَّافِعِىِّ**) وَكَلامُ الشَّافِعِىِّ هَذَا يُؤَيِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَقْسِيمِ الْبِدْعَةِ إِلَى قِسْمَيْنِ.

**إِثْبَاتُ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ جَائِزٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ شِرْكًا كَمَا تَقُولُ الْوَهَّابِيَّةُ**

(**اعْلَمْ**) أَنَّ التَّوَسُّلَ هُوَ طَلَبُ حُصُولِ مَنْفَعَةٍ أَوِ انْدِفَاعِ مَضَرَّةٍ مِنَ اللَّهِ بِذِكْرِ اسْمِ نَبِىٍّ أَوْ وَلِىٍّ إِكْرَامًا لِلْمُتَوَسَّلِ بِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ أُمُورَ الدُّنْيَا عَلَى الأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ مَعَ (**أَنَّهُ**) قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعْطِيَنَا الثَّوَابَ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَقُومَ بِالأَعْمَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ وَقَالَ ﴿**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ أَىِ اطْلُبُوا كُلَّ شَىْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَيْهِ يَعْنِى هَذِهِ الأَسْبَابَ اعْمَلُوا الأَسْبَابَ فَنُحَقِّقَ لَكُمُ الْمُسَبَّبَاتِ نُحَقِّقُ لَكُمْ مَطَالِبَكُمْ بِهَذِهِ الأَسْبَابِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَحْقِيقِهَا بِدُونِ هَذِهِ الأَسْبَابِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ لَنَا لِتَحْقِيقِ مَطَالِبَ لَنَا التَّوَسُّلَ بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ فِى حَالِ حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ فَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ بِهِمْ رَجَاءَ تَحْقِيقِ مَطَالِبِنَا فَنَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ أَوْ بِحُرْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ تَقْضِىَ حَاجَتِي وَتُفَرِّجَ كَرْبِى أَوْ نَقُولُ اللَّهُمَّ بِجَاهِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلانِىِّ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ وَ(**لا دَلِيلَ حَقِيقِىٌّ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ فِى حَالِ الْغَيْبَةِ أَوْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ**) وَإِنَّمَا حَرَّمَ ذَلِكَ الْوَهَّابِيَّةُ (**بِدَعْوَى أَنَّ ذَلِكَ عِبَادَةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ**) فَشَذُّوا بِذَلِكَ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ (**لِأَنَّهُ لَيْسَ عِبَادَةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ مُجَرَّدَ النِّدَاءِ لِحَىٍّ أَوْ مَيِّتٍ وَلا مُجَرَّدَ التَّعْظِيمِ وَلا مُجَرَّدَ الِاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللَّهِ وَلا مُجَرَّدَ قَصْدِ قَبْرِ وَلِىٍّ لِلتَّبَرُّكِ وَلا مُجَرَّدَ طَلَبِ مَا لَمْ تَجْرِ بِهِ الْعَادَةُ بَيْنِ النَّاسِ وَلا مُجَرَّدَ صِيغَةِ الِاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَىْ لَيْسَ ذَلِكَ شِرْكًا لِأَنَّهُ لا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ تَعْرِيفُ الْعِبَادَةِ عِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ**) بَلْ لَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ فِى تَفْسِيرِهِمْ لِمَعْنَى الْعِبَادَةِ (**لِأَنَّ الْعِبَادَةَ عِنْدَهُمُ الطَّاعَةُ مَعَ الْخُضُوعِ. قَالَ الأَزْهَرِىُّ الَّذِى هُوَ أَحَدُ كِبَارِ اللُّغَوِيِّينَ فِى كِتَابِ تَهْذِيبِ اللُّغَةِ نَقْلًا عَنِ الزَّجَّاجِ الَّذِى هُوَ مِنْ أَشْهَرِهِمْ »الْعِبَادَةُ فِى لُغَةِ الْعَرَبِ الطَّاعَةُ مَعَ الْخُضُوعِ« وَقَالَ مِثْلَهُ**) إِمَامُ اللُّغَوِيِّينَ الَّذِينَ أَلَّفُوا فِى لُغَةِ الْعَرَبِ (**الْفَرَّاءُ كَمَا فِى لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ**) وَبِهَذَا فَسَّرُوا الآيَةَ ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ أَىْ نُطِيعُكَ الطَّاعَةَ الَّتِى مَعَهَا الْخُضُوعُ وَالْخُضُوعُ مَعْنَاهُ التَّذَلُّلُ (**وَقَالَ بَعْضُهُمْ**) الْعِبَادَةُ (**أَقْصَى غَايَةِ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ**) وَهَذَا قَوْلُ السُّبْكِىِّ فِى فَتَاوِيهِ وَعِبَارَتُهُ أَقْصَى غَايَةِ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ (**وَقَالَ بَعْضٌ نِهَايَةُ التَّذَلُّلِ كَمَا يُفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ كَلامِ شَارِحِ الْقَامُوسِ مُرْتَضَى الزَّبِيدِىِّ خَاتِمَةِ اللُّغَوِيِّينَ**) فِى تَاجِ الْعَرُوسِ (**وَهَذَا الَّذِى يَسْتَقِيمُ لُغَةً وَعُرْفًا. وَلَيْسَ مُجَرَّدُ التَّذَلُّلِ عِبَادَةً لِغَيْرِ اللَّهِ وَإِلَّا لَكَفَرَ كُلُّ مَنْ يَتَذَلَّلُ لِلْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ لَمَّا قَدِمَ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ الرَّسُولُ »مَا هَذَا« فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّامِ يَسْجُدُونَ لِبَطَارِقَتِهِمْ**) وَالْبِطْرِيقُ مِنَ الرُّومِ كَالْقَائِدِ مِنَ الْعَرَبِ (**وَأَسَاقِفَتِهِمْ**) أَىْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى (**وَأَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ فَقَالَ »لا تَفْعَلْ لَوْ كُنْتُ ءَامُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا« رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُمَا. وَلَمْ يَقُلْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرْتَ وَلا قَالَ لَهُ أَشْرَكْتَ مَعَ أَنَّ سُجُودَهُ لِلنَّبِىِّ مَظْهَرٌ كَبِيرٌ مِنْ مَظَاهِرِ التَّذَلُّلِ**) وَالسُّجُودُ لإِنْسَانٍ وَلَوْ لِنَبِـىٍّ حَرَامٌ فِى الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَلَوْ كَانَ بِقَصْدِ التَّحِيَّةِ (**فَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ الشَّخْصَ لِأَنَّهُ قَصَدَ قَبْرَ الرَّسُولِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الأَوْلِيَاءِ لِلتَّبَرُّكِ فَهُمْ جَهِلُوا مَعْنَى الْعِبَادَةِ وَخَالَفُوا مَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا لَمْ يَزَالُوا يَزُورُونَ قَبْرَ النَّبِىِّ لِلتَّبَرُّكِ وَلَيْسَ مَعْنَى الزِّيَارَةِ لِلتَّبَرُّكِ أَنَّ الرَّسُولَ يَخْلُقُ لَهُمُ الْبَرَكَةَ بَلِ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ لَهُمُ الْبَرَكَةَ بِزِيَارَتِهِمْ لِقَبْرِهِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ**) فِى دَلائِلِ النُّبُوَّةِ (**بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ مَالِكِ الدَّارِ وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ قَالَ أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ**) أَىْ وَقَعَتْ مَجَاعَةٌ (**فِى زَمَانِ عُمَرَ**) أَىْ فِى خِلافَتِهِ انْقَطَعَ الْمَطَرُ عَنْهُمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ (**فَجَاءَ رَجُلٌ**) أَىْ مِنَ الصَّحَابَةِ (**إِلَى قَبْرِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ**) مَعْنَاهُ اطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الْمَطَرَ لِأُمَّتِكَ (**فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا فَأُتِىَ الرَّجُلُ فِى الْمَنَامِ**) أَىْ أُرِىَ فِى الْمَنَامِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُهُ (**فَقِيلَ لَهُ أَقْرِئْ عُمَرَ السَّلامَ**) أَىْ سَلِّمْ لِى عَلَيْهِ (**وَأَخْبِرْهُ أَنَّهُمْ يُسْقَوْنَ**) أَىْ سَيَأْتِيهِمُ الْمَطَرُ ثُمَّ سَقَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى سُمِّىَ ذَلِكَ الْعَامُ عَامَ الْفَتْقِ مِنْ شِدَّةِ مَا ظَهَرَ مِنَ الأَعْشَابِ وَسَمِنَتِ الْمَوَاشِى حَتَّى تَفَتَّقَتْ بِالشَّحْمِ ثُمَّ قَالَ (**وَقُلْ لَهُ عَلَيْكَ الْكَيْسَ الْكَيْسَ**) أَىْ عَلَيْكَ بِالتَّفَكُّرِ فِيمَا تَرَكْتَ فِعْلَهُ مِمَّا يَنْبَغِى لِتَزُولَ هَذِهِ النَّازِلَةُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ (**فَأَتَى الرَّجُلُ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ يَا رَبِّ مَا ءَالُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ**) أَىْ لا أُقَصِّرُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ أَىْ سَأَفْعَلُ مَا فِى وُسْعِى لِخِدْمَةِ الأُمَّةِ (**وَقَدْ جَاءَ فِى تَفْسِيرِ هَذَا الرَّجُلِ أَنَّهُ بِلالُ بنُ الْحَارِثِ الْمُزَنِىُّ الصَّحَابِىُّ**) رَوَاهُ سَيْفٌ فِى الْفُتُوحِ كَمَا فِى فَتْحِ الْبَارِي. وَقَوْلُ بَعْضِ الْوَهَّابِيَّةِ إِنَّ مَالِكَ الدَّارِ مَجْهُولٌ يَرُدُّهُ أَنَّ عُمَرَ لا يَتَّخِذُ خَازِنًا إِلَّا خَازِنًا ثِقَةً وَقَدْ وَثَّقَهُ الْحَافِظُ الْخَلِيلِىُّ فِى كِتَابِهِ الإِرْشَادِ وَمُحَاوَلَتُهُمْ لِتَضْعِيفِ هَذَا الْحَدِيثِ بَعْدَمَا صَحَّحَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ لَغْوٌ لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ فَمَا حَصَلَ مِنْ هَذَا الصَّحَابِىِّ اسْتِغَاثَةٌ وَتَوَسُّلٌ. وَبِهَذَا الأَثَرِ يَبْطُلُ أَيْضًا قَوْلُ الْوَهَّابِيَّةِ إِنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالرَّسُولِ بَعْدَ وَفَاتِهِ شِرْكٌ (**فَهَذَا الصَّحَابِىُّ قَدْ قَصَدَ قَبْرَ الرَّسُولِ لِلتَّبَرُّكِ فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ عُمَرُ وَلا غَيْرُهُ فَبَطَلَ دَعْوَى ابْنِ تَيْمِيَةَ أَنَّ هَذِهِ الزِّيَارَةَ شِرْكِيَّةٌ. وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ وَلِىُّ الدِّينِ الْعِرَاقِىُّ فِى حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ مُوسَى**) عَلَيْهِ السَّلامُ (**قَالَ »رَبِّ أَدْنِنِى مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ«**) أَىْ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَجَعَلَ اللَّهُ وَفَاتَهُ بِمَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْهَا وَالأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ تَبْدَأُ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِى بَعْدَ أَرِيحَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ (**وَأَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »وَاللَّهِ لَوْ أَنِّى عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ«**) الَّذِى هُوَ قُرْبَ أَرِيحَا وَ(**فِيهِ اسْتِحْبَابُ مَعْرِفَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ لِزِيَارَتِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا اهـ**) أَىْ أَنَّ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ عَنْ قَبْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهِ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ زِيَارَةَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لِلتَّبَرُّكِ بِهِمْ مَطْلُوبَةٌ وَعَلَى هَذَا كَانَ الأَكَابِرُ وَعَلَى ذَلِكَ نَصُّوا (**وَقَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ حَدَّثَنِى سَالِمُ التَّلِّ قَالَ »مَا رَأَيْتُ اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ أَسْرَعَ مِنْهَا عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ وَحَدَّثَنِى الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ يُونُسَ الْمَعْرُوفُ بِالأَرْمَنِىِّ أَنَّهُ زَارَ هَذَا الْقَبْرَ وَأَنَّهُ نَامَ فَرَأَى فِى مَنَامِهِ قُبَّةً عِنْدَهُ وَفِيهَا شَخْصٌ أَسْمَرُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ أَوْ قَالَ نَبِىُّ اللَّهِ فَقَالَ نَعَمْ فَقُلْتُ قُلْ لِى شَيْئًا فَأَوْمَأَ إِلَىَّ بِأَرْبَعِ أَصَابِعَ وَوَصَفَ طُولَهُنَّ فَانْتَبَهْتُ وَلَمْ أَدْرِ مَا قَالَ فَأَخْبَرْتُ الشَّيْخَ ذَيَّالًا بِذَلِكَ فَقَالَ يُولَدُ لَكَ أَرْبَعَةُ أَوْلادٍ فَقُلْتُ أَنَا قَدْ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً لَمْ أَقْرَبْهَا فَقَالَ تَكُونُ غَيْرُ هَذِهِ فَتَزَوَّجْتُ أُخْرَى فَوَلَدَتْ لِى أَرْبَعَةَ أَوْلادٍ« انْتَهَى**) ثُمَّ إِنَّ أَحَدَ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ وَاسْمُهُ الْحَافِظُ سِرَاجُ الدِّينِ بنُ الْمُلَقِّنِ هَذَا تُوُفِّىَ بَعْدَ ابْنِ تَيْمِيَةَ بِنَحْوِ سِتِّينَ سَنَةً وَهُوَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيِّينَ ذَكَرَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ »**ذَهَبْتُ إِلَى قَبْرِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِىِّ وَقَفْتُ وَدَعَوْتُ اللَّهَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فَالأَمْرُ الَّذِى كَانَ يَصْعُبُ عَلَىَّ يَنْقَضِى عِنْدَمَا أَدْعُو اللَّهَ هُنَاكَ عِنْدَ قَبْرِهِ**«، هَذَا مَعْرُوفٌ الْكَرْخِىُّ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الْبَارِزِينَ الْمَشْهُورِينَ فِى بَغْدَادَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ يَقْصِدُونَ قَبْرَهُ لِلتَّبَرُّكِ. وَذَكَرَ الْحَافِظُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِىُّ فِى تَارِيخِ بَغْدَادَ عَنْ بَعْضِ أَكَابِرِ السَّلَفِ مِمَّنْ كَانَ فِي زَمَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِىُّ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَانَ حَافِظًا فَقِيهًا مُجْتَهِدًا يُشَبَّهُ بِأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يُرْسِلُ ابْنَهُ لِيَتَعَلَّمَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ أَنَّهُ قَالَ قَبْرُ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ وَالتِّرْيَاقُ هُوَ دَوَاءٌ مُرَكَّبٌ مِنْ أَجْزَاءٍ وَهُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الأَطِبَاءِ الْقُدَامَى مِنْ كَثْرَةِ مَنَافِعِهِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَنْوَاعٌ شَبَّهَ الْحَرْبِىُّ قَبْرَ مَعْرُوفٍ بِالتِّرْيَاقِ فِى كَثْرَةِ الِانْتِفَاعِ فَكَأَنَّ الْحَرْبِىَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اقْصِدُوا قَبْرَ مَعْرُوفٍ تَبَرُّكًا بِهِ مِنْ كَثْرَةِ مَنَافِعِهِ. وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِىُّ فِى تَارِيخَ بَغْدَادَ عَنِ الشَّافِعِىِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ »**إِنِّى لَأَتَبَرَّكُ بِأَبِى حَنِيفَةَ وَأَجِىءُ إِلَى قَبْرِهِ فِى كُلِّ يَوْمٍ** يَعْنِى زَائِرًا **فَإِذَا عَرَضَتْ لِى حَاجَةٌ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَجِئْتُ إِلَى قَبْرِهِ وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى الْحَاجَةَ عِنْدَهُ فَمَا تَبْعُدُ عَنِّى حَتَّى تُقْضَى**«. وَنَخْتِمُ هَذَا الْمَقَالَ بِقَوْلِ الإِمَامِ مَالِكٍ لِلْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ لَمَّا حَجَّ فَزَارَ قَبْرَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلَ مَالِكًا قَائِلًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ ءَادَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَلِ اسْتَقْبِلْهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعَهُ اللَّهُ ذَكَرَهُ الْقَاضِى عِيَاضٌ فِى كِتَابِ الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى. فَكَيْفَ تَجَرَّأَ ابْنُ تَيْمِيَةَ عَلَى تَحْرِيمِ ذَلِكَ وَتَكْفِيرِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالشِّرْكِ فَمَا أَعْظَمَ مَا تَرَتَّبَ مِنْ كَلامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ هَذَا مِنْ تَكْفِيرِ أَتْبَاعِهِ الْوَهَّابِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ لِمُجَرَّدِ قَصْدِ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالأَوْلِيَاءَ أَسْبَابٌ فَقَطْ لا يَخْلُقُونَ مَنْفَعَةً وَلا مَضَرَّةً فَكُلُّ إِثْمِ تَكْفِيرِ هَؤُلاءِ الْمُسْلِمِينَ يَكُونُ فِى صَحَائِفِ ابْنِ تَيْمِيَةَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ هَذَا (**وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِى الْمُسْنَدِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ**) فِى فَتْحِ الْبَارِى (**أَنَّ الْحَارِثَ بنَ حَسَّانٍ الْبَكْرِىَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »أَعُوذُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ« الْحَدِيثَ بِطُولِهِ دَلِيلٌ يُبْطِلُ قَوْلَ الْوَهَّابِيَّةِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ**) وَوَجْهُ الدَّلِيلِ فِى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَقُلْ لِلْحَارِثِ أَشْرَكْتَ لِقَوْلِكَ »وَرَسُولِهِ« حَيْثُ اسْتَعَذْتَ بِى وَقَدْ جَمَعَ الْحَارِثُ الِاسْتِعَاذَةَ بِالرَّسُولِ مَعَ الِاسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسْتَعَاذُ بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَمَّا الرَّسُولُ فَمُسْتَعَاذٌ بِهِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ سَبَبٌ. وَالْحَارِثُ جَاءَ لِيَطْلُبَ مِنَ الرَّسُولِ أَرْضًا فَوَجَدَ فِى طَرِيقِهِ امْرَأَةً لَهَا حَاجَةٌ عِنْدَ النَّبِىِّ فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا أَوْصَلَهَا إِلَى الرَّسُولِ فَإِذَا بِهَا تَذْكُرُ لِلرَّسُولِ مَا عِنْدَهَا فَتَبَيَّنَ لِلْحَارِثِ أَنَّ حَاجَتَهَا مِثْلُ حَاجَتِهِ فَقَالَ الصَّحَابِىُّ »**أَعُوذُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدِ عَادٍ**« يَعْنِى أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ خَائِبًا فِى أَمَلِى الَّذِى أَمَّلْتُهُ مَعْنَاهُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَسْبِقَنِى إِلَى مَا هُوَ حَاجَتِى. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ هَذَا اسْتِعَاذَةٌ بِالرَّسُولِ فِى حَيَاتِهِ فِى حَضْرَتِهِ وَنَحْنُ لا نُنْكِرُ هَذَا إِنَّمَا نُنْكِرُ الِاسْتِعَاذَةَ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ قُلْنَا الِاسْتِعَاذَةُ مَعْنًى وَاحِدٌ إِنْ كَانَ طَلَبُهَا مِنْ حَىٍّ حَاضِرٍ أَوْ غَائِبٍ فَكَيْفَ يَكُونُ طَلَبُهَا مِنَ الْحَاضِرِ جَائِزًا وَمِنَ الْغَائِبِ شِرْكًا هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِنِ اسْتَعَاذَ بِحَىٍّ أَوْ مَيِّتٍ فَإِنَّهُ يَرَى الْمُسْتَعَاذَ بِهِ سَبَبًا أَىْ أَنَّهُ يَنْفَعُ الْمُسْتَعِيذَ بِهِ إِنْ كَتَبَ اللَّهُ أَنَّهُ يَنْفَعُهُ فَلا الْحَىُّ الْحَاضِرُ الْمُسْتَعَاذُ بِهِ خَالِقٌ لِلإِعَاذَةِ وَلا الْمَيِّتُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾ وَأَيْنَ مَعْنَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فِى هَذَا أَلَيْسَ مَعْنَى الْعِبَادَةِ لُغَةً وَشَرْعًا هُوَ نِهَايَةُ التَّذَلُّلِ يَا مُكَفِّرِينَ لِأُمَّةِ الْهُدَى بِلا سَبَبٍ افْهَمُوا مَعْنَى الْعِبَادَةِ ثُمَّ تَكَلَّمُوا (**وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً فِى الأَرْضِ سِوَى الْحَفَظَةِ يَكْتُبُونَ مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فَإِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ بِأَرْضٍ فَلاةٍ فَلْيُنَادِ أَعِينُوا عِبَادَ اللَّهِ« رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ**) وَحَسَّنَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ (**وَقَالَ الْحَافِظُ الْهَيْثَمِىُّ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ**) وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ دِلالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى جَوَازِ الِاسْتِغَاثَةِ بِغَيْرِ اللَّهِ لِأَنَّ فِيهِ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ إِذَا أَصَابَ أَحَدَنَا مُشْكِلَةٌ فِى فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ أَىْ بَرِّيَّةٍ »**يَا عِبَادَ اللَّهِ أَعِينُوا**« فَإِنَّ هَذَا يَنْفَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى يُسْمِعُ هَؤُلاءِ الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ وُكِّلُوا بِأَنْ يَكْتُبُوا مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ فِى الْبَرِّيَّةِ نِدَاءَ هَذَا الشَّخْصِ لَوْ كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْهُمْ. الْمَلِكُ الْحَىُّ الْحَاضِرُ إِذَا اسْتُغِيثَ بِهِ لا يُغِيثُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَلِكَ هَؤُلاءِ الْمَلائِكَةُ لا يُغِيثُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَلِكَ الأَوْلِيَاءُ وَالأَنْبِيَاءُ إِذَا إِنْسَانٌ اسْتَغَاثَ بِهِمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ يُغِيثُونَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذًا هَؤُلاءِ سَبَبٌ وَكِلا الأَمْرَيْنِ جَائِزٌ. أَمَّا ابْنُ تَيْمِيَةَ فَيَقُولُ قَوْلُ أَغِثْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ شِرْكٌ إِنْ كَانَ فِى غِيَابِهِ أَوْ بَعْدَ وَفَاتِهِ عِنْدَهُ لا يَجُوزُ التَّوَسُّلُ إِلَّا بِالْحَىِّ الْحَاضِرِ، يَقُولُ ابْنُ تَيْمِيَةَ وَالْوَهَّابِيَّةُ لِمَ تَسْتَغِيثُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى لا يَحْتَاجُ إِلَى وَاسِطَةٍ فَيُقَالُ فِى الرَّدِّ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ الْمَلِكُ اللَّهُ تَعَالَى لا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِيُغِيثَكَ وَكَذَلِكَ الْمَلائِكَةُ اللَّهُ لا يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ لِيُغِيثُوكَ فَمَا أَبْعَدَ ابْنَ تَيْمِيَةَ وَأَتْبَاعَهُ عَنِ الْحَقِّ حَيْثُ إِنَّهُمْ وَضَعُوا شُرُوطًا لِصِحَّةِ الِاسْتِغَاثَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَتْ فِى كِتَابِ اللَّهِ وَلا فِى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَكُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِى كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ (**وَ**)قَدْ (**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »حَيَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ وَمَمَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ وَوَفَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ« رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ**) فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِىَّ يَنْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ خِلافًا لِلْوَهَّابِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ لا يَنْفَعُ أَحَدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَمَّا قَالَ »**وَمَمَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ**« أَفْهَمَنَا أَنَّهُ يَنْفَعُنَا بَعْدَ مَوْتِهِ أَيْضًا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا نَفَعَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ لَمَّا سَأَلَ النَّبِىَّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَالَ لَهُ »**خَمْسِينَ صَلاةً**« قَالَ ارْجِعْ وَسَلِ التَّخْفِيفَ فَإِنِّى جَرَّبْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ صَلاتَانِ فَلَمْ يَقُومُوا بِهِمَا فَرَجَعَ فَطَلَبَ التَّخْفِيفَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَفِى كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ يَقُولُ لَهُ ارْجِعْ فَسَلِ التَّخْفِيفَ إِلَى أَنْ صَارُوا خَمْسَ صَلَوَاتٍ بِأَجْرِ خَمْسِينَ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِىُّ فِى صَحِيحِهِ فَهَلْ يَشُكُّ عَاقِلٌ بِنَفْعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ هَذَا النَّفْعَ الْعَظِيمَ وَقَدْ كَانَ مُوسَى تُوُفِّيَ قَبْلَ لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ بِأَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ فَهَذَا عَمَلٌ بَعْدَ الْمَوْتِ نَفَعَ بِهِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »**تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ**« فَمَعْنَاهُ يَحْصُلُ مِنْكُمْ أُمُورٌ ثُمَّ يَأْتِى الْحُكْمُ بِطَرِيقِ الْوَحْىِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. ثُمَّ يُؤَكِّدُ النَّبِىُّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ نَفْعَهُ لِأُمَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِقَوْلِهِ »**وَوَفَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ**« (**وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِىُّ فِى مُعْجَمَيْهِ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ عَنْ عُثْمَانَ بنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَخْتَلِفُ**) أَىْ يَتَرَدَّدُ (**إِلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فَكَانَ عُثْمَانُ لا** **يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلا يَنْظُرُ فِى حَاجَتِهِ فَلَقِىَ عُثْمَانَ بنَ حُنَيْفٍ فَشَكَى إِلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ نَبِىِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّى فِى حَاجَتِى لِتُقْضَى لِى ثُمَّ رُحْ حَتَّى أَرُوحَ مَعَكَ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَفَعَلَ مَا قَالَ ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ فَجَاءَ الْبَوَّابُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فَأَجْلَسَهُ عَلَى طِنْفِسَتِهِ**) أَىْ سَجَّادَتِهِ (**فَقَالَ مَا حَاجَتُكَ فَذَكَرَ لَهُ حَاجَتَهُ فَقَضَى لَهُ حَاجَتَهُ وَقَالَ مَا ذَكَرْتُ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِىَ عُثْمَانَ ابْنَ حُنَيْفٍ فَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِى حَاجَتِى وَلا يَلْتَفِتُ إِلَىَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِىَّ فَقَالَ عُثْمَانُ بنُ حُنَيْفٍ وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتُهُ وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَى إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ فَقَالَ »إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ« قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَقَّ عَلَىَّ ذَهَابُ بَصَرِى وَإِنَّهُ لَيْسَ لِى قَائِدٌ فَقَالَ لَهُ »ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ هَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ« فَفَعَلَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا وَلا طَالَ بِنَا الْمَجْلِسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ وَقَدْ أَبْصَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ اهـ قَالَ الطَّبَرَانِىُّ فِى كُلٍّ مِنْ مُعْجَمَيْهِ وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ اهـ. وَالطَّبَرَانِىُّ مِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ لا يُصَحِّحُ حَدِيثًا مَعَ اتِّسَاعِ كِتَابِهِ الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ مَا قَالَ عَنْ حَدِيثٍ أَوْرَدَهُ وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ إِلَّا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ. وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ فِى الصَّغِيرِ وَصَحَّحَهُ فَفِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ الأَعْمَى تَوَسَّلَ بِالنَّبِىِّ فِى غَيْرِ حَضْرَتِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِ عُثْمَانَ بنِ حُنَيْفٍ »حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ« وَفِيهِ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِالنَّبِىِّ جَائِزٌ فِى حَالَةِ حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ فَبَطَلَ قَوْلُ ابْنِ تَيْمِيَةَ »لا يَجُوزُ التَّوَسُّلُ إِلَّا بِالْحَىِّ الْحَاضِرِ« وَكُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِى كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ**) وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ تَيْمِيَةَ لَيْسَ التَّوَسُّلُ الْوَارِدُ فِى الْحَدِيثِ تَوَسُّلًا بِذَاتِ النَّبِىِّ بَلْ بِدُعَائِهِ فَهُوَ دَعْوَى بَاطِلَةٌ لِأَنَّ التَّوَسُّلَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّبَرُّكِ الرَّسُولُ ذَاتُهُ مُبَارَكَةٌ وَءَاثَارُهُ أَىْ شَعَرُهُ وَقُلامَةُ ظُفْرِهِ وَالْمَاءُ الَّذِى تَوَضَّأَ بِهِ وَنُخَامَتُهُ وَرِيقُهُ مُبَارَكٌ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِذَلِكَ كَمَا وَرَدَ فِى الصَّحِيحِ فَكَأَنَّ قَوْلَ ابْنِ تَيْمِيَةَ هَذَا يُنَادِى بِأَنَّ الصَّحَابَةَ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ الْحَقِيقَةَ بَلْ كَانُوا جَاهِلِينَ وَمَا قَالَهُ مُخَالِفٌ لِلأُصُولِ فَإِنَّ عُلَمَاءَ الأُصُولِ لا يُسَوِّغُونَ التَّأْوِيلَ إِلَّا لِدَلِيلٍ عَقْلِىٍّ قَاطِعٍ أَوْ سَمْعِىٍّ ثَابِتٍ وَكَلامُ ابْنِ تَيْمِيَةَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَجِبُ تَقْدِيرُ مَحْذُوفٍ فَالْحَدِيثُ عِنْدَهُ يُقَدَّرُ فِيهِ مَحْذُوفٌ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ عَلَى مُوجَبِ دَعْوَاهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِدُعَاءِ نَبِيِّنَا وَكَذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّى يَلْزَمُ مِنْهُ التَّقْدِيرُ إِنِّى أَتَوَجَّهُ بِدُعَائِكَ إِلَى رَبِّى وَالأَصْلُ فِى النُّصُوصِ عَدَمُ التَّقْدِيرِ وَالتَّقْدِيرُ لا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا لِدَلِيلٍ وَهَذَا الْمَعْرُوفُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الأُصُولِ فَابْنُ تَيْمِيَةَ حُبِّبَ إِلَيْهِ الشُّذُوذُ وَخَرْقُ الإِجْمَاعِ مِنْ شِدَّةِ إِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ (**وَأَمَّا تَمَسُّكُ بَعْضِ الْوَهَّابِيَّةِ لِدَعْوَى ابْنِ تَيْمِيَةَ هَذِهِ فِى رِوَايَةِ حَدِيثِ التِّرْمِذِىِّ الَّذِى فِيهِ »اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِىَّ وَشَفِّعْنِى فِى نَفْسِى« فَلا يُفِيدُ أَنَّهُ لا يُتَبَرَّكُ بِذَاتِ النَّبِىِّ بَلِ التَّبَرُّكُ بِذَاتِ النَّبِىِّ إِجْمَاعٌ لَمْ يُخَالِفْهُ إِلَّا ابْنُ تَيْمِيَةَ، وَالرَّسُولُ هُوَ الَّذِى قَالَ فِيهِ الْقَائِلُ [الطَّوِيل]**

**وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِـمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ**

**أَوْرَدَهُ الْبُخَارِىُّ. وَأَمَّا تَوَسُّلُ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ لِأَنَّ الرَّسُولَ قَدْ مَاتَ بَلْ كَانَ لِأَجْلِ رِعَايَةِ حَقِّ قَرَابَتِهِ مِنَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلِيلِ قَوْلِ الْعَبَّاسِ حِينَ قَدَّمَهُ عُمَرُ »اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَوَجَّهُوا بِى إِلَيْكَ لِمَكَانِى مِنْ نَبِيِّكَ«**) أَىْ لِمَكَانَتِى عِنْدَهُ (**فَتَبَيَّنَ بُطْلانُ رَأْىِ ابْنِ تَيْمِيَةَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ مُنْكِرِى التَّوَسُّلِ. رَوَى هَذَا الأَثَرَ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ**) فِى فَتْحِ الْبَارِى (**وَيُسْتَأْنَسُ لَهُ أَيْضًا بِمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِى الْمُسْتَدْرَكِ أَنَّ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ »أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِوَالِدِهِ يُعَظِّمُهُ وَيُفَخِّمُهُ وَيَبَرُّ قَسَمَهُ فَاقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى عَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَزَلَ بِكُمْ« فَهَذَا يُوضِحُ سَبَبَ تَوَسُّلِ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ**) وَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ تَوَسُّلَ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ كَانَ لِرِعَايَةِ حَقِّ قَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَرْكُ عُمَرَ التَّوَسُّلَ بِالنَّبِىِّ فِى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ لَيْسَ فِيهِ دِلالَةٌ عَلَى مَنْعِ التَّوَسُّلِ بِغَيْرِ الْحَىِّ الْحَاضِرِ فَقَدْ تَرَكَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحَاتِ فَهَلْ دَلَّ تَرْكُهُ لَهَا عَلَى حُرْمَتِهَا وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فِى كُتُبِ الأُصُولِ أَنَّ تَرْكَ الشَّىْءِ لا يَدُلُّ عَلَى مَنْعِهِ. وَقَدْ أَرَادَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ أَنْ يُبَيِّنَ جَوَازَ التَّوَسُّلِ بِغَيْرِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاحِ مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ وَلِذَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِى فَتْحِ الْبَارِى عَقِبَ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَا نَصُّهُ »**يُسْتَفَادُ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسِ اسْتِحْبَابُ الِاسْتِشْفَاعِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلاحِ وَأَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**« اهـ (**فَلا الْتِفَاتَ بَعْدَ هَذَا إِلَى دَعْوَى بَعْضِ هَؤُلاءِ الْمُشَوِّشِينَ أَنَّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ فِى إِسْنَادِهِ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَلَيْسَ كَمَا زَعَمُوا بَلْ أَبُو جَعْفَرٍ هَذَا هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ الْخَطْمِىُّ ثِقَةٌ وَكَذَلِكَ دَعْوَى بَعْضِهِمْ وَهُوَ نَاصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِىُّ أَنَّ مُرَادَ الطَّبَرَانِىِّ بِقَوْلِهِ »وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ« الْقَدْرُ الأَصْلِىُّ وَهُوَ مَا فَعَلَهُ الرَّجُلُ الأَعْمَى فِى حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ فَقَطْ وَلَيْسَ مُرَادُهُ مَا فَعَلَهُ الرَّجُلُ أَيَّامَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ وَهَذَا مَرْدُودٌ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الْمُصْطَلَحِ قَالُوا »الْحَدِيثُ يُطْلَقُ عَلَى الْمَرْفُوعِ إِلَى النَّبِىِّ وَالْمَوْقُوفِ عَلَى الصَّحَابَةِ«**) وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ مِنْهُمُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلانِـىُّ كَمَا نَقَلَ عَنْهُ السُّيُوطِىُّ فِى تَدْرِيبِ الرَّاوِى وَابْنُ الصَّلاحِ فِى مُقَدِّمَتِهِ فِى عُلُومِ الْحَدِيثِ (**أَىْ أَنَّ كَلامَ الرَّسُولِ يُسَمَّى حَدِيثًا وَقَوْلَ الصَّحَابِىِّ يُسَمَّى حَدِيثًا وَلَيْسَ لَفْظُ الْحَدِيثِ مَقْصُورًا عَلَى كَلامِ النَّبِىِّ فَقَطْ فِى اصْطِلاحِهِمْ وَهَذَا الْمُمَوِّهُ كَلامُهُ لا يُوَافِقُ الْمُقَرَّرَ فِى عِلْمِ الْمُصْطَلَحِ فَلْيَنْظُرْ مَنْ شَاءَ فِى كِتَابِ تَدْرِيبِ الرَّاوِى وَالإِفْصَاحِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ كُتُبِ الْمُصْطَلَحِ فَإِنَّ الأَلْبَانِىَّ لَمْ يَجُرَّهُ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَى إِلَّا شِدَّةُ تَعَصُّبِهِ لِهَوَاهُ وَعَدَمُ مُبَالاتِهِ بِمُخَالَفَةِ الْعُلَمَاءِ كَسَلَفِهِ ابْنِ تَيْمِيَةَ. أَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِى رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ »إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ« فَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ أَيْضًا عَلَى مَنْعِ التَّوَسُّلِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ لِأَنَّ الْحَدِيثَ مَعْنَاهُ أَنَّ الأَوْلَى بِأَنْ يُسْأَلَ وَيُسْتَعَانَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى وَلَيْسَ مَعْنَاهُ لا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ وَلا تَسْتَعِنْ بِغَيْرِ اللَّهِ**) فَالْمُتَوَسِّلُ الْقَائِلُ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِنَبِيِّكَ أَوْ بِأَبِى بَكْرٍ أَوْ بِأُوَيْسٍ الْقَرَنِىِّ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ سَأَلَ اللَّهَ وَلَمْ يَسْأَلْ غَيْرَهُ فَأَيْنَ الْحَدِيثُ وَأَيْنَ دَعْوَاهُمْ ثُمَّ إِنَّ الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ أَدَاةُ نَهْىٍ لَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ لِابْنِ عَبَّاسٍ لا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ وَلا تَسْتَعِنْ بِغَيْرِ اللَّهِ وَلَوْ وَرَدَ بِلَفْظِ النَّهْىِ فَلَيْسَ كُلُّ أَدَاةِ نَهْىٍ لِلتَّحْرِيمِ (**نَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) الَّذِى أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِىُّ فِى سُنَنِهِ وَابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ (**»لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِىٌّ«**) فَهَذَا الْحَدِيثُ مَعَ وُجُودِ أَدَاةِ النَّهْىِ فِيهِ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى التَّحْرِيمِ (**فَكَمَا لا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ عَدَمُ جَوَازِ صُحْبَةِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ وَإِطْعَامِ غَيْرِ التَّقِىِّ وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الأَوْلَى فِى الصُّحْبَةِ الْمُؤْمِنُ وَأَنَّ الأَوْلَى بِالإِطْعَامِ هُوَ التَّقِىُّ، كَذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ لا يُفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا الأَوْلَوِيَّةُ وَأَمَّا التَّحْرِيمُ الَّذِى يَدَّعُونَهُ فَلَيْسَ فِى هَذَا الْحَدِيثِ**) فَكَيْفَ تَجَرَّأَتِ الْوَهَّابِيَّةُ عَلَى الِاسْتِدْلالِ بِهَذَا الْحَدِيثِ لِمَنْعِ التَّوَسُّلِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ مَا أَجْرَأَهُمْ عَلَى التَّحْرِيمِ وَالتَّكْفِيرِ بِغَيْرِ سَبَبٍ (**وَلا فَرْقَ بَيْنَ التَّوَسُّلِ وَالِاسْتِغَاثَةِ فَالتَّوَسُّلُ يُسَمَّى اسْتِغَاثَةً كَمَا جَاءَ فِى حَدِيثِ الْبُخَارِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ« صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثَ فِى رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ لِحَدِيثِ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّوَسُّلَ يَأْتِى بِمَعْنَى الِاسْتِغَاثَةِ وَفِيه رَدٌّ عَلَى مَنْ جَعَلَ التَّوَسُّلَ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكًا (**وَفِى رِوَايَةِ أَنَسٍ**) لِهَذَا الْحَدِيثِ »**يَا ءَادَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا**« (**رُوِىَ بِلَفْظِ الِاسْتِشْفَاعِ وَكِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ فِى الصَّحِيحِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الِاسْتِشْفَاعَ وَالِاسْتِغَاثَةَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ فَسَمَّى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الطَّلَبَ مِنْ ءَادَمَ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ إِلَى رَبِّهِمُ اسْتِغَاثَةً**) وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ تَقِىُّ الدِّينِ السُّبْكِىُّ فِى شِفَاءِ السَّقَامِ »**الِاسْتِشْفَاعُ وَالتَّوَسُّلُ وَالتَّوَجُّهُ وَالتَّجَوُّهُ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ**«. وَالتَّقِىُّ السُّبْكِىُّ مُحَدِّثٌ حَافِظٌ فَقِيهٌ لُغَوِيٌّ كَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ السُّيُوطِىُّ فِى الذَّيْلِ (**ثُمَّ الرَّسُولُ سَمَّى الْمَطَرَ مُغِيثًا فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ**) فِى سُنَنِهِ (**وَغَيْرُهُ بِالإِسْنَادِ الصَّحِيحِ أَنَّ الرَّسُولَ قَالَ »اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيعًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ عَاجِلًا غَيْرَ ءَاجِلٍ« فَالرَّسُولُ سَمَّى الْمَطَرَ مُغِيثًا لِأَنَّهُ يُنْقِذُ مِنَ الشِّدَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَلِكَ النَّبِىُّ وَالْوَلِىُّ يُنْقِذَانِ مِنَ الشِّدَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى**) بَقِىَ لَنَا أَنْ نَذْكُرَ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِى ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ الدَّلِيلَ عَلَى جَوَازِ طَلَبِ مَا لَمْ تَجْرِ بِهِ الْعَادَةُ بَيْنَ النَّاسِ فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ أَنَّ رَبِيعَةَ بنَ كَعْبٍ الأَسْلَمِىَّ الَّذِى خَدَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ بَابِ حُبِّ الْمُكَافَأَةِ »**سَلْنِى**« فَطَلَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ رَفِيقَهُ فِى الْجَنَّةِ فَقَالَ لَهُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّةِ فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ بَلْ قَالَ لَهُ مِنْ بَابِ التَّوَاضُعِ »**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ**« فَقَالَ الصَّحَابِىُّ هُوَ ذَاكَ فَقَالَ لَهُ »**فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**« وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ حِينَ طَلَبَتْ مِنْهُ عَجُوزٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِى الْجَنَّةِ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهَا ذَلِكَ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ فَمِنْ أَيْنَ لِابْنِ تَيْمِيَةَ وَأَتْبَاعِهِ أَنْ يَبْنُوا قَاعِدَةً وَهِىَ قَوْلُهُمْ طَلَبُ مَا لَمْ تَجْرِ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ.

**التَّبَرُّكُ بِآثَارِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

(**اعْلَمْ أَنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِآثَارِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَلا زَالَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى ذَلِكَ**) وَالتَّبَرُّكُ مَعْنَاهُ طَلَبُ زِيَادَةِ الْخَيْرِ (**وَجَوَازُ هَذَا الأَمْرِ يُعْرَفُ مِنْ فِعْلِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ شَعَرَهُ حِينَ حَلَقَ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ**) بَيْنَ أَصْحَابِهِ لِيَتَبَرَّكُوا بِهِ لا لِيَأْكُلُوهُ لِأَنَّ الشَّعَرَ لا يُؤْكَلُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِى غَيْرِ الأَكْلِ فَأَرْشَدَ الرَّسُولُ أُمَّتَهُ إِلَى التَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ كُلِّهَا (**وَ**)كَذَلِكَ قَسَمَ (**أَظْفَارَهُ. أَمَّا اقْتِسَامُ الشَّعَرِ فَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ فَفِى لَفْظِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا رَمَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمْرَةَ وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ نَاوَلَ الْحَالِقَ شِقَّهُ الأَيْمَنَ فَحَلَقَ ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِىَّ فَأَعْطَاهُ ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ فَقَالَ »احْلِقْ« فَحَلَقَ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ فَقَالَ »اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ«. وَفِى رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَيْضًا »فَبَدَأَ بِالشِّقِّ الأَيْمَنِ فَوَزَّعَهُ الشَّعْرَةَ وَالشَّعْرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ« ثُمَّ قَالَ بِالأَيْسَرِ فَصَنَعَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ »هَهُنَا أَبُو طَلْحَةَ« فَدَفَعَهُ إِلَى أَبِى طَلْحَةَ. وَفِى رِوَايَةٍ أُخْرَى لِمُسْلِمٍ أَيْضًا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ قَالَ لِلْحَلَّاقِ »هَا« وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبِ الأَيْمَنِ فَقَسَمَ شَعَرَهُ بَيْنَ مَنْ يَلِيهِ ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحَلَّاقِ إِلَى الْجَانِبِ الأَيْسَرِ فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّ سُلَيْمٍ فَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ وَزَّعَ بِنَفْسِهِ بَعْضًا بَيْنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَلُونَهُ وَأَعْطَى بَعْضًا لِأَبِى طَلْحَةَ لِيُوَزِّعَهُ فِى سَائِرِهِمْ وَأَعْطَى بَعْضًا أُمَّ سُلَيْمٍ فَفِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الرَّسُولِ فَقَدْ قَسَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعَرَهُ لِيَتَبَرَّكُوا بِهِ وَلِيَسْتَشْفِعُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ مِنْهُ وَيَتَقَرَّبُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ**) حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَغْمِسُونَهُ فِى الْمَاءِ فَيَسْقُونَ هَذَا الْمَاءَ بَعْضَ الْمَرْضَى تَبَرُّكًا بِأَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا الْحَدِيثُ فِى الْبُخَارِىِّ وَمُسْلِمٍ وَأَبِى دَاوُدَ (**قَسَمَ**) شَعَرَهُ (**بَيْنَهُمْ لِيَكُونَ بَرَكَةً بَاقِيَةً بَيْنَهُمْ وَتَذْكِرَةً لَهُمْ. ثُمَّ تَبِعَ الصَّحَابَةَ فِى خُطَّتِهِمْ**) أَىْ خَصْلَتِهِمْ (**فِى التَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَسْعَدَهُ اللَّهُ وَتَوَارَدَ ذَلِكَ الْخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ**) وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ وَقَدْ رَوَى الذَّهَبِىُّ فِى كِتَابِ سِيَرِ أَعْلامِ النُّبَلاءِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الإِمَامِ أَحْمَدَ قَالَ »**رَأَيْتُ أَبِى يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعَرِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يُقَبِّلُهَا وَأَحْسَبُ أَنِّى رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ وَيَغْمِسُهَا فِى الْمَاءِ وَيَشْرَبُهُ يَسْتَشْفِى بِهِ وَرَأَيْتُهُ أَخَذَ قَصْعَةَ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ فَغَمَسَهَا فِى جُبِّ الْمَاءِ ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِى بِهِ وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ**« (**وَأَمَّا اقْتِسَامُ الأَظْفَارِ فَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِى مُسْنَدِهِ أَنَّ النَّبِىَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ قَلَّمَ أَظْفَارَهُ وَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَأْكُلَهَا النَّاسُ بَلْ لِيَتَبَرَّكُوا بِهَا. أَمَّا جُبَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِى الصَّحِيحِ عَنْ مَوْلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ قَالَ »أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا جُبَّةً طَيَالِسَةً كِسْرَوَانِيَّةً لَهَا لَبِنَةُ دِيبَاجٍ وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ**) قَالَ النَّوَوِىُّ فِى شَرْحِ مُسْلِمٍ »كَذَا وَقَعَ فِى جَمِيعِ النُّسَخِ وَفَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ وَهُمَا مَنْصُوبَانِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ أَىْ وَرَأَيْتُ فَرْجَيْهَا مَكْفُوفَيْنِ« وَوَقَعَ عِنْدَ أَحْمَدَ فِى مُسْنَدِهِ لَفْظُ وَفَرْجَاهَا مَكْفُوفَانِ (**وَقَالَتْ هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى نَسْتَشْفِى بِهَا« وَفِى رِوَايَةٍ**) لِأَحْمَدَ فِى مُسْنَدِهِ (**نَغْسِلُهَا لِلْمَرِيضِ مِنَّا. وَعَنْ حَنْظَلَةَ بنِ حِذْيَمٍ قَالَ »وفَدْتُ مَعَ جَدِّى حِذْيَمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِى بَنِينَ ذَوِى لِحًى وَغَيْرَهُمْ وَهَذَا أَصْغَرُهُمْ فَأَدْنَانِى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ وَمَسَحَ رَأْسِى وَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ قَالَ الذَّيَّالُ فَلَقَدْ رَأَيْتُ حَنْظَلَةَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْوَارِمِ وَجْهُهُ أَوِ الشَّاةِ الْوَارِمِ ضَرْعُهَا فَيَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ عَلَى مَوْضِعِ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ فَيَمْسَحُهُ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ« رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ فِى الأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ بِنَحْوِهِ وَأَحْمَدُ**) فِى مُسْنَدِهِ (**فِى حَدِيثٍ طَوِيلٍ وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ**) قَالَهُ الْهَيْثَمِىُّ فِى مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (**وَعَنْ ثَابِتٍ قَالَ »كُنْتُ إِذَا أَتَيْتُ أَنَسًا يُخْبَرُ بِمَكَانِى فَأَدْخُلُ عَلَيْهِ فَآخُذُ بِيَدَيْهِ فَأُقَبِّلُهُمَا وَأَقُولُ بِأَبِى هَاتَانِ الْيَدَانِ اللَّتَانِ مَسَّتَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ وَأُقَبِّلُ عَيْنَيْهِ وَأَقُولُ بِأَبِى هَاتَانِ الْعَيْنَانِ اللَّتَانِ رَأَتَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ« رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى**) فِى مُسْنَدِهِ (**وَرِجَالُهُ** **رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِى بَكْرٍ الْمُقَدَّمِىِّ وَهُوَ ثِقَةٌ**) قَالَهُ الْحَافِظُ الْهَيْثَمِىُّ فِى الْمَجْمَعِ (**وَعَنْ دَاوُدَ بنِ أَبِى صَالِحٍ قَالَ »أَقْبَلَ مَرْوَانُ**) يَعْنِى مَرْوَانَ بنَ الْحَكَمِ (**يَوْمًا**) وَكَانَ حَاكِمًا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ وَلَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَا قَالَ الْبُخَارِىُّ (**فَوَجَدَ رَجُلًا وَاضِعًا وَجْهَهُ عَلَى الْقَبْرِ فَقَالَ أَتَدْرِى مَا تَصْنَعُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ أَبُو أَيُّوبَ**) وَاسْمُهُ خَالِدُ بنُ زَيْدٍ (**فَقَالَ نَعَمْ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ وَلَمْ ءَاتِ الْحَجَرَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ يَقُولُ لا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ وَلَكِنِ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ« رَوَاهُ أَحْمَدُ**) فِى مُسْنَدِهِ (**وَالطَّبَرَانِىُّ فِى**) الْمُعْجَمِ (**الْكَبِيرِ وَالأَوْسَطِ**) مَعْنَاهُ أَنْتَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ يَا مَرْوَانُ لَسْتَ أَهْلًا لِتَوَلِّى الأَمْرِ. وَهَذَا الَّذِى ذَكَرْنَاهُ كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ التَّبَرُّكِ بِآثَارِ النَّبِىِّ وَبِقَبْرِهِ كَذَلِكَ فَإِذَا كَانَ وَضْعُ الْوَجْهِ عَلَى الْقَبْرِ مِنْ أَبِى أَيُّوبَ لَمْ يَسْتَنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَاذَا يَقُولُ أَتْبَاعُ ابْنِ تَيْمِيَةَ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ قَصْدَ الْقَبْرِ لِلتَّبَرُّكِ شِرْكًا هَلْ يُكَفِّرُونَ أَبَا أَيُّوبَ أَمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ فَتَكْفِيرُ الْوَهَّابِيَّةِ لِمَنْ يَقْصِدُ قُبُورَ الصَّالِحِينَ لِلتَّبَرُّكِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ يَنْعَطِفُ عَلَى مَنْ قَبْلَ هَذَا الْعَصْرِ إِلَى الصَّحَابَةِ فَيَكُونُونَ كَفَّرُوا السَّلَفَ وَالْخَلَفَ. وَقَالَ السَّمْهُودِىُّ فِى وَفَاءِ الْوَفَا مَا نَصُّهُ »**لَمَّا قَدِمَ بِلالٌ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الشَّامِ لِزِيَارَةِ النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْقَبْرَ فَجَعَلَ يَبْكِى عِنْدَهُ وَيُـمَرِّغُ وَجْهَهُ عَلَيْهِ**« وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ كَمَا سَبَقَ. وَفِى تُحْفَةِ ابْنِ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِىٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَوْرَدَهُ السَّمْهُودِىُّ فِى وَفَاءِ الْوَفَا قَالَ »**لَمَّا رُمِسَ** أَىْ دُفِنَ **رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِىَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَوَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَتْ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ الْقَبْرِ وَوَضَعَتْ عَلَى عَيْنِهَا وَبَكَتْ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ**

**مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ أَنْ لا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا**

**صُبَّتْ عَلَىَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا**

(**وَرَوَى الْبَيْهَقِىُّ فِى دَلائِلِ النُّبُوَّةِ وَالْحَاكِمُ فِى مُسْتَدْرَكِهِ وَغَيْرُهُمَا بِالإِسْنَادِ أَنَّ خَالِدَ بنَ الْوَلِيدِ فَقَدَ قَلَنْسُوَةً لَهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَقَالَ اطْلُبُوهَا فَلَمْ يَجِدُوهَا ثُمَّ طَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا فَقَالَ خَالِدٌ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ فَابْتَدَرَ النَّاسُ جَوَانِبَ شَعَرِهِ فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلْتُهَا فِى هَذِهِ الْقَلَنْسُوَةِ فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا وَهِىَ مَعِى إِلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ. وَهَذِهِ الْقِصَّةُ صَحِيحَةٌ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الشَّيْخُ حَبِيبُ الرَّحْمٰنِ الأَعْظَمِىُّ فِى تَعْلِيقِهِ عَلَى الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ فَقَالَ »قَالَ الْبُوصِيرِىُّ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَقَالَ الْهَيْثَمِىُّ**) فِى مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (**رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ وَأَبُو يَعْلَى بِنَحْوِهِ وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ« اهـ فَلا الْتِفَاتَ بَعْدَ هَذَا إِلَى دَعْوَى مُنْكِرِى التَّوَسُّلِ وَالتَّبَرُّكِ بِآثَارِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ**) فَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ ابْنَ تَيْمِيَةَ وَأَتْبَاعَهُ شَاذُّونَ عَنِ الأُمَّةِ سَلَفِهَا وَخَلَفِهَا وَتَسْمِيَةُ الْوَهَّابِيَّةِ أَنْفُسَهُمْ سَلَفِيَّةً كَذِبٌ ظَاهِرٌ فَلا يَجُوزُ تَسْمِيَتُهُمْ بِهَذَا الِاسْمِ الَّذِى هُمْ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِهِ لِيُوهِمُوا النَّاسَ أَنَّهُمْ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ إِنَّمَا يُسَمَّوْنَ وَهَّابِيَّةً وَهَذَا الِاسْمُ هُوَ الِاسْمُ الَّذِى سَمَّاهُمْ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مُنْذُ أَوَّلِ مَا ظَهَرُوا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَهَذَا الَّذِى يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَلا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَلا مِنَ النَّحْوِيِّينَ لِذَلِكَ لَمْ يَعُدَّهُ مَنْ أَلَّفَ فِى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ مِنْ فُقَهَائِهِمْ إِنَّمَا مَدَحَهُ مَنْ كَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَلا عِبْرَةَ بِذَلِكَ وَأَمَّا عُلَمَاءُ عَصْرِهِ وَمِنْهُمْ أَخُوهُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَمُحَمَّدُ بنُ الأَمِيرِ الصَّنْعَانِىُّ فَقَدْ ذَمَّاهُ وَغَيْرُهُمَا وَأَخُوهُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ أَلَّفَ فِى الرَّدِّ عَلَيْهِ تَأْلِيفًا سَمَّاهُ فَصْلَ الْخِطَابِ فِى الرَّدِّ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ.

**الِاجْتِهَادُ وَالتَّقْلِيدُ**

(**الِاجْتِهَادُ هُوَ اسْتِخْرَاجُ الأَحْكَامِ الَّتِى لَمْ يَرِدْ فِيهَا نَصٌّ صَرِيحٌ لا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدًا**) مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِيهِ نَصٌّ صَرِيحٌ لا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا فَلا مَجَالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهِ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمُجْتَهِدِينَ وَهُوَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِى الأَوْسَطِ »**إِذَا جَاءَ الْخَبَرُ ارْتَفَعَ النَّظَرُ**« يَعْنِى بِالْخَبَرِ النَّصَّ الْقُرْءَانِىَّ وَالنَّصَّ الْحَدِيثِىَّ (**فَالْمُجْتَهِدُ مَنْ لَهُ أَهْلِيَّةُ ذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِآيَاتِ الأَحْكَامِ**) وَهِىَ خَمْسُمِائَةٍ (**وَأَحَادِيثِ الأَحْكَامِ**) وَهِىَ خَمْسُمِائَةٍ وَهِىَ الَّتِى ذُكِرَ فِيهَا أَحْكَامٌ شَرْعِيَّةٌ (**وَ**)لا بُدَّ مِنْ (**مَعْرِفَةِ أَسَانِيدِهَا وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِ رِجَالِ الإِسْنَادِ**) أَىْ يَنْبَغِى لِلْمُجْتَهِدِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْوَالَ الرُّوَاةِ قُوَّةً وَضَعْفًا فَيُقَدِّمُ عِنْدَ التَّعَارُضِ الْخَاصَّ عَلَى الْعَامِّ وَالْمُقَيَّدَ عَلَى الْمُطْلَقِ وَالنَّصَّ عَلَى الظَّاهِرِ وَالْمُحْكَمَ عَلَى الْمُتَشَابِهِ وَالنَّاسِخَ وَالْمُتَّصِلَ وَالْقَوِىَّ عَلَى مُقَابِلِهِ. (**وَ**)لا بُدَّ مِنْ (**مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ**) وَالنَّسْخُ مَعْنَاهُ الإِزَالَةُ وَيُقَالُ رَفْعُ حُكْمٍ شَرْعِىٍّ سَابِقٍ بِحُكْمٍ شَرْعِىٍّ لاحِقٍ. وَيَجُوزُ نَسْخُ الرَّسْمِ وَبَقَاءُ الْحُكْمِ أَىْ يَجُوزُ نَسْخُ رَسْمِ الآيَةِ فِى الْمُصْحَفِ وَتِلاوَتِهَا عَلَى أَنَّهَا قُرْءَانٌ مَعَ بَقَاءِ حُكْمِهَا وَالتَّكْلِيفِ بِهِ نَحْوُ ءَايَةِ الرَّجْمِ وَهِىَ »**الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ**«. وَيَجُوزُ نَسْخُ الْحُكْمِ وَبَقَاءُ الرَّسْمِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ**﴾ نُسِخَتْ بِالآيَةِ الَّتِى قَبْلَهَا وَهِىَ ﴿**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**﴾. وَيَجُوزُ نَسْخُ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ كَمَا فِى ءَايَتَىِ الْعِدَّةِ وَءَايَتَىِ الْمُصَابَرَةِ. وَيَجُوزُ نَسْخُ السُّنَّةِ بِالْكِتَابِ كَمَا فِى نَسْخِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الثَّابِتِ بِالسُّنَّةِ الْفِعْلِيَّةِ فِى حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾. وَيَجُوزُ نَسْخُ السُّنَّةِ بِالسُّنَّةِ كَمَا فِى حَدِيثِ مُسْلِمٍ »**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلا فَزُورُوهَا**« وَيَجُوزُ نَسْخُ الْمُتَوَاتِرِ بِالْمُتَوَاتِرِ مِنْهُمَا أَىِ الْقُرْءَانِ وَالسُّنَّةِ وَيَجُوزُ نَسْخُ الآحَادِ بِالآحَادِ وَبِالْمُتَوَاتِرِ وَلا يَجُوزُ نَسْخُ الْمُتَوَاتِرِ بِالآحَادِ (**وَ**)لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ (**الْعَامِّ وَالْخَاصِّ**) وَالْعَامُّ هُوَ مَا عَمَّ شَيْئَيْنِ فَصَاعِدًا وَالْعُمُومُ مِنْ صِفَاتِ النُّطْقِ وَلا يَجُوزُ دَعْوَى الْعُمُومِ فِى غَيْرِهِ مِنَ الْفِعْلِ وَمَا يَجْرِى مَجْرَاهُ. وَالْخَاصُّ يُقَابِلُ الْعَامَّ وَالتَّخْصِيصُ تَمْيِيزُ بَعْضِ الْجُمْلَةِ. وَيَجُوزُ تَخْصِيصُ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ نَحْوُ ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوَءٍ**﴾ الشَّامِلِ لِأُولاتِ الأَحْمَالِ فَخُصَّ بِقَوْلِهِ ﴿**وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾. وَيَجُوزُ تَخْصِيصُ الْكِتَابِ بِالسُّنَّةِ كَتَخْصِيصِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ**﴾ الشَّامِلِ لِلْمَوْلُودِ الْكَافِرِ بِحَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ »**لا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ**«. وَيَجُوزُ تَخْصِيصُ السُّنَّةِ بِالْكِتَابِ مِثْلُ تَخْصِيصِ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ »**لا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأْ**« بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَى**﴾ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿**فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا**﴾. وَيَجُوزُ تَخْصِيصُ السُّنَّةِ بِالسُّنَّةِ مِثْلُ تَخْصِيصِ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ »**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ الْعُشْرَ**« بِحَدِيثِ »**لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ**« مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (**وَ**)لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ (**الْمُطْلَقِ وَالْمُقَيَّدِ**) وَالْمُطْلَقُ الدَّالُّ عَلَى الْمَاهِيَّةِ بِلا قَيْدٍ أَىْ مِنْ حَيْثُ هِىَ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ عَارِضٍ مِنْ عَوَارِضِهَا كَقَوْلِنَا الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ فَيَخْرُجُ بِقَوْلِهِمْ بِلا قَيْدٍ الْمَعْرِفَةُ وَالنَّكِرَةُ أَمَّا الْمَعْرِفَةُ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَعَ وَحْدَةٍ مُعَيَّنَةٍ كَزَيْدٍ وَأَمَّا النَّكِرَةُ فَلِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا مَعَ وَحْدَةٍ غَيْرِ مُعَيَّنَةٍ كَرَجُلٍ وَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُطْلَقِ وَالنَّكِرَةِ وَذَلِكَ كَحَدِيثِ »**يَمْسَحُ الْمُسَافِرُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ** «فَإِنَّهُ مُطْلَقٌ فِى رِوَايَةٍ وَوَرَدَ مُقَيَّدًا فِى رِوَايَةٍ »**إِذَا تَطَهَّرَ فَلَبِسَ**« فَاللَّفْظُ الأَوَّلُ مُطْلَقٌ وَالثَّانِى مُقَيَّدٌ كَذَلِكَ حَدِيثُ »**لا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ**« مَعَ الرِّوَايَةِ الأُخْرَى بِالنَّهْىِ عَنْ مَسِّهِ بِالْيَمِينِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِحَالَةِ الْبَوْلِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِى كَفَّارَةِ الْقَتْلِ ﴿**وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً**﴾ وَقَالَ فِى كَفَّارَةِ الظِّهَارِ ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾ بِدُونِ تَقْيِيدِهَا بِالإِيمَانِ (**وَمَعَ إِتْقَانِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ**) أَىْ يَنْبَغِى عَلَى الْمُجْتَهِدِ أَنْ يُتْقِنَ لُغَةَ الْعَرَبِ (**بِحَيْثُ إِنَّهُ يَحْفَظُ مَدْلُولاتِ أَلْفَاظِ النُّصُوصِ**) الشَّرْعِيَّةِ (**عَلَى حَسَبِ اللُّغَةِ الَّتِى نَزَلَ بِهَا الْقُرْءَانُ**) وَيَعْرِفُ النَّحْوَ وَالصَّرْفَ وَالْبَلاغَةَ. هَذَا فِى غَيْرِ السَّلِيقِىِّ أَمَّا السَّلِيقِىُّ كَالصَّحَابَةِ وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ فِى كَوْنِ كَلامِهِ مُطَابِقًا لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى حَسَبِ أُصُولِهَا وَأَسَالِيبِهَا فَهُوَ غَنِىٌّ عَنْ تَعَلُّمِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ لِأَنَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَى النُّطْقِ بِالصَّوَابِ فِى اللُّغَةِ (**وَ**)لا بُدَّ لِلْمُجْتَهِدِ مِنْ (**مَعْرِفَةِ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُجْتَهِدُونَ وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ لا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرِقَ الإِجْمَاعَ أَىْ إِجْمَاعَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ**) أَىْ يَنْبَغِى لِلْمُجْتَهِدِ أَنْ يَعْرِفَ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ إِجْمَاعًا وَاخْتِلافًا فَلا يُخَالِفُهُمْ فِى اجْتِهَادِهِ. وَالْمُجْتَهِدُ يَسْتَدِلُّ عَلَى مَا احْتَمَلَ التَّأْوِيلَ بِالسُّنَّةِ وَبِالإِجْمَاعِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِالْقِيَاسِ عَلَى مَا فِى الْكِتَابِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِالْقِيَاسِ عَلَى مَا فِى السُّنَّةِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِالْقِيَاسِ عَلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَإِجْمَاعُ النَّاسِ وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ مُخَالِفٌ وَلا يَجُوزُ الْقَوْلُ فِى شَىْءٍ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الأَوْجُهِ. وَلا يَكُونُ صَالِحًا لِأَنْ يَقِيسَ حَتَّى يَكُونَ عَالِمًا بِمَا مَضَى قَبْلَهُ مِنَ السُّنَنِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ وَإِجْمَاعِ النَّاسِ وَاخْتِلافِ الْعُلَمَاءِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ وَيَكُونَ صَحِيحَ الْعَقْلِ لِيُفَرِّقَ بَيْنَ الْمُشْتَبِهَاتِ وَلا يَعْجَلُ وَيَسْمَعُ مِمَّنْ خَالَفَهُ لِيَتَنَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى غَفْلَةٍ إِنْ كَانَتْ وَأَنْ يَبْلُغَ غَايَةَ جَهْدِهِ وَيُنْصِفَ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مِنْ أَيْنَ قَالَ مَا قَالَ (**وَيُشْتَرَطُ فَوْقَ ذَلِكَ شَرْطٌ وَهُوَ رُكْنٌ عَظِيمٌ فِى الِاجْتِهَادِ وَهُوَ فِقْهُ النَّفْسِ أَىْ قُوَّةُ الْفَهْمِ وَالإِدْرَاكِ**) وَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْلِصَ عِلْمَ الدِّينِ مِنَ الْقُرْءَانِ وَالْحَدِيثِ مُبَاشَرَةً لِأَنَّ الْقَرَائِحَ تَخْتَلِفُ هَذَا ذَكَاؤُهُ أَقْوَى مِنْ هَذَا وَهَذَا ذَكَاؤُهُ أَقْوَى مِنْ هَذَا وَهَذَا بَلِيدٌ وَهَذَا أَبْلَدُ، وَهَؤُلاءِ الأَئِمَّةُ الْمُجْتَهِدُونَ كُلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ قَرَائِحَ قَوِيَّةً أَذْهَانًا قَوِيَّةً (**وَتُشْتَرَطُ**) فِى الْمُجْتَهِدِ (**الْعَدَالَةُ وَهِىَ السَّلامَةُ مِنَ الْكَبَائِرِ وَمِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الصَّغَائِرِ بِحَيْثُ تَغْلِبُ عَلَى حَسَنَاتِهِ مِنْ حَيْثُ الْعَدَدُ، وَأَمَّا الْمُقَلِّدُ فَهُوَ الَّذِى لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ**) وَلَهُ رُخْصَةٌ بِأَنْ يَعْمَلَ بِأَىِّ مَذْهَبٍ يُرِيدُ إِنْ شَاءَ يُقَلِّدُ مَذْهَبَ الشَّافِعِىِّ أَوْ مَالِكٍ أَوْ أَبِى حَنِيفَةَ أَوْ أَحْمَدَ أَوْ غَيْرِهِمْ وَإِنْ شَاءَ مَرَّةً يُقَلِّدُ هَذَا وَمَرَّةً هَذَا وَمَرَّةً هَذَا أَمَّا الْمُجْتَهِدُ فَلا يَعْمَلُ بِغَيْرِ اجْتِهَادِهِ (**وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِى فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا فَرُبَّ مُبَلِّغٍ لا فِقْهَ عِنْدَهُ« رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ وَابْنُ حِبَّانَ**) فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا فِى حَدِيثِهِ هَذَا لِمَنْ حَفِظَ حَدِيثَهُ فَأَدَّاهُ كَمَا سَمِعَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ بِنَضْرَةِ الْوَجْهِ أَىْ بِحُسْنِ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِالسَّلامَةِ مِنَ الْكَآبَةِ الَّتِى تَحْصُلُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمُ الأَهْوَالِ الْعِظَامِ وَالشَّدَائِدِ الْجِسَامِ وَ(**الشَّاهِدُ فِى الْحَدِيثِ قَوْلُهُ »فَرُبَّ مُبَلِّغٍ لا فِقْهَ عِنْدَهُ« وَفِى رِوَايَةٍ**) لِابْنِ حِبَّانَ فِى صَحِيحِهِ (**»وَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ« فَإِنَّهُ يُفْهِمُنَا أَنَّ مِمَّنْ يَسْمَعُونَ الْحَدِيثَ مِنَ الرَّسُولِ مَنْ حَظُّهُ أَنْ يَرْوِىَ مَا سَمِعَهُ لِغَيْرِهِ وَيَكُونُ هُوَ فَهْمُهُ أَقَلَّ مِنْ فَهْمِ مَنْ يُبَلِّغُهُ بِحَيْثُ إِنَّ مَنْ يُبَلِّغُهُ هَذَا السَّامِعُ يَسْتَطِيعُ مِنْ قُوَّةِ قَرِيحَتِهِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ أَحْكَامًا وَمَسَائِلَ وَيُسَمَّى هَذَا الِاسْتِنْبَاطَ وَالَّذِى سَمِعَ لَيْسَ عِنْدَهُ هَذِهِ الْقَرِيحَةُ الْقَوِيَّةُ إِنَّمَا يَفْهَمُ الْمَعْنَى الَّذِى هُوَ قَرِيبٌ مِنَ اللَّفْظِ. مِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ يَكُونُ أَقَلَّ فَهْمًا مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْهُمْ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ. وَفِى لَفْظٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ »فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ« وَهَاتَانِ الرِّوَايَتَانِ فِى التِّرْمِذِىِّ وَابْنِ حِبَّانَ**) فَأَفْهَمَنَا الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ مِنْهُ الشَّخْصُ الْحَدِيثَ الْمُتَضَمِّنَ أَحْكَامًا وَلا يَكُونُ عِنْدَهُ أَهْلِيَّةُ الِاسْتِنْبَاطِ وَيَحْمِلُهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ أَىْ إِلَى مَنْ لَهُ أَهْلِيَّةُ الِاسْتِنْبَاطِ. وَفِى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ »**وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**« دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْتَخْرِجُوا الْفِقْهَ مِنَ الْحَدِيثِ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِى كُلِّ زَمَانٍ مُجْتَهِدًا لا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْهُ فَقَدْ رَوَى كَمِيلُ بنُ زِيَادٍ عَنْ عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ »**لا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَجِهِ**« أَىْ لا تَخْلُو مِنْ مُجْتَهِدٍ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِى حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ (**وَهَذَا الْمُجْتَهِدُ هُوَ مَوْرِدُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ« رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ**) قَالَ النَّوَوِىُّ فِى شَرْحِ مُسْلِمٍ »**قَالَ الْعُلَمَاءُ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِى حَاكِمٍ عَالِمٍ أَهْلٍ لِلْحُكْمِ فَإِنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ أَجْرٌ بِاجْتِهَادِهِ وَأَجْرٌ بِإِصَابَتِهِ وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ بِاجْتِهَادِهِ**« ثُمَّ قَالَ »**قَالُوا فَأَمَّا مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِلْحُكْمِ فَلا يَحِلُّ لَهُ الْحُكْمُ فَإِنْ حَكَمَ فَلا أَجْرَ لَهُ بَلْ هُوَ ءَاثِمٌ وَلا يُنَفَّذُ حُكْمُهُ سَوَاءٌ وَافَقَ الْحَقَّ أَمْ لا لِأَنَّ قَوْلَهُ وَإِنْ وَافَقَ الْحَقَّ فَلَيْسَ صَادِرًا عَنْ أَصْلٍ شَرْعِىٍّ فَهُوَ عَاصٍ فِى جَمِيعِ أَحْكَامِهِ سَوَاءٌ وَافَقَ الصَّوَابَ أَمْ لا وَلا يُعْذَرُ فِى شَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ**« (**وَإِنَّمَا خَصَّ رَسُولُ اللَّهِ فِى هَذَا الْحَدِيثِ الْحَاكِمَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَحْوَجُ إِلَى الِاجْتِهَادِ مِنْ غَيْرِهِ فَقَدْ مَضَى مُجْتَهِدُونَ فِى السَّلَفِ مَعَ كَوْنِهِمْ حَاكِمِينَ كَالْخُلَفَاءِ السِّتَّةِ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِىٍّ وَالْحَسَنِ بنِ عَلِىٍّ وَعُمَرَ بنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَشُرَيْحٍ الْقَاضِى**) وَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**« رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِى سُنَنِهِ، وَيُشْتَرَطُ فِى الْمُجَدِّدِ أَنْ يَكُونَ حَيًّا عِنْدَ تَمَامِ الْقَرْنِ مَعَ كَوْنِهِ بِصِفَةِ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى ذَابًّا عَنِ السُّنَّةِ قَامِعًا لِلْبِدْعَةِ يَنْفَعُ النَّاسَ بِبَيَانِهِ يُبَيِّنُ الضَّلالاتِ وَيُحَذِّرُ مِنْهَا وَيُبَيِّنُ السُّنَنَ وَيَحُثُّ عَلَيْهَا وَالسُّنَنُ هِىَ الأُمُورُ الَّتِى شَرَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ مِنْ فَرَائِضَ وَغَيْرِ فَرَائِضَ. وَأَوَّلُ مُجَدِّدٍ كَانَ فِى هَذِهِ الأُمَّةِ هُوَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الَّذِى كَانَ حَاكِمًا عَدْلًا وَلَمْ يَجْتَمِعْ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُجَدِّدِينَ أَنْ جَمَعَ بَيْنَ صِفَةِ الْمُجَدِّدِيَّةِ وَالْحُكْمِ ثُمَّ بَعْدَهُ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِىُّ وَقَدْ تُوُفِّىَ بَعْدَ تَمَامِ الْقَرْنِ الثَّانِى بِأَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ ثُمَّ بَعْدَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ الَّذِى هُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ ثُمَّ بَعْدَهُ أَبُو الطَّيِّبِ سَهْلُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الصُّعْلُوكِىُّ ذَكَرَ هَذَا التَّرْتِيبَ الْحَافِظُ الْحَاكِمُ صَاحِبُ كِتَابِ الْمُسْتَدْرَكِ (**وَقَدْ عَدَّ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ أَلَّفُوا فِى كُتُبِ مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ الْمُفْتِينَ فِى الصَّحَابَةِ أَقَلَّ مِنْ عَشَرَةٍ**) كَمَا فِى تَدْرِيبِ الرَّاوِى لِلسُّيُوطِىِّ وَ(**قِيلَ نَحْوُ سِتَّةٍ وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ نَحْوُ مِائَتَيْنِ مِنْهُمْ بَلَغَ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الأَصَحُّ. فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ فِى الصَّحَابَةِ هَكَذَا فَمِنْ أَيْنَ يَصِحُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْءَانَ وَيُطَالِعَ فِى بَعْضِ الْكُتُبِ أَنْ يَقُولَ أُولَئِكَ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ فَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَلِّدَهُمْ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ أَكْثَرَ السَّلَفِ كَانُوا غَيْرَ مُجْتَهِدِينَ بَلْ كَانُوا مُقَلِّدِينَ لِلْمُجْتَهِدِينَ فِيهِمْ فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ أَنَّ رَجُلًا كَانَ أَجِيرًا لِرَجُلٍ فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَسَأَلَ أَبُوهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَلَى ابْنِكَ مِائَةَ شَاةٍ وَأَمَة ثُمَّ سَأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ عَلَى ابْنِكَ جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ فَجَاءَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ زَوْجِ** **الْمَرْأَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِى هَذَا كَانَ عَسِيفًا**) أَىْ أَجِيرًا (**عَلَى هَذَا وَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَقَالَ لِى نَاسٌ عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ فَفَدَيْتُ ابْنِى مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الْغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْهِ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ«**) أَىْ يُخْرَجُ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى مَسَافَةِ الْقَصْرِ لِمُدَّةِ سَنَةٍ (**فَهَذَا الرَّجُلُ مَعَ كَوْنِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ سَأَلَ أُنَاسًا مِنَ الصَّحَابَةِ فَأَخْطَأُوا الصَّوَابَ ثُمَّ سَأَلَ عُلَمَاءَ مِنْهُمْ ثُمَّ أَفْتَاهُ الرَّسُولُ بِمَا يُوَافِقُ مَا قَالَهُ أُولَئِكَ الْعُلَمَاءُ فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ أَفْهَمَنَا أَنَّ بَعْضَ مَنْ كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْهُ الْحَدِيثَ لَيْسَ لَهُمْ فِقْهٌ أَىْ مَقْدِرَةٌ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الأَحْكَامِ مِنْ حَدِيثِهِ وَإِنَّمَا حَظُّهُمْ أَنْ يَرْوُوا عَنْهُ مَا سَمِعُوهُ مَعَ كَوْنِهِمْ يَفْهَمُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْفُصْحَى فَمَا بَالُ هَؤُلاءِ الْغَوْغَاءِ الَّذِينَ يَتَجَرَّءُونَ عَلَى قَوْلِ »أُولَئِكَ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ« أُولَئِكَ رِجَالٌ يَعْنُونَ الْمُجْتَهِدِينَ كَالأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ. وَفِى هَذَا الْمَعْنَى مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ**) فِى سُنَنِهِ (**مِنْ قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِى كَانَتْ بِرَأْسِهِ شَجَّةٌ فَأَجْنَبَ فِى لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فَاسْتَفْتَى مَنْ مَعَهُ فَقَالُوا لَهُ اغْتَسِلْ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ »قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِىِّ السُّؤَالُ« أَىْ شِفَاءُ الْجَهْلِ السُّؤَالُ أَىْ سُؤَالُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِبَ عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ« الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ الِاجْتِهَادُ يَصِحُّ مِنْ مُطْلَقِ الْمُسْلِمِينَ لَمَا ذَمَّ رَسُولُ اللَّهِ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَفْتَوْهُ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْفَتْوَى. ثُمَّ وَظِيفَةُ الْمُجْتَهِدِ الَّتِى هِىَ خَاصَّةٌ لَهُ الْقِيَاسُ أَىْ أَنْ يَعْتَبِرَ مَا لَمْ يَرِدْ بِهِ نَصٌّ بِمَا وَرَدَ فِيهِ نَصٌّ لِشَبَهٍ بَيْنَهُمَا**) وَالْقِيَاسُ هُوَ إِلْحَاقُ الْفَرْعِ الَّذِى هُوَ غَيْرُ مَنْصُوصٍ عَلَيْهِ بِالأَصْلِ الَّذِى هُوَ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ وَيُقَالُ الْقِيَاسُ هُوَ رَدُّ الْفَرْعِ إِلَى الأَصْلِ بِعِلَّةٍ تَجْمَعُهُمَا فِى الْحُكْمِ وَمِثَالُ ذَلِكَ وَرَدَ فِى الْقُرْءَانِ تَحْرِيمُ التَّأْفِيفِ بِالأَبَوَيْنِ نَصًّا لَكِنْ لَمْ يَرِدْ لا تَضْرِبْهُمَا لا تَجْرَحْهُمَا بِحَدِيدَةٍ إِلَى ءَاخِرِ مَا هُنَالِكَ مِنْ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ فَهَذِهِ مِنْ طَرِيقِ الْقِيَاسِ تُلْحَقُ بِالأَصْلِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ وَهُوَ تَحْرِيمُ التَّأْفِيفِ لِأَنَّ التَّأْفِيفَ أَذًى خَفِيفٌ بِالنِّسْبَةِ لِلضَّرْبِ وَنَحْوِهِ (**فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الَّذِينَ يَحُثُّونَ أَتْبَاعَهُمْ عَلَى الِاجْتِهَادِ مَعَ كَوْنِهِمْ وَكَوْنِ مَتْبُوعِيهِمْ بَعِيدِينَ عَنْ هَذِهِ الرُّتْبَةِ فَهَؤُلاءِ يُخَرِّبُونَ وَيَدْعُونَ أَتْبَاعَهُمْ إِلَى التَّخْرِيبِ فِى أُمُورِ الدِّينِ**) فَكَمْ مِنْ حُفَّاظٍ يَحْفَظُونَ الآلافَ الْمُؤَلَّفَةَ مِنَ الْمُتُونِ وَالأَسَانِيدِ وَأَحْوَالِ الرُّوَاةِ وَمَوَالِيدِهِمْ وَرِوَايَتِهِمْ مُقَلِّدِينَ لا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ لِعَدَمِ فِقْهِ النَّفْسِ الَّتِى هِىَ شَرْطٌ فِى الِاجْتِهَادِ. هَذَا الْبَيْهَقِىُّ الَّذِى هُوَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُحَدِّثِينَ الْحُفَّاظِ مُقَلِّدٌ لِلإِمَامِ الشَّافِعِىِّ وَكَذَلِكَ كُلُّ الْمُحَدِّثِينَ إِلَّا النَّادِرُ مِنْهُمْ بَلَغَ رُتْبَةَ الِاجْتِهَادِ (**وَشَبِيهٌ بِهَؤُلاءِ أُنَاسٌ تَعَوَّدُوا فِى** **مَجَالِسِهِمْ أَنْ يُوَزِّعُوا عَلَى الْحَاضِرِينَ تَفْسِيرَ ءَايَةٍ أَوْ حَدِيثٍ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ تَلَقٍّ مُعْتَبَرٌ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ. فَهَؤُلاءِ الْمُدَّعُونَ شَذُّوا عَنْ عُلَمَاءِ الأُصُولِ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الأُصُولِ قَالُوا »الْقِيَاسُ وَظِيفَةُ الْمُجْتَهِدِ« وَخَالَفُوا عُلَمَاءَ الْحَدِيثِ أَيْضًا**) وَأَمَّا دَعْوَةُ الأَلْبَانِىِّ أَىَّ إِنْسَانٍ أَنْ يَعْمَلَ بِحَدِيثِ »**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ**« فَفِيهَا تَشْجِيعُ الْعَوَامِّ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ بِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الِاجْتِهَادِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَمِيلُ إِلَيْهِ قَلْبُهُ وَلا يَخْفَى أَنَّ الْعَامِىَّ قَدْ يَمِيلُ قَلْبُهُ إِلَى مَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ فَكَيْفَ يَتْرُكُ فَتْوَى الْمُجْتَهِدِينَ الْمُعْتَبَرِينَ وَيَعْمَلُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَهَذَا الْحَدِيثُ كَانَ الْخِطَابُ فِيهِ لِوَابِصَةَ بنِ مَعْبَدٍ وَهُوَ مِنْ مُجْتَهِدِى الصَّحَابَةِ فَوَابِصَةُ وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ مُجْتَهِدًا فَهُوَ الَّذِى يَأْخُذُ بِمَا يَنْشَرِحُ بِهِ قَلْبُهُ وَلَيْسَ أَىَّ إِنْسَانٍ وَإِلَّا لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْفَوْضَى.

**خَاتِمَةٌ**

(**خُلاصَةُ مَا مَضَى مِنَ الأَبْحَاثِ أَنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ**) وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ لا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا هُوَ (**وَ**)أَنَّ (**رَسُولَهُ**) مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِى كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ (**وَنَطَقَ بِالشَّهَادَةِ وَلَوْ مَرَّةً فِى الْعُمُرِ وَرَضِىَ بِذَلِكَ اعْتِقَادًا فَهُوَ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ**) وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ »**مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**« أَىْ سَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُخَلَّدَ وَيُؤَبَّدَ فِى النَّارِ فَإِنْ دَخَلَ النَّارَ بِذُنُوبِهِ فَلا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ (**وَ**)أَمَّا (**مَنْ عَرَفَ**) اللَّهَ (**وَنَطَقَ**) أَىْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ (**وَلَمْ يَعْتَقِدْ**) مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ (**فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَلا بِمُؤْمِنٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأَمَّا عِنْدَنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ لِخَفَاءِ بَاطِنِهِ عَلَيْنَا**) فَإِذَا أَظْهَرَ لَنَا إِنْسَانٌ أَنَّهُ مُسْلِمٌ وَتَشَهَّدَ وَصَلَّى وَلَمْ نَعْلَمْ مِنْهُ كُفْرًا نُجْرِى عَلَيْهِ أَحْكَامَ الإِسْلامِ ثُمَّ نَقُولُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِبَاطِنِهِ (**وَإِنْ كَانَ يَتَظَاهَرُ بِالإِسْلامِ وَيَكْرَهُ الإِسْلامَ بَاطِنًا أَوْ يَتَرَدَّدُ فِى قَلْبِهِ هَلِ الإِسْلامُ صَحِيحٌ أَمْ لا**) أَىْ عِنْدَهُ شَكٌّ بِصِحَّةِ الإِسْلامِ (**فَهُوَ مُنَافِقٌ كَافِرٌ وَهُوَ دَاخِلٌ فِى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ فَهُوَ وَالْكَافِرُ الْمُعْلِنُ خَالِدَانِ فِى النَّارِ خُلُودًا أَبَدِيًّا وَقَوْلُ الْبَعْضِ**) لا يُشْتَرَطُ النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ لِصِحَّةِ الإِسْلامِ إِنَّمَا (**يَصِحُّ إِيمَانُ الْكَافِرِ بِلا نُطْقٍ مَعَ التَّمَكُّنِ**) أَىْ إِنْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ بِمَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ وَجَزَمَ لَكِنَّهُ لَمْ يَنْطِقْ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ إِلَّا أَنْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الشَّهَادَةُ فَأَبَى النُّطْقَ بِهَا (**قَوْلٌ بَاطِلٌ لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ**) وَهَذَا الْقَوْلُ خِلافُ عَقِيدَةِ الْجُمْهُورِ فَقَدْ نَقَلَ الإِمَامُ الْمُجْتَهِدُ ابْنُ الْمُنْذِرِ الإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ الدُّخُولَ فِى الإِسْلامِ لا يَكُونُ إِلَّا بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ (**وَقَالَ بَعْضُهُمْ »مَنْ نَشَأَ بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ**) عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ فَهُوَ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ (**يَكْفِيهِ** **الْمَعْرِفَةُ وَالِاعْتِقَادُ لِصِحَّةِ إِسْلامِهِ وَإِيمَانِهِ لَوْ لَمْ يَنْطِقْ**) بِالشَّهَادَتَيْنِ (**بِالْمَرَّةِ«**) وَكَذَلِكَ مَنْ نَشَأَ عَلَى عَقِيدَةِ الإِسْلامِ بَيْنَ أَبَوَيْنِ كَافِرَيْنِ فَهُوَ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ طَالَمَا لَمْ يَعْتَقِدِ اعْتِقَادًا كُفْرِيًّا وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلامٍ كُفْرِىٍّ وَلَمْ يَفْعَلْ فِعْلًا كُفْرِيًّا (**ثُمَّ مَنْ صَحَّ لَهُ أَصْلُ الإِيمَانِ وَالإِسْلامِ وَلَوْ لَمْ يَقُمْ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ الْعَمَلِيَّةِ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَلَمْ يَجْتَنِبِ الْمُحَرَّمَاتِ إِلَى أَنْ مَاتَ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ قَبْلَ أَنْ يَتُوبَ فَقَدْ نَجَا مِنَ الْخُلُودِ الأَبَدِىِّ فِى النَّارِ ثُمَّ قِسْمٌ مِنْهُمْ يُسَامِحُهُمُ اللَّهُ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِلا عَذَابٍ وَقِسْمٌ مِنْهُمْ يُعَذِّبُهُمْ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُسَامِحُهُ وَمَنْ لا يُسَامِحُهُ. وَأَمَّا مَنْ مَاتَ بَعْدَ أَنْ تَابَ فَأَدَّى جَمِيعَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ فَهُوَ كَأَنَّهُ لَمْ يُذْنِبْ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ« حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ**) فِى سُنَنِهِ (**عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ**) فَمَهْمَا أَذْنَبَ الشَّخْصُ وَتَابَ وَأَذْنَبَ وَتَابَ وَلَوْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ فَبَابُ التَّوْبَةِ مَا زَالَ مَفْتُوحًا لَمْ يُغْلَقْ بَعْدُ (**وَفِى صَحِيحِ الْبُخَارِىِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُسْلِمُ أَوْ أُقَاتِلُ قَالَ »أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ« فَأَسْلَمَ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا« أَىْ لِأَنَّهُ نَالَ الشَّهَادَةَ بَعْدَ أَنْ هَدَمَ الإِسْلامُ كُلَّ ذَنْبٍ قَدَّمَهُ فَالْفَضْلُ لِلإِسْلامِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يُسْلِمْ لَمْ يَنْفَعْهُ أَىُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ. وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ الْتَحَقَ بِالْمُجَاهِدِينَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ قَوْمَهُ الَّذِينَ هُمْ مُسْلِمُونَ خَرَجُوا**) لِلْجِهَادِ فَخَرَجَ مَعَهُمْ (**مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْلِمَ ثُمَّ أَلْهَمَهُ اللَّهُ أَنْ يَسْأَلَ الرَّسُولَ فَسَأَلَ فَأَرْشَدَهُ الرَّسُولُ إِلَى أَنْ يُسْلِمَ ثُمَّ يُقَاتِلَ**) فَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَنْ مَاتَ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّهَادَاتِ يُغْفَرُ لَهُ وَلا يُعَذَّبُ وَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ مِثْلُ الْجِبَالِ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مَوْتُهُ بِأَفْضَلِ أَنْوَاعِ الشَّهَادَةِ وَهُوَ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ لا رِيَاءَ فِيهَا فَالشَّهِيدُ مَهْمَا كَانَ عَلَيْهِ ذُنُوبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخَيَّرُ مِنْ أَىِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ ثُمَّ الشَّهِيدُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ يَحْمِلُونَ رُوحَهُ بِكَفَنٍ بِخِرْقَةِ حَرِيرٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَأْخُذُونَ هَذِهِ الرُّوحَ مِنْ عَزْرَائِيلَ وَلا يَتْرُكُونَهَا فِى يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِى الْحَدِيثِ الَّذِى أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ مِنْ أَنَّ الشَّهِيدَ يُغْفَرُ لَهُ إِلَّا الدَّيْن فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُعَذَّبُ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّ صَاحِبَ الدَّيْنِ اللَّهُ يُعْطِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ وَفَتْ حَسَنَاتُهُ وَإِلَّا فَمِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ يُؤَدَّى عَنْهُ. وَمِمَّا خُصَّ بِهِ الشَّهِيدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُرْحَهُ يَكُونُ لَوْنُهُ لَوْنَ الدَّمِ وَرِيحُهُ رِيحَ الْمِسْكِ أَىْ عَلامَةً عَلَى أَنَّهُ فَائِزٌ عِنْدَ اللَّهِ فِى الآخِرَةِ.

## خَاتِمَةُ الْخَاتِمَةِ

(**لِيُفَكِّرِ الْعَاقِلُ فِى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**) مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَلائِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ بِكِتَابَةِ عَمَلِ الْعَبْدِ يَكْتُبُونَ مَا يَلْفِظُ بِهِ هَذَا الإِنْسَانُ مِنْ حَسَنَاتٍ أَوْ سَيِّئَاتٍ مِنَ الْقَوْلِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ أَيْضًا. وَفِى هَذِهِ الآيَةِ التَّحْذِيرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ الإِنْسَانُ بِمَا لا خَيْرَ فِيهِ فَيُعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الإِنْسَانَ لا يُعْفَى مِنْ كِتَابَةِ أَقْوَالهِ كُلِّهَا مَا كَانَ مِنْهَا حَسَنَةً مِنَ الْحَسَنَاتِ كَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْىٍ عَنْ مُنْكَرٍ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَغَيْرِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنْهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ مِنْ كُفْرٍ وَمَا دُونَهُ وَيَكْتُبُونَ أَيْضًا الْمُبَاحَاتِ أَىِ الْكَلامَ الَّذِى لَيْسَ بِحَسَنَةٍ وَلا سَيِّئَةٍ (**فَإِنَّ مَنْ فكَّرَ فِى ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فِى الْجِدِّ أَوِ الْهَزْلِ أَوْ فِى حَالِ الرِّضَى أَوِ الْغَضَبِ يُسَجِّلُهُ الْمَلَكَانِ**) وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِى سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ »**ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ الطَّلاقُ وَالنِّكَاحُ وَالرَّجْعَةُ**« فَإِذَا كَانَ الطَّلاقُ وَالنِّكَاحُ وَالرَّجْعَةُ جِدُّهُنَّ جِدًّا وَهَزْلُهُنَّ جِدًّا فَبِالأَوْلَى أَنْ يَكُونَ قَوْلُ الْكُفْرِ جِدًّا إِنْ كَانَ فِى حَالِ الْمَزْحِ وَإِنْ كَانَ فِى حَالِ الْغَضَبِ وَإِنْ كَانَ فِى حَالِ الرِّضَا (**فَهَلْ يَسُرُّ الْعَاقِلَ أَنْ يَرَى فِى كِتَابِهِ**) الَّذِى يَتَنَاوَلُهُ مِنْ أَيْدِى الْمَلائِكَةِ (**حِينَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ فِى الْقِيَامَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَبِيثَةَ**) مِنْ كُفْرٍ أَوْ مِنْ مَعَاصٍ (**بَلْ يَسُوؤُهُ ذَلِكَ وَيُحْزِنُهُ حِينَ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ**) وَلا يُوجَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اسْتِغْفَارٌ تُمْحَى بِهِ الْمَعْصِيَةُ إِنَّمَا الِاسْتِغْفَارُ يَنْفَعُ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ أَيْضًا إِذَا تَابَ الإِنْسَانُ مِنْ كَلامٍ هُوَ مِنَ السَّيِّئَاتِ يُمْحَى ذَلِكَ الْكَلامُ مِنْ صَحِيفَتِهِ أَىْ يَمْحُوهُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِذَلِكَ (**فَلْيَعْتَنِ**) الإِنْسَانُ (**بِحِفْظِ لِسَانِهِ مِنَ الْكَلامِ بِمَا يَسُوؤُهُ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ فِى الآخِرَةِ**) وَلْيَسْتَعْمِلْهُ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَلا يَضُرُّهُ فَمَنِ اسْتَعْمَلَ هَذَا اللِّسَانَ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَلا يَضُرُّهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ حَرَجٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ فِى الآخِرَةِ وَأَمَّا مَنِ اسْتَعْمَلَهُ فِيمَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَشْكُرْ رَبَّهُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ (**قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »خَصْلَتَانِ مَا إِنْ تَجَمَّلَ الْخَلائِقُ بِمِثْلِهِمَا حُسْنُ الْخُلُقِ وَطُولُ الصَّمْتِ« رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ أَبُو بَكْرِ بنُ أَبِى الدُّنْيَا الْقُرَشِىُّ فِى كِتَابِ الصَّمْتِ**) وَأَمَّا حُسْنُ الْخُلُقِ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ثَلاثَةِ أُمُورٍ كَفُّ الأَذَى عَنِ النَّاسِ وَتَحَمُّلُ أَذَى النَّاسِ وَأَنْ يَعْمَلَ الْمَعْرُوفَ مَعَ الَّذِى يَعْرِفُ لَهُ إِحْسَانَهُ وَمَعَ الَّذِى لا يَعْرِفُ لَهُ. وَمَنْ نَالَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَدْ نَالَ مَقَامًا عَالِيًا فَقَدْ يَبْلُغُ الرَّجُلُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ الصَّائِمِ أَىِ الَّذِى لا يَتْرُكُ الْقِيَامَ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ وَلا يَتْرُكُ صِيَامَ النَّفْلِ. وَطُولُ الصَّمْتِ مَعْنَاهُ تَقْلِيلُ الْكَلامِ فَإِنَّ طُولَ الصَّمْتِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَسَائِرِ الْحَسَنَاتِ يَكُونُ مَطْلُوبًا مَحْبُوبًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَمَّا مِنْ ذِكْرِهِ وَسَائِرِ الْحَسَنَاتِ فَإِكْثَارُ اسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ مَطْلُوبٌ وَلا سِيَّمَا التَّهْلِيلُ فَالْمَعْنَى أَنَّ الإِنْسَانَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِكَلامٍ لَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ مُؤَاخَذَةٌ عِنْدَ اللَّهِ نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلامَةَ وَأَنْ يَحْفَظَ لَنَا أَلْسِنَتَنَا مِنَ الْمَهَالِكِ.